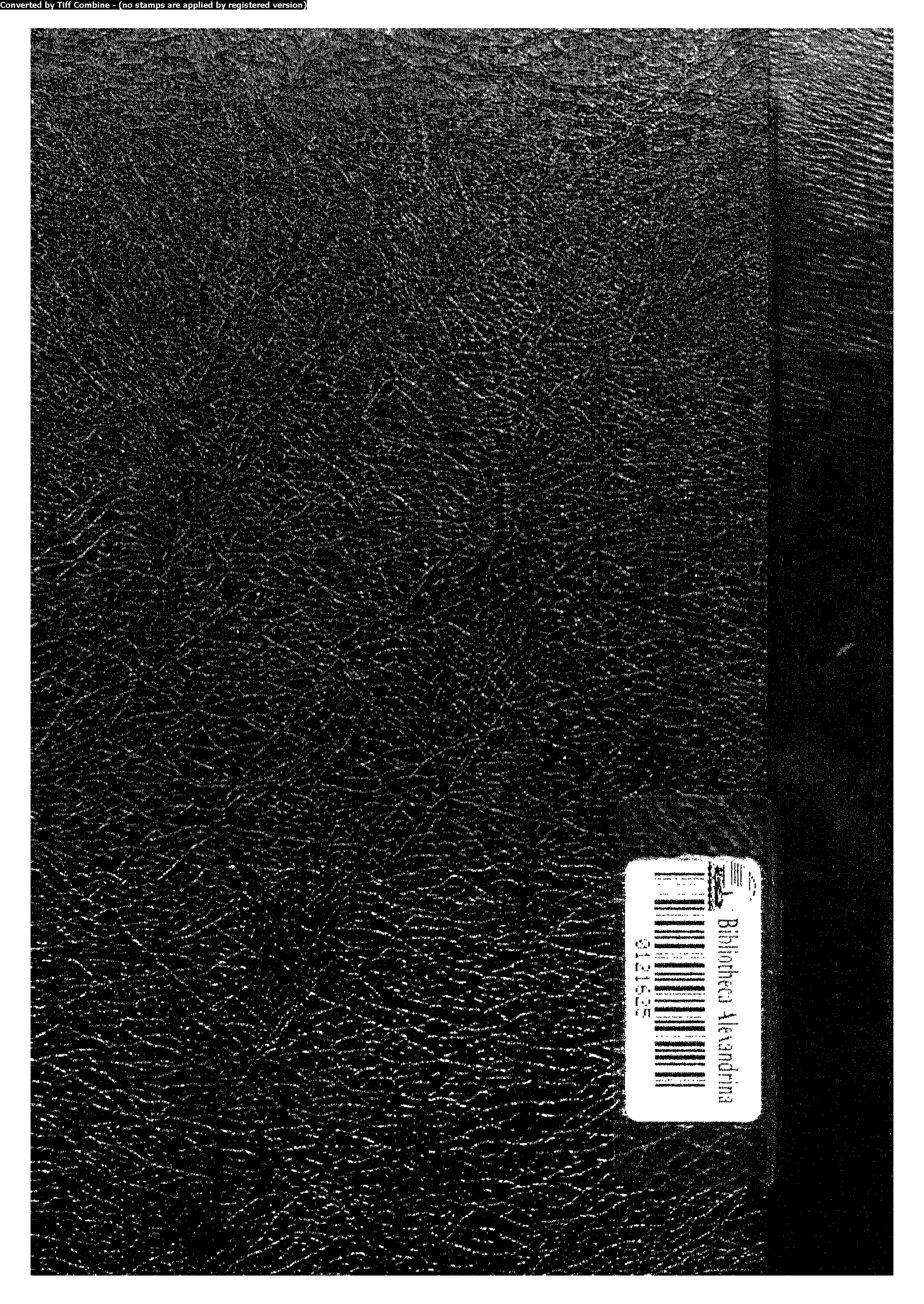


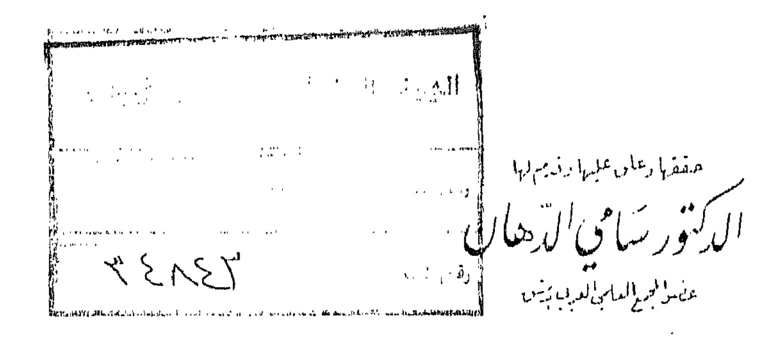


مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق

رسالة ابن فضلان

أحمد بن فضلان بن العباس بن راشد بن حماد

في وصف الرحلة الى بلاد الترك والخزر والروس والصقالبة
سنة ٣٠٩ هـ - ٩٢١ م



حققها وعلق عليها وقدم لها
الدكتور سامي الدهان
عضو المجمع العلمي العربي بدمشق



دمشق
١٣٧٩ هـ - ١٩٥٩م

الإهـــداء

إلى روح المرحوم العلامة الرئيس محمد كرد علي

ذكرى خالدة على الزمان

وإكباراً لأياديه على العربية

محمد سامي الدهان



مقدمة المحقق

تمهيد — رحلة ابن فضلان — تحقيق الرسالة .



بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

في صيف سنة ١٩٥١ ، زرتُ أستاذنا العلاّمة الرئيس الجليل محمد كرد علي ـــ رحمه الله وطيب ثراه ـــ في بيته بدمشق ، وكان يتصفح المجلات والصحف التي ترد إلى المجمع العلمي ، يطلّع على ما فيها ويقرأ مقالات المستشرقين والعلماء العرب لا تفوته صفحة أو إشارة ، فإذا به يدفع إليّ مجلة هنغارية ، صدرت في بودابست قبل شهر ، وفيها مقالة بالألمانية عن رحلة ابن فضلان ، كتبها أحد المستشرقين معلقاً على ما نشر أو ترجم من الرحلة ، يصحّح ما يرى من وجوه التصحيح ، ويقترح روايات جديدة ، مشيراً في ذلك إلى نصّ الرحلة بالعربية وقد أثبته في صور شمسية مع المقال .

قلبتُ المجلةَ بين يديّ ، ورددتها إلى أستاذنا الفقيد ، ولم أدرك سرّ توجيهي إلى المقال ، فإذا بالرئيس يحدّثني عن أهمية هذه الرسالة وعن حاجة المثقفين العرب إلى قراءتها وفهمها ، واستخراج العبر منها ، وإكبار الأجداد في همتهم وسعيهم وثقافتهم ، فهي تصف بلاد الروس والبلغار والأتراك في القرن العاشر للميلاد ،

وصفاً لا يكاد يقع إلاّ في هذا المصدر ، والروسُ أنفسهم عادوا إليه وقرؤه ودرسوه ونشروا منه وترجموه منذ مئة عام ، وجعلوه في مصادرهم الثمينة ، كمرجع أساسي لاغنى عنه . وهم ما يزالون منذ سنين عديدة يعودون إليه ، في مقالات وفي دراسات ، ليزدادوا به فهماً ومعرفة ، ففيه أسماء وأعلام ، وفيه ألبسة وأطعمة ، وعادات وتقاليد ، تتكشف رموزها واشاراتها عن أشياء جديـــدة كلّما أنعم المستشرقون نظرَهم في قراءة النص وفي تقليب غوامضه وحلّ مشكلاته .

وهذه الدراسات والمقالات وصل إلينا بعضُها ، وضل السبيل بعض آخر ، فلم يعرف أكثرُ العرب ما كان من هذه الذخيرة الدفينة ولم يقفوا على أثرها في أدب القرن الرابع للهجرة ، بل في آدابنا كلّها ، وذلك لأن أقساماً من الرحلة طُبعتْ في الغرب ، وتُرجمت ، ولكن هذه الطبعات لم تصل إلى خزائننا العربية العامة ، بله خزائن الأفراد فهي على هذا مجهولة لم تر النور في مطابعنا العربية وهي نادرة الوجود .

وهنا حثّني الرئيس الجليل — رحمه الله — على العناية بها واخراجهـــا كاملة وتحقيقها والتعليق عليها . ففرحتُ بالثقة ، وظننت أن الأمر هّين لّين ، وعدتُ من دار الرئيس بالغنيمة كما كنتُ أعود دائماً .

فلما أقبلتُ على الصورة الشمسية أقرؤها ، وأُنعم النظر في عباراتها ، وقفتُ طويلاً دون الفهم ، وتعثّرت طويلاً في التخريج ، وأدركني بعد الاعادة والتكرار يأس من فهمها ونشرها ، وعرفت سبب عزوف الناشرين العرب عن تحقيقها ،

فهي نسخة مفردة وحيدة يتيمـــة مصحّفة أشد التصحيف ، مبتورة في كثير من تعابيرها ، تغصّ بأسماء الألبسة والأعلام والأماكن ، فكأنّ كلّ كلمة من كلماتها موضعُ الريبة والشك ، تحوج إلى المراجعة والتثبّت والتعليق . وكدتُ أنصرف عن العناية بها ، لولا أنّ صديقي المستشرق « نيكيتا أليسيف [1] » — وهو يجيد الروسية — أرشدني إلى المصادر الروسية والألمانية ، وأرادني كذلك على المضيّ في العناية بها ، وقد كان هو نفسه يُعنى بها كرسالة للدكتورية ، فاذا به ينصرف عنها إلى غيرها ، ويعلّق عليَّ الأملَ في إخراجها .

ولقيتُ بعد ذلك في كمبريج المستشرق الانكليزي (دنلوب) فحدثته في أمرها ، فإذا هو معنيٌّ كذلك بتوضيح بعض مافيها ، وإذا به يدفع إليّ مقالاً نشره في التعليق على بعض عباراتها ، مما يخصّ قبائل الترك فيها ، فرجعتُ إليه وأفدتُ منه ، ولكنه يلمّ بناحية واحدة من نواح ماتزال غامضة صعبة .

وحين زرتُ جامعة هارفارد في الولايات المتحدة ١٩٥٤ قدّم إليّ الأستاذ « ريتشارد فراي » رسالة وقّعها مع صديقه الأستاذ « بلاك » ، وجعلها في التعليق على مافي رسالة ابن فضلان كذلك ، وخصّ عنايته بتصحيح بعض كلمات في أوراق معدودة من الرسالة .

وفي السنة نفسها أبلغني سيادةُ رئيس المجمع الجليل الأستاذ خليل مردم بك شرف اختياري في الوفد المجمعي إلى الاتحاد السوفياتي ، بدعوة من أعضاء المجمع

---

(١) Mr. Nikita Elisséeff

العامي هناك ، فكان أول همي أن أفوز بنسخة من الرسالة مترجمة إلى الروسية مع التعليقات ، وقد تفضل عليّ بها الأستاذ (ف . بيلايف) ، مشكوراً ، وفيها الصورة الشمسية الواضحة لرسالة ابن فضلان ، وكانت تعليقاتُها منارةً لي وهدى .

وعكفتُ منذ ذلك الحين على هذه الرسالة أقرأ سطورها الغامضة وعباراتها الناقصة ، وأقابلُ مافيها على مانقلَ ياقوت الحموي وما أورد غيرُه من الجغرافيّين العرب ، حتى تمّ لي انجازُها وأنا على مثل الشّك في بعض عباراتها ، فإنْ خلَت من الأخطاء فقد سدّد الله خطاي ، وإنْ أصابني فيها بعضُ العثار فالمعذرة ممن يؤمن بضعف الانسان عن إدراك الكمال ، والفضلُ الأول للرئيس المرحوم الأستاذ محمدكردعلي ، فقد هيأ لبعثها ونشرها لأول مرة في الدنيا العربية ، والفضل كذلك لسيادة رئيس المجمع الجليل الأستاذ خليل مردم بك ، أطال الله في عمره[1] ومتعه بالصحة ، فهو خير خلف لخير سلف ، رحب بالرسالة كما رحّب سلفُه ، فجعلها في مطبوعات مجمعنا العامي ، مشكوراً .

فالحمد لله الذي أعان على إتمام تحقيقها وتقديمها على هذا الوجه وله الشكر والدعاء في البدء والختام .

(١) لقي الاستاذ الجليل وجه ربه خلال طبع هذه الصفحات ، فأورثنا حسرة وحزناً وفراغاً لا يعوض - رحمه الله رحمة واسعة - .

الفصل الأول

رحلة ابن فضلان

كتب الرحلة في العصر — حال العصر — الوفد والخطة —
وصف الرحلة وأهميتها .



رحلة ابن فضلان

كتب الرحلة في العصر

يبدو أن الشعب العربي كان مفطوراً على حبّ الرحلة والسفر منذ فجر نشأته فقد ذكر التاريخ أنباء متواترة عن تنقله وأسفاره ، في سبيل الرزق والتجـــارة والمعرفة . زار كثير من أفراده بقاعاً وأقاليم بعيدةً ، فبلغ إلى أقاصي بلاد الشام والحبشة ، وطوّف كثير من أبنائه في بلاد نائية ، فكأنه لم يعرف الهدوء والقرار على مصاعب السفر والرحلة آنذاك . وقدكان للقبائل رحلات ، وللأفراد أسفار ، ذكر بعضها في الشعر ، فكانت رحلات الشعراء إلى الحيرة ودمشق وبلاد الروم حتى لقد بلغ امرؤ القيس القسطنطينية ونسب إليه شعر قاله في أنقرة . وكان لقريش رحلتان إحداهما في الصيف والأخرى في الشتاء .

ولما جاء الاسلام اندفع الشعب العربيّ إلى خارج الجزيرة وبلغ في عصر واحد تخوّم المشرق والمغرب ، فعرف بلاداً كانت في قمة الحضارة والرقي ، أخذ عنها ، وأفاد منها ، فأدخل منها في حياته وعيشه وملبسه ما أدخل ، ووقف عنـــد

مستوى حضاريّ رفيع ، ظل يرقى به ، ويحافظ عليه ، حتى تحدرت من حوله الأمم وسقطت همتها في الرقي ، وبقي وحده منارة وينبوعاً ، تستنير بهديه الشعوب في حلكة حياتها وظلمة انحدارها .

وما أشرق القرن الثامن للميلاد حتى كان للعرب ملك فسيح الرقعة في امبراطورية عريضة ، حدودها تخوم الهند في الشرق والمحيط الأطلسي في الغرب وجبال القوقاز في الشمال وصحارى افريقية في الجنوب .

وكانت ادارة هذه الامبراطورية تفرض أموراً كثيرة منها معرفة الجزية والخراج ، فقد كان معظم الولايات تعدّ الخليفة العبّاسيّ رئيسها الديني ، تؤدي إليه الأموال ، فبعض باسم الضمان ، وبعض باسم المصالحة ، وآخرون باسم الهدية، وكانت هذه الأموال تقوم بكثير من نفقات الخلافة ، وتعزّز السلطان وتحفظ مهابته وكيانه . فكان من أوجب الأمور لمعرفة الجباية وجمع الأموال أن يعرف الحاكمون حال المسالك والممالك ، والبلاد والأقاليم ، وأن يقوم بوصف ذلك رجال وقفوا كثيراً من وقتهم على الرحلة وتسقّط المعلومات والأخبار ، فنشأت كتب الرحلة ، وظهرت كتب الجغرافيا ، على نمط قريب مما ألف اليونان في هذا الباب .

ومنذ القرن الثالث الهجري ، كثر التأليف في المسالك والممالك فألف المصنّفون في الأقاليم والتقاسيم ، وصوروا ما عليها من مدن وجبال وأنهار ، فكتب الكنديّ وابن خرداذبة ، وقدامة بن جعفر ، واليعقوبي ، وابن الفقيه

الهمذاني ،وابن رستة ، وابن حوقل ، والاصطخرى وغيرهم، ووصفوا بلاد المشرق والمغرب من الصين إلى الأندلس ، وذكروا حال الشعوب وتقاليدها وعقائدها ووصفوا حال البلاد وطرقها وحاصلاتها وخراجها على الوجه الذي تم لهم . فبلغ بعضُهم إلى الدقة والتوفيق حين سجل ما رأى ، ونقد ما سمع . وفشل بعضهم في جمع كلّ ما طرق سمعه من أخبار لا يكاد العقل يصدّقها . ولكنهم على كل حال كانوا صورة لما يدور في حلقات العلم والمعرفة لعصرهم من آراء ومعلومات وأخبار قد نقف أمام بعضها موقف الشك والنقد ، بعد عشرة قرون أو تزيد ، وقد توفّرت لنا سبل عديدة لم تكن متوفرة لذلك الزمان ، فأصبح رسم الدروب والمناطق ووضع الخرائط والمصورات بحثاً علمياً مستقلاً في أبعد حدود الرقيّ ، وغدت الرحلة والتنقل والمشاهدة على أيسر مايستطيع الانسان أن يفعل ، ولكنّ الفضل أبداً للمتقدم ، والموازنة المُنصفة تقتضينا أن نذكر ما بين زمانهم وزماننا من وسائل ووسائط وطرق .

والحقّ أن بعض هؤلاء المؤلفين رأى بنفسه وعاين وشاهد — كما قلنا — وكان على إلمام بما يرى ، فقدكان ابن خرداذبة عاملاً للبريد والخبر خلال أواسط القرن الثالث للهجرة ، في نواحي الجبل من أرض فارس ، وقال المقدسي إنه رحل وسافر وأنفق في أسفاره مايزيد على عشرة آلاف درهم . وقال ابن حوقل إنه شاهدكلّ ماكتب عنه وعاينه إلا الصحراء الكبرى ، وعن المقدسي وابن حوقل أخذ أكثر الجغرافيين .

ولكننا نلاحظ أن هذه الكتب في جملتها قد أوجزت حين رسمت أحوال الشعوب وتقاليدها ، وملابسها ، فجعلت حصّتها من الصفحات كنسبة رقعتها من الأرض ، لم تتبسّط ولم تفصّل الأمر . ولعلّها كانت تنظر قبل كلّ شيء إلى الخراج والمال ، والى صلة هذه الأصقاع بعاصمة الخلافة ، فقد بدأت هذه الامبراطوية العربية تفقد وحدتها السياسية منذ انتصف القرن الثاني للهجرة ، وأصبحت روابط الدين والثقافة وحدها جامعة لشمل هذا الملك الواسع ، ولمّ أطرافه . وقامت صلات التجار مقام السفراء الاقتصاديين اليوم ، فنهض المسلمون إلى أطراف الأرض ينقلون البضائع ويشترون السلع ، وبلغوا إلى أقصى بحار الصين وسواحل البلطيق والأندلس والأطلسي وجزر المحيط الهندي ، وخلّفوا في هذه الممالك نقوداً وآثاراً ، يكتشفها الباحثون يوماً بعد يوم ، وعليها أثر هؤلاء التجار .

وذكر المقدسي في كتابه ، أنّ المسلمين كانوا يجلبون كثيراً من السلع من جنوبي الروسيا والبلاد الأوربية الشمالية ، عدّ منها الجلود والفراء والشمع والقلانس والعسل والسيوف ، وقال انهم كانوا يستجلبون الرقيق من الصقالبة . والصقالبة في عرفهم كانت تشمل السلافيين والجرمان وبعض سكان أوربة . وكان أهم ما يحمله هؤلاء التجار الى الأقاليم النائية ، أنواع المنسوجات والتحف والفواكه .

تلك كانت رحلات التجار ومساعيهم الفردية،وكانت السلطات والحكومات

تَبعثُ بوفودها – كما نقول اليوم – إلى الأقطار والممالك ، وتحمّلها مسؤليات ومهمات تقوم بها ، إمّا سياسية ، أو ثقافية ، أو دينية ، أو تجارية ، أو استطلاعية خالصة . ومن هذه الوفود بعثة برية أرسلها الخليفة الواثق بالله (٢٢٧ هـ – ٢٣٢ هـ) إلى سدّ يأجوج ومأجوج ، حوالي منتصف القرن الثالث الهجري ، حفظ منها ياقوت الحموي في معجمه على لسان « سلّام الترجمان » ، ما يحسُن الرجوع إليه والتفكّه بنوادره ، والوقوف على عقليّة الرحالين في ذلك الزمان . ومنها كذلك وفد أرسل إلى الصين أيام المحادثات بين السامانيّين وملك الصين ، وفيه أبو دلف وصف الرحلة وصفاً بديعاً . ومن هذه الوفود الرسمية بعثات جاسوسية من الرجال والنساء كانت تستطلع الأخبار ، كما حدّث ابن حوقل عن عهد هارون الرشيد أنه أرسل رجلاً يتجسس الأخبار من بلاد الروم عشرين سنة وكان سأله هارون الرشيد عن عجائب الأمور ، فكان يخبره .

ونحن لا نطمح في هذه المقدمة أن نستقصي أخبار الرحالة[1] المسلمين وأسماء الوفود الرسمية في القرنين الثالث والرابع الهجريين ، ووصف ما وقع منهم وما تركوه من كتب ، فذلك كثير واسع . . ولكننا أردنا أن نمهّد للحديث عن هذه الرحلة ، ونبسط أهميتها ، ونرسم عاصمة الخلافة ، ونتحدّث عن ابن فضلان ورحلته .

(١) للدكتور زكي محمد حسن كتاب في الرحالة والرحلة يحسن الرجوع إليه ، عنوانه « الرحالة المسلمون في العصور الوسطى » بمصر ١٩٤٥ .

حال العصر

ذكر المؤرخون أن المقتدر بالله أبا الفضل جعفر ابن الخليفة المعتضد ، بويع بالخلافة سنة ٢٩٥ هـ ، وعمره ثلاث عشرة سنة ، وقال عنه ابن الطقطقي [١] إنه كان سمحاً كريماً كثير الإنفاق ، أكثر من الخلع والصلات وكان في داره أحد عشر ألف خادم خصيّ من الروم والسودان ، وكانت خزينة الجوهر في أيامه مترعة بالجواهر النفيسة . وذكر أن دولته كانت ذات تخليط لصغر سنه ، ولاستيلاء أُمّه ونسائه وخدمه عليه ، فكانت دولته تدور أمورُها على تدبير النّساء والخدم ، وهو مشغول بلذّته فخربت الدنيا في أيامه ، وخلتْ بيوت الأموال ، حتى قال بعض المؤرخين إنّه أنفق سبعين مليون دينار ضَياعاً وتبذيراً ، ما عدا نفقات الدولة ، فقد اضطر في استرضاء الجند والغلمان أن يبيع ضياعه وفرشه وآنية الذهب ، وقد خلع وأعيد ثم قُتل ، ومكثت جثته مرمية على قارعة الطريق سنة ٣٢٠ هـ . وقد استوزر هذا الخليفة أبا الحسن علي بن الفرات ، وكان من أجلّ الناس وأعظمهم ، ثم استوزر عليّ بن عيسى بن الجراح ، وحامد بن العباس . وهؤلاء الثلاثة كانوا من ألمع الوزراء وأقواهم في تدبير الملك ، ولكن الفتن الداخلية والخارجية سدّت عليهم سبيل العمل المثمر ، فحالف المملكة سوء الحظّ ولولا ذلك لكانت خلافة المقتدر من أجدى العهود على الناس ، وعلى الرغم من هذا قام الوزراء بأعمال كثيرة بسط أمرها المؤرخ الصابي في كتابه « تحفة الأمراء

---

(١) انظر الفخري . ط . أوربة ص ٣٠٥ .

في تاريخ الوزراء »[1] وفصّله تفصيلاً لم يترك فيه زيادة لمستزيد يرغب في دراسة العصر والحكم وحال الشعب .

والذين يريدون أن يقفوا على حال الخلافة وهيبتها وسمعتها في الخارج — كما نقول اليوم — يستطيعون أن يرجعوا إلى كتب التاريخ ليروا إلى أيّ مدى كان الوزراء يطمحون في إعلاء شأن الحكم واظهار حال السلطان . فقد بسط ابن مسكويه في كتابه « تجارب الأمم[2] » حادثاً نحب أن نثبته هنا ، لنصوّر حال بغداد وحكومتها سنة ٣٠٥ للهجرة أي قبل أربع سنوات من سفر ابن فضلان قال مسكويه : « ودخلتْ سنة خمس وثلاثمائة : وفيها ورد رسولان لملك الروم إلى مدينة السلام ، على طريق الفرات بهدايا عظيمة وألطاف كثيرة ، يلتمسان الهدنة . وكان دخولهما يوم الاثنين لليلتين خلتا من المحرم ، فأنزلا في دار صاعد بن مخلد . وتقدم أبو الحسن ابن الفرات بأن يفرش لهما ويعدّ فيه كلّ مايحتاجان إليه من الآلات والأواني وجميع الأصناف ، وأن يقام لهما ولمن معهما الأنزال الواسعة والحيوان الكثير والحلاوة ، حتى يتسع بذلك كلّ من معهما .

« والتمسا الوصول إلى المقتدر بالله ليبلغاه الرسالة التي معهما فأعلما أن ذلك متعذر صعب ، لايجوز إلاّ بعد لقاء وزيره ومخاطبته فيما قصدا إليه ، وتقرير الأمر معه ، والرغبة إليه في تسهيل الأذن على الخليفة ، والمشورة عليه بالاجابة إلى

---

(١) طبع هذا التاريخ المستشرق آمدروز في بيروت سنة ١٩٠٤ ، وأعيد طبعه بمصر بعد ذلك .

(٢) تجارب الأمم لمسكويه ، طبع آمدروز ، بمصر ١٩١٤ ، ٥ / ٥٣ .

ما التمسا . فسأل أبو عمر عديّ ابن عبد الباقي الوارد معهما من الثغر أبا الحسن ابن الفرات الأذن لهما في الوصول إليه ، فوعده بذلك في يوم ذكره له .

« وتقدّم الوزير بأن يكون الجيش مصطفاً في دار صاعد الى الدار التي أقطعها بالمخرّم ، وأن يكون غلمانه وجنده وخلفـــاء الحجّاب المرسومين بداره منتظمين من باب الدار إلى موضع مجلسه ، وبسط له في مجلس عظيم مذّهب السقوف في دار منها ، يعرف بدار البستان ، بالفرش الفاخر العجيب ، وعلّقت الستور التي تشبه الفرش ، واستزاد في الفرش والبسط والستور ، ما بلغ ثمنه ثلاثين ألف دينار ولم يبق شيء تجمل به الدار ، ويفخم به الأمر ، إلاّ فعل . وجعل على مصلّى عظيم من ورائه مسند عال ، والخدم بين يديه ، وخلفه ، وعن يمينه ، وشماله ، والقواد والأولياء قد ملأوا الصحن . ودخل إليه الرسولان فشاهدا في طريقهما من الجيش وكثرة الجمع ماهالهما » .

وتابع مسكويه وصفه المفّصل البديع ، فرسم الرواق والرجال قد امتلأت بهم الدار ، وصحن البستان ، والمجلس الذي جلس فيه الوزير ، وذكر أن معهما المترجم يصف لهما ويشرح ، وأنهما جاءا في طلب الفداء فوعدهما الوزير ،والتمس لهما مقابلة يوصلهما فيها إلى الخليفة ، فلما كان اليوم المرسوم اصطّف الجنُد من دار صاعد إلى دار السلطان فوقفوا في الزي الحسن والسلاح والتام « وتقدم بأن تشحن رحاب الدار والدهاليز والممرات بالرجال والسلاح » ووصف مسكويه كيف أخذ الرجلان من ممرّ يُفضي إلى صحن ، ومنه إلى ممرّ فصحن ، يخرقان

الصحون والممرات حتى كلاّ من المشي وانبهرا ، لكثرة الرجال والسلاح ، ثم أُدخلا على الخليفة المقتدر .

وكان المقتدر جالساً على سرير ملكه ، وحوله الأولياء وقوف على مراتبهم فلما دخلا قبّلا الأرضَ ووقفا حيث استوقفهما الحاجب ، فأديا الرسالة ، فأجابهما عنه الوزير وانتهت المقابلة . فلما خرجا من حضرته خلع عليهما مطارف خزّ وعمائم خزّ . وأطلق على القواد الشاخصين من بيت المال مائة ألف وسبعون ألف دينار . وحمل إلى كل واحد من الرسولين عشرون ألف درهم صلة لهما ، وخرجا مع المترجم من حدود البلاد ، وتمّ الفداء .

ولعلنا أسهبنا في الرواية والنقل والتلخيص ولكننا أردنا أن نرسم حال بغداد والخلافة والوزراء ، والجند ، والمراسم ، قبل أربع سنوات من سفر ابن فضلان وخروجه من بغداد ، وأن نصوّر البلَد الذي خرج منه في حضارته وعمرانه وزيّه وتقاليده وأن نشير إلى الغنى والثروة والجاه والمنعة والقوة وبراعة التمثيل ، مما يبزّ أعرق الممالك في الحفاظ على التقاليد القديمة من دول أوربة اليوم . فما نظنّ أن واحدة منها تقف اليوم في مراسمها من الجند واللباس والفرش وتوزيع المال والاغداق ، لما كانت تفعل بغداد منذ عشرة قرون . بل اننا لا نكاد نرى سبيلاً للموازنة في اصطناع الهيبة وإنْظَار السفراء وبهر أبصارهم بين ماكانت عليه بغداد وماهي عليه أغنى عواصم الملك اليوم في الغرب .

وسنرى أثر هذا كلّه عند ابن فضلان ، فهو بعد أن عرف مافي عاصمته

ومملكته من ترف وحضارة ، أصبح يستصغر أحوال الممالك التي رآها ، وخاصة أوربة الشمالية ، فرسمها رسماً غريباً ، يشعرنا بأنه كان ينظر إليها في عجب كما ينظر بعض سفراء الغرب اليوم إلى من يسمونهم بسكان الممالك المتخلّفة . وهذا أوان الحديث عن الرحلة وصاحبها .

الوفد والخطة

رسمنا جانباً من حال الخلافة والخليفة ، لننتهي إلى أن سمعة بغداد في الخارج كانت جيّدة بل عظيمة ، يتهافتُ الملوك والامراء عليها ليعقدوا معها أجملَ الصلات وأوثقَ المحالفات . حتى أنَّ « الصقالبة » وهم من سكان الشمال في أوربة ، على أطراف نهر الفولغا ، وعاصمتهم على مقربة من « قازان[1] » اليوم في خط يوازي مدينة موسكو ، قد طلبوا عون الخلافة ومساعدتها . فقد ذكر ابنُ فضلان أن مليكهم « ألمش ابن يلطوار[2] » طلب إلى أمير المؤمنين المقتدر بالله أن يرسل إليه بعثة من قبله، تفقّهه في الدّين وتعرّفه شرائع الاسلام ، وتبني له مسجداً ، وتنصب له منبراً يُقيم عليه الدعوة للخليفة في جميع مملكته وسأله إلى ذلك أن يبني له حصناً يتحصّن فيه من الملوك المخالفين له . وقد بسط ابنُ فضلان أمرَ هؤلاء المخالفين

---

(١) عاصمة البلغار المتهدمة ، على ستة كيلو مترات ونصف من نهر الفولغا .

(٢) ذكرنا في حواشي النسخة تقلب الناسخ في رسم الاسم ، فقد وضعه مرة باسم الحسن بن بلطوار ، ومرة اخرى باسم « ألمش بن بلطوار » وقد حام المستشرقون كثيراً حول تحقيق التسمية ، فما ظفروا بطائل لأن تاريخ روسية لذلك الزمان لا يثبت التفاصيل ، ولا يعنى بها ، بل لا يعرف تاريخاً واسماً ، فالعرب مصدر هام من مصادرهم ، وخاصة هذه الرسالة .

فقال إنهم ملوك الخزر وهم من اليهود ، كانوا يعتدون على قومه ، ويفرضون عليهم الضرائب يؤدونها عن كل بيت في المملكة جلد سمور ، وابن ملك الخزر يخطب من يريد من بنات ملك الصقالبة ويتزوجها غصباً ، والخزري يهودي ، وابنة الصقلبي مسلمة . وقد رأى ابنُ فضلان أن مملكة الصقالبة واسعة وأموالها جمّة وخراجها كثير فسأل الملك عن سبب استنجاده بخليفة المُسلمين فأجاب بأنّه يتبرّك بأموال المسلمين ويعتزّ بدولتهم [١] .

وهذا الأمر يدعو إلى الزهو من جانب بغداد ، ويوضح هيبة الخليفة ، ويرسم مكانة السّلطان في أوربة آنذاك ، وخاصة حين يستنجد به ملك لمملكة واسعة ، ويسعى معه إلى حاف ثقافي ديني عسكري ، كما نعبّر عن ذلك اليوم .

ويبدو أن الخليفة أو وزيره حامد بن العباس [٢] أو كلاهما معاً ـــ فقد كانت سنّ الخليفة سبعاً وعشرين سنة — ارتضيا هذه المعاهدة حين وفد رسول ملك الصقالبة يسعى لها وهو « عبد الله بن باشتو الخزري » وعجيب أن يرسل الصقالبة رجلاً خزريّ الأصل ، ولعلهم اختاروه لمعرفته اللغة العربية ، أو لثقتهم به وبحسن إسلامه .

وتقرر أن يكون الوفد الرسمي من أربعة أشخاص هم سوسن الرسّي مولى نذير الحرمي ، وتكين التركي ؛ وبارس الصقلابي ، وأحمد بن فضلان ، ومعهم دليل هو رسول الصقالبة . ويُخيّل إلينا أن اثنين من أعضاء الوفد البغدادي يعرفان

---

(١) الرسالة بالورقة ٢٠٩ ظ .
(٢) في الرسالة أن ابن فضلان حمل كتابين من الوزير ومن الخليفة معاً .

الروسية ، فالأول (سوسن) يبدو في نسبته من بلاد الروس قد استجلب كرقيق ثم تعلّم العربية وحسن اسلامه وتقدّمت به مراتبه[١] والثاني بارس الصقلابي واسمه ونسبته دليلان على أصله[٢] . وأما الثالث فهو تركيّ الأصل يجيد لغات الأتراك التي يمرّ ببلادها الوفد في طريقه إلى الفولغا ، وقد كان حداداً في خوارزم ، وقف على بيع الحديد في بلد الكفار وهو الذي أقنع نذير الحرمي بايصال كتاب ملك الروس إلى الخليفة المقتدر بالله ــ فيما تقول الرسالة ــ وأما الرابع أحمد بن فضلان فهو فيما تُعلمنا الرسالة يجهل اللغات الأجنبية ، ولكنه على إلمام تام باللغة العربية وبالشريعة الاسلامية ، وإليه فيما رأينا رئاسة الوفد وقياده ، فهو في كل الظروف يأمر وينهى ويقرر الرحلة أو البقاء ، وهو نفسه يقول[٣] : « فندبت أنا لقراءة الكتاب عليه ، وتسليم الهدايا ، والاشراف على الفقهاء والمعلمين » . وقد علمنـــا من الرسالة أن الوفد سيحصل على المال اللازم للفقهاء والمعلمين ولبناء الحصن من خراج ضيعة معينة من ضياع ابن الفرات الوزير السابق[٤] ، وقد خلع قبلها ، وصودرت أملاكه ووزعت جراياتها ، وجُعلت للدولة تُنفقها كما فعلت في نفقات هذا الوفد . وقد أرفق الوفد بأشخاص ثانويين ذكرهم ابن فضلان فقال : « الفقيه والمعلم والغلمان الذين خرجوا معنا من مدينة السلام » ولعلهم في مرتبة الملحقين المعاونين كما نسميهم بلغة الدبلوماسية اليوم (بالورقة ١٩٩ و) .

---

(١) كان حاجب المكتفي فيما يبدو . انظر التعليقات الآتية .

(٢) بارس الحاجب قائد وأثر ، وهو غلام اسماعيل بن احمد صاحب خراسان ، كما في التعليقات .

(٣) الرسالة بالورقة ١٩٧ ظ .

(٤) هو أبو الحسن علي بن محمد بن الفرات من أجل الناس ، وزر للمقتدر ثم خلع ، وتفصيل أمره في التعليقات الآتية .

وقد حمل الوفد فيما حمل « أدوية » كان ملك الصقالبة طلبها من نذير الحرمي وهذه شهادة أخرى على تقدم المملكة العباسية ، وغنى حضارتها ، ووفرة الأدوية عندها ، وفقدانها في بلاد البلغار آنذاك .

وصف الرحلة

وفي الرسالة تفصيلات دقيقة على ايجازها وقصرها ، تحدّد لنا تاريخ الرحلة وأيامها وخطتها وسيرها ، وتتيح لنا أن نرسم الطريق الذي مرت فيه ، والأوقات التي قضتها في كل مدينة وقرية ، وعند كل نهر أو مفازة .

فقد رحل الوفد من بغـداد يوم الخميس ١١ صفر ٣٠٩ هـ (الموافق ٢١ حزيران ٩٢١) وظل يصعد شرقاً وشمالاً ماراً باقليم الجبال ، فهمذان فالرّي قرب طهران اليوم ، وعبر نهر جيحون ، فبلغ الى بخارى ، ثم أوغل في البراري والبوادي حتى وصل إلى الفولغا ، عند ملك الصقالبة ، يوم الأحد ١٢ محرم ٣١٠ هـ (الموافق ١١ أيار ٩٢٢) ، فاستغرقت رحلته أحد عشر شهراً في الذهاب ، لاقى خلالهـا مصاعب كثيرة وأهوالاً مذهلة ، وصفها ابن فضلان وصفاً جميلاً بارعاً يضعه في الصف الأول من الرحالة الأدباء .

فقد ذكر أنه تنكر في القافلة قبيل نيسابور خوفاً على نفسه ثم دهمه الشتاء في الجرجانية على نهر جيحون ، فإذا باب من الزمهرير قد فُتح ، واذا الريح عاصف شديدة ، فإذا خرج من الحمّام الى البيت جمدت لحيته فأصبحت قطعة واحدة من الثلج ، وإذا هو يبيت في بيت داخل بيت ، ويتدثّر بالأكسية والفراء ، ومع ذلك

يلتصق خدُّه على المخدّة لشدّة البرد . وحين أوغل في بلد الترك لقي الضر والبرد حتى أشرف على التلف فيمن معه . ولقيه واحدٌ من قطـــاع الطرق فأوقف القافلة بأسرها وهي نحو ثلاثة آلاف دابة وخمسة آلاف رجل ، فنجا منه بالهدية والحسنى وعبر الأنهار في جهد جهيد والغرق يتهدّده مع القافلة كلها .

وهو على هذه الأخطار التي واجهته ، والدسائس التي تربصت به ، والمشقة الطويلة التي عاناها ، كان شديد الايمان بالله ، عظيم التمسك بدينه وأخلاقه وتقواه لايخون الأمانة ولوخانها رفاقه ، ولا يفتر عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر طوال الرسالة ، فتراه يضرع إلى الله أن ينجيه من شرّ ما يلقـــاه ، ويبرأ إليه من شرور الناس الذين يراهم في طريقه . يتقزز من القذارة والأوساخ . والاسلام أمر بالنظافة وجعلها من الإيمان . ويهوله أن يرى النساء إلى جانب الرجال ، بل يفزعه أن يراهنّ في عرى مخجل فيدعوهنّ إلى التستر[1] ، فإذا شاهدهن في الماء بغير ثياب طارصوابه ، وفزع إلى الله من شر الكفر الذي كان يسمعه من الكفار في سبيله . وكم تلفت إلى أمور الدين وهو في أشـــد المواقف خطراً ، فنعى على القوم أنهم « لا يستنجون من غائط ولا بول ولا يغتسلون من جنابة[2] » ، وكم ستر وجهه حين تكشف النسوة عن عوراتهن . وكان يرتجفُ لسماع أسئلة ملؤها الكفر ، فيستغفر الله لسائله حين يقول له « ألربنا عز وجل امرأة ؟ » ولفت نظره أن الرجال هناك ينتفون لحاهم ويرسلون سبالهم فشبههم بالتيوس . وغمّه أن يسجد

---

(١) في الرسالة ، بالورقة ٢٠٧ ظ : « وما زلت أجتهد أن يستتر النساء من الرجال في السباحة فما استوى لي ذلك »

(٢) الرسالة ، بالورقة ٢٠٠ و .

أقوام لخشب ينحتونه على أشكال مخزية ، أو أن يتخذوا أرباباً كثيرة ، فيتلو للحال آية الله الكريمة : « تعالى الله عما يقول الظالمون علوّاً كبيراً » وساءه أن تعبد طائفة من الطوائف سمكاً أو حيّات أو كراكي ·

بل إنّه ليتمسّكُ بالدّين وتقاليد الاسلام ، فيأمر الملكَ برد السلام على أمير المؤمنين ، ويمنعه من تسمية نفسه بالملك ، لأن الله هو الملك وانما يستطيع أن يلقب نفسه بعبد الله وأورد في ذلك حديثاً للنبي صلوات الله عليه في هذا الصدد ثم انه يأمر المؤذن بافراد الاقامة وكان يثنيها إذا أذن ، حتى لقد عرف الملك شدة تقواه فسمّاه « أبا بكر الصديق » وآثره وقرّبه وباعد أصحابه ، وقد اعترف بأن رجلاً أسلم على يديه وكان اسمه « طالوت » فسمّاه « عبد الله[1] » وأسلمت امرأته وأمّه وأولاده فسمّوا كلهم باسم « محمد » وعلّمَ الرجلَ سورَ القرآن القصار ، فكان فرحه بذلك أكثر من فرحه إذا صار له ملك الصقالبة .

ويطول بنا الأمر ان رحنا نستعرض ما في الرسالة من تمسك ابن فضلان بدينه ، وفرحه لشعائر الاسلام ، وغضبه لانتهاك حرمة المسلمة حين ذكر أن ملك الخزر اليهودي يغصب المسلمة الروسية على الزواج منه . وذلك كثير في الرسالة يشير إلى أن الرجل قام بمهمته في الدعوة للدين والتبشير به خير قيام ، فقد وفد لهذا ، وذكر أن البعثة كانت تريد تفقيه الشعب هناك بالدين في جملة مهامها . ونظن أنه انما فصّل الأمر في احراق الروس أنفسهم ، واحراق جارية مع الميت ، كان

(١) الرسالة ، بالورقة ٢٠٧ ظ .

لكرهه ذلك ، وغضبه من مرأى الجارية يتناولها الفجار من اصحاب الميت في أوضاع يأباها الاسلام والدين والذوق .

* * *

والعجب أشد العجب في هذه الرسالة ، يخطّها رجل فقيه ، فيجيدفي الوصف على أروع ما يجوّد فيه الأدباء ، يصوّر مايجول في نفسه من مشاعر الفرح والغبطة والخوف والفزع ، والعجب والدهشة ، فيقربنا من المشاهد التي رأى تقريب أديب أريب لافقيه مبشّر . ولولا أنه ذكر مهمته وألحّ على بيانها ، وأكثر من النصح والنهي، لسلكناه في الأدباء والقصاصين فحسب ، وذلك لبراعة قامه وحسن بيانه وجودة عبارته ، وشدة أسره ، وعظيم ايجازه في التعبير ، ودقته في اللفظ وانسيال الجمل على قامه في سهولة ويسر ، وفي تتابع من غير تقطيع ولا استطراد . فلم نقع على تقعّر في المفردات ، ولا تكلّف في الانشاء ، فأسلوبه من السهل الممتنع وبيانه من الإيجاز بحيث يقع في صدور الكتّاب وفي طليعة المنشئين . وأما رسالته من حيث المنهج فهي أشبه بالقصة ، تتماسكُ حلقاتُها وأحداثُها ، كرواية متشابكة متصل أولها بآخرها .

وهو على ايراده الأرقام والأعداد في ذكر التواريخ والمسافات والأبعاد والأيام ، لا يبتعدُ عن أسلوب الأديب ، ولا يتقرّب من أسلوب الجغرافي . فلا نرى له ذكراً لدرجات الطول والعرض ومواقع البلدان ، ودرجات الحرارة وموازنة الأقاليم بعضها ببعض كما يصنع الجغرافيون . ويعتمد في حكايته للأحداث

التي مرت به والأشخاص الذين لقيهم على المحاورة المباشرة ، كقصة كتبت لأيامنا وهذا سر نجاحه في رسالته ، وسرّ الاعجاب بها والعكوف عليها ، حين اتخذها المستشرقون موضعاً للترجمة والنقل فرأوا فيها قطعة من الأدب الرائع في الرحلة .

وقد أفاده أدبُ القرآن والحديث في أسلوبه ، فاقتبس منهما من غير أن يتكلَّف ذلك ، كأنه تشبَّع به فسالَ بيانُه مشرقاً متيناً لا ضعف فيه ولا انحطاط . فإذا بدا بعضُ التفكك في هذه النشرة فمردَه إلى حال النسخة وتصحيفها وإلى الترقيع الذي أدخل عليها في التصحيح ، فالثوب الرائع لا يصلح رتقه إلاّ الناسج الرائع . وأنى لبياننا أن يصلح من بيانه ما أفسد الدهر والنّساخ .

أهمية الرحلة :

يقول المستشرق الأستاذ « فرمن » حين قَدّم لدراسة ابن فضلان في الألمانية ان تاريخ روسية وما جاورها في العصور القديمة غير معروف وهو مايزال غامضاً مبهماً في أكثر نواحيه لم يضىء من جوانبه أحــد من الأوربيّين . وفي زمن نسطور « Nestor » كتب عن البزنطيين والفرنك والسكاندنافيين ولكن ما كتب لم يتوسع في أخبار الروس . فإذا كان الغرب قد أغفل روسية فان العرب والشرقيين تحدّثوا عنها ، فألقى العرب أنواراً كثيرة على تاريخ الغرب القديم ، وأدلى بمعلومات نافعة وخاصة عن البلغار وروسية في عهدها البعيد ، وبذلك فتح العرب عيون الغرب على معلومات في الكون عجيبة من أقصى الهند والصين إلى المحيط الأطلسي . فقد كتبوا عن مجاوريهم في حدود واسعة ، ووصفوا الهند والنيجر

والفولغا . وذلك لأن تعاليم الدين الاسلامي توحي بطلب العلم وتفرضه وتطالب السعي إليــــه .

ذلك ما قاله المستشرق منـــذ مائة عام في فضل العرب على الغرب من حيث كتب الرحلة ، أثبتناه ، لنبين أهمية ما كتبه الأجداد ، وفيهم ابن فضلان ، ولنشير إلى يدهم في الكتابة عن أقطار الغرب ، وعن روسية خاصة . فالقوم لا يعرفون من تاريخها القديم كبير أمر . فلما وقعت إليهم رسالة ابن فضلان فرحوا بها لأنها تسدّ ثغرة كبيرة في الحديث عنهم لماضيهم البعيد ، ولعلها وحدها تنير صفحات واسعة في حياتهم ، وتتحدث عن معيشتهم في أمانة ودقه وتوفيق .

ونحن لا ننظُر إلى الرسالة من هذه الناحية فحسب ، وإنما نرى أنّ الرجل قد صوّر الرحلة والعادات والتقاليد والحياة والأخلاق في ذلك العصر ، في مختلف المناطق التي مر بها أو قام فيها ، فلم يغفل كثيراً ممّا يحتاج إليه ذلك الزمان ، وكان دقيق الملاحظة ، يسجّل أكثرَ مايرى السائح ، وينقل إليه مايدورُ خلالَ السياحة من حوار ودسائس ، ويصفُ الحكّام والأمراء ورجال الشعب على حدّ سواء ويرسم الهيئات والوجوه على ايجاز الرسالة وقصرها .

مرّ ببخاري فوصف الدراهم الغطريفية وتركيبها وقيمتها ، وفعل مثل ذلك حين وصل إلى خوارزم فوصف دراهمها وتركيبها وتسميتها بالطـــازجة ورسم وحشية أهلها وصوّر كلامهم بأنه أشبه شيء بصياح الزرازير ، كما صور كلام قرية قريبة بأنه أشبه شيء بنقيق الضفادع فبّين حال الأجنبي حين يسمع لغــــة لم يألفها سمعه ، فحار في تشبيهها ورسمها .

ورسم اللبـــاس في البلاد التي مرّ بها ، وقرب إلينا أشكاله حتى ليستطيع الرسام أن ينقل منه صوراً لأزياء البلاد في ذلك الزمان ، عن رحالة شاهد بعينه وصوّر بقامه ، وأسمـــاء الألبسة مهمة جـــداً لمن يريد أن يدرس الحياة الاجتماعية والبشرية .

وأما عاداتُ تلك الشعوب في عيشها وحديثها وتديّنها فقد أحسن في بسطها فشرحَ حالَ الزواج والمهر وشروطه ، وأوضاع السكنى والمأكل والمشرب ووفاء الدَّيْن وحالَ المدين ، والضيافة واستقبال الزائرين والغرباء ومراسم ذلك كله في هذه الأصقاع .

والمهم في هذه الرسالة أنه خصّ بلاد البلغار والروس بوصف محيط دقيق وصف الصقالبة فأفاض في مراسم الاستقبال ، وفي عيش القوم ، وجلوس المليك وطريقة الأكل مما يخالف حياة العرب ومأكلهم . ووصف المائدة . وقد جلس مليكهم فأخذ سكيناً ، وقطع لقمة من اللحم المشوي وأكلها ، ثم دفع قطعة إلى غيره ، فلا يمـــد أحد يده إلى الأكل حتى يناوله الملك قطعته . وكان كلّ يأكل من مائدته لا يشركه فيها أحد ، ولا يتناول من مائدة غيره شيئاً .

ووصفَ قصرَ اللَّيْل وطولَ النهار في تلك البلاد ، حين حار في تأدية صلاة المغرب مع صلاة الصبح وقرب طلوعَ الفجر . وذكر أن القوم يأكلون لحم الدابة وأنهم لا يجدون موضعاً يجمعون فيه الطعام ، فيعمدون إلى آبار يحفرونها في الأرض ويجعلون فيها الطعام ، ولا تمضي عليه أيام حتى يتغير وينتن . وليس عندهم زيت أو شيرج وإنما يستعملون زيت السمك .

ثم ذكر أن القوم يلبسون القلانس ، ويرفعونها عن رؤوسهم حين يمرّ بهم الملكُ ويجعلونها تحت آباطهم ، وينهضون له واقفين ، فاذا جاوزهم ردّوا القلانس إلى الرؤوس . وأنهم يحيّون الملك بمثل ذلك ، حين الدخول عليه ، ويحنون له الرؤس وينتظرون الاذن بالجلوس . وذكر أنهم ينزلون إلى النهر فيغتسلون رجالاً ونساء وهم عراة ، وقانونهم في الزنا شديد فهم يقطعون المجرم بالفأس من رقبته إلى فخذيه .

ودفنُ الموتى عندَ المسلمين منهم يكون بعد الغسل بأن يحملوا الميت في عجلة ، وأن يواروه اللَّحد ، ويجعلون بعد ذلك سلاحه عنده حول قبره ولا يقطعون البكاء عليه سنتين .

ثم وصف الروس في أبدانهم فرأى أنهم شقر حمر ، وأن الرجل منهم يحمل سيفاً وفأساً وسكيناً لا تفارقه . والمرأة تجعل على ثديها حقّة مشدودة من حديد أو فضة أو نحاس أو ذهب على قدر غناهـا ، وفي كل حقة سكين مشدودة على الثدى ، وفي عنقها طوق أو طوقان على قدر ثروتها كذلك . وقال إنهم يجتمعون على السكنى في بيت واحد عشرة أو عشرون ولكل منهم سرير يجلس عليه ، وحياتهم الزوجية عجيبة مكشوفة لا حياء فيها ولا عار ، على قذارة في الثيـاب والأبدان . فهم يغسلون وجوههم في طست واحد يطـاف عليهم به يرسلون فيه كل ما يخرج من أفواههم وأنوفهم . وأنهم يسجدون لخشب ركزوه في الأرض وقد صنع على شكل صور ، يستشفعون إليه ويتضرعون وله يتصدقون .

وفصّل الأمر في الموت عند الروس تفصيلاً بارعاً ، فقد وقف على ذلك بنفسه وشاهده بعينه ، فقص علينا ما رأى من موت روسيّ جليل . فقال إنهم جعلوه في قبر وسقفوا عليه عشرة أيام حتى فرغوا من قطع ثيابه . ثم سألوا جواريه مَن تموت معه ، فإذا كان يوم الحرق شربت الجارية وغنَّت ، وأحضرت إلى سفينة معدّة لذلك الأمر . وأخرجوا الميت من قبره وجعلوا معه نبيذاً وفاكهة وطنبوراً ، وألبسوه أجملَ الثياب الفاخرة وأدخلوه القبّة ، وطرحوا بين يديه المآكل ، ثم دفعوا الجـــارية بعد أن تودع صواحبهـــا ، فخنقوها وقطعوا أضلاعها ، ثم أحرقوا الخشب تحت السفينة ، حتى أصبحت رماداً تذروه الرياح ، وغرسوا في موضعها خشبة عليها اسم الميت واسم ملك الروس .

ولا نستطيع أن نسرف في رواية ماجاء عند ابن فضلان وما قصّ من مشاهداته في بلاد الروس ، فالرسالة بين الأيدي تفصّل الدقائق وتوضّح الحركات في شكل دقيق لانراه في مصدر عربيّ أو غربيّ غيرهـــا . ويستطيع المصور أن يتخذ من التفصيلات مادة للوحة الحرق عند الروس في ذلك الزمان ، لدقتها الشديدة ووضوحها البيّن . وقد استقى فنان روسي اسمه (هنري سميرادسكي [1]) من هذه الرسالة لوحة للدفن ، تزيّن اليوم أزهى متاحف الروس في لننغراد رفعت اسم ابن فضلان إلى مراتب الخلود والشهرة ، وأكسبت رسالته سمعة عالمية .

ونحن لا نريد بهذا أن نقول إن ابن فضلان وحده ذكر احراق الموتى عند الروس ، ولكننا نريد أن نشير إلى أنه وحده فصّل الأمر ووصف الحرق وصف شاهد معاين . فالجغرافيون العرب في القرن الرابـــع ذكروا أن الروس كالهنود

(١) Henri Semiradski

يحرقون موتاهم ، فقال ابن حوقل : « والروس قوم يحرقون أنفسهم إذا ماتوا ويحترق مع مياسيرهم الجواري منهم بطيب أنفسهن ، كما يفعل بغانة وكوغة ونواحي بلاد الهند » وقال المسعودي[1] : « فأما من في بلاده من الجاهلية فأجناس منهم صقالبة وروس وهم في أحد جانبي هذه المدينة ، ويحرقون موتاهم ودوابهم ، والآلة والحلية . وإذا مات الرجل أحرقت معه امرأته وهي في الحياة ، وان ماتت المرأة لم يحرق الرجل ، وإن مات منهم عزب زوج بعد وفاته . والنساء يرغبن في تحريق أنفسهن لدخولهن عند أنفسهن الجنة ، وهذا فعل من أفعال الهند » . وقال غيرهما مثل هذا ، ولكن هذه الأقوال ليس فيها كبير غناء من حيث الدقة والقصة والحكاية ، فهي أخبار منقولة تواترت ، وربما كانت في أكثرها مأخوذة عن ابن فضلان ، والفضل للمتقدم .

وهنا يجب أن نشيد بفضل الرسالة على الجغرافيين والمؤرخين من العرب فهم كلما تحدثوا عن هذه الأصقاع نقلوا عن ابن فضلان من غير أن يذكروا غالباً اسمه أو رسالته ، اللهم إلا ياقوت الحموي ، فقد نقل عنه حرفياً صفحات كثيرة من الرسالة — كما نبين بعد قليل — ونقده وخالفه في بعض المواضع ، وأخذ عليه أشياء ، وكذبه في أشياء ، ولكنه على كلّ حال أثبت اسمه في كل موضع نقل عنه من مواضع معجم البلدان . فالرسالة في ذلك مرجع من أهم المراجع عن البلاد التي زارها وخاصة بلاد البلغار وبلاد الروس . وذلك سبب عناية المستشرقين بها ، بل لعله أحد الأسباب التي دفعتنا إلى تحقيقها والعمل لها على الطريقة التي نشرحها في الفصل التالي .

(١) مروج الذهب ، طبعة باريس ٢ / ٩ .

الفصل الثاني

تحقيق الرّسالة

مؤلفها — فصول من الرسالة — مخطوطة الرسالة — طريقتنا في التحقيق



تحقيق الرسالة

مؤلفها

رأينا أن ابن فضلان بدأ رحلته في ٢١ حزيران ٩٢١ ، من بغداد وبلغ إلى نهر الفولغا عند ملك الصقالبة يوم الأحد ١١ آيار ٩٢٢ م ، فاستغرقت رحلته في الذهاب أحد عشر شهراً ، ولكننا لم نعرف طريقه في العودة ، ولم نقف على تاريخها والمدّة التي قضاها في ذلك حتى وصل بغداد . وانما نعرف عن ياقوت أن الرجل عاد من رحلته إلى العاصمة ، فقال عنه : « منذ خرج من بغداد إلى أن عاد إليها[1] » .

والمصادر التاريخيّة لا تفصح عن شيء من أمر هذه الرحلة ومن صاحبها فلم نقع على ترجمة لابن فضلان في كتب الجغرافية والتاريخ والأخبار ، ولم نر سطراً واحداً يُشير إليه ، فنحن نجهل كل الجهل ما كان من اسمه . فهو عند ياقوت « أحمد ابن فضلان بن العباس بن راشد[2] بن حمّاد مولى محمد بن سليمان رسول المقتدر بالله » وهذا يطابق ماجاء في الرسالة المخطوطة بالعنوان ، ولكنه يخالف ماجاء في المخطوطة نفسها حين أعلمنا ابن فضلان أنه أسلم على يديه رجل اسمه « طالوت»

---

(١) معجم البلدان ٢ / ٤٨٥ وما بعدها .

(٢) صحف ياقوت هذا الاسم في بعض المواضع فقال : « ابن اسد » ولعله من النساخ .

فأسماه عبد الله ، فقـال الرجل : « أريد أن تسميني باسمك محمداً[1] » ويقول المؤلف : « ففعلت » فهل نرى في هذا تناقضاً واختلافاً ، أم نرى فيه تصحيفاً من الناسخ ؟ أم نقبل فيه بأن خير الأسماء ماحمّد وعبّد .

وليس الاسم وحده هو الذي يستوقفنا ، وانما اسم فضلان ، فالوزن عربيّ معروف ، ولكننـا لم نقع على « فضلان » في الأسمـاء المشهورة لذلك العصر مع أنّ الرسالة تقول إنه مولى لفاتح مصر محمّد بن سليمان[2] ، ويقول ياقوت إنه كان مولى لمحمد بن سليمان ثم مولى أمير المؤمنين فهو من العجم الموالي[3] لذلك الزمان .

والمؤلف في رسالته يدعونا إلى الاعتقاد بغير ذلك ، فينقل إلينا قولَ ملك الصقالبة يخاطبه معرّضاً بأصحابه في الرحلة : « انما أعرفك أنت ، وذلك أن هؤلاء قوم عجم » . فهل يريد بذلك أنه عربيّ اللسان أم عربي الجنس ؟ أم أن الملك يجهل أصله فدعاه كذلك ؟ !

وأين ولد ابن فضلان من بلاد العجم أو العرب ، وكيف نشأ ، وماذا شغل من مناصب دينية قبل البعثة إلى البلغار ، وماهي صلته بالوزير حامد بن العباس ،

---

(١) الرسالة ، بالورقة ٢٠٧ ظ .

(٢) محمد بن سليمان بن المنفق أبوعلي الكاتب كما جاء اسمه في تجارب الأمم ٥/١ ، فتح مصر وشتت آل طولون ودخلهـا سنة ٢٩٢ ه ، وقتل سنة ٣٠٤ ه ، وحصلت الري بيد أحمد بن علي صعلوك بعده – انظر الفرج بعد الشدة ١ / ١٨٠ .

(٣) في المولى – انظر دراسة المستشرق فون كريمر ، عن الثقافة في عهد الخلفاء (بالألمانية) ١ / ١٠٤ ، طبع سنة ١٨٨٨ م – ولاحظ أن ياقوت يسميه « مولى أمير المؤمنين ثم مولى محمد بن سليمان »

وماهي ثقافته الأدبية والدينية ، وماذا خلّف من كتب غير هذه الرسالة ؟ . إنّنا انتهينا في تحليلها قبل قليل إلى أن الرجل كان على ثقافة دينية وأدب رفيع ، وأسلوب جميل ، وورع وخلق وحبّ لنشر الاسلام وصدق في الحديث ، وعفّة في المال ، ولكننا رأينا عنده سذاجة ، لعلها راجعة إمّا إلى سنّه المتقدمة أو إلى حالته الخاصة.

أما السنّ فقد لاحظنا أنه تحمّل هذه الأسفار فخاض الأنهار وسكن قرب الثلوج وركب الجمال والسفن وعبر البوادي والصحارى والقفار والغابات وسار سيراً حثيثاً بأشد مايكون في الجبال والوديان ، وغامر مغامرة الشباب وخاطر بحياته فرأى الموت بعينيه . فهل كان في حال جسمية تحتمل مثل هذا العذاب في الرحلة أم كان في سنّ قريبة من الشباب ؟ ومهما يكن من أمر ، فالذي ساقه من حكايات كان راجعاً إلى عقليته التي تقبل هذا الخيال ، فقد نظر إلى السماء في بلاد البلغار ، فإذا بالجو يحمر وإذا بأصوات شديدة وهمهمة عالية ، وإذا بأشباح تحمل السيوف والرماح على قطعة أخرى فيها أشباح تحمل السيوف والرماح وفي كل منها رجال ودواب وسلاح ، كما تحمل الكتيبة على الكتيبة . ففزع من ذلك وأقبل على التضرع والدعاء . والقوم يضحكون منه ومن زملائه ويتعجبون . فإذا سأل عن ذلك زعموا له أن هذا الفعل من مؤمني الجنّ وكفّارهم يقتتلون في كلّ عشية .

وكذلك وصفه لرجل من قوم يأجوج ومأجوج . قصّ الملك عليه قصته ، له رأس أكبر من القدور الكبيرة ، وأنف أكثر من شبر ، وعينان عظيمتان . فروى ابن فضلان الخبر ، ثم زاد عليه بأن الله يُخرج للقوم كلّ يوم سمكة من

البحر ، يحتزّ منها الواحد ما يكفيه ويكفي عياله ، ثم يردّها إلى البحر تتقلّب ، فإذا أخذ فوق حاجته اشتكى بطنه .

وما بسطنا هذا لننقد ابن فضلان أو نزري بقدره فلعلّه كان يتوهم حقاً هذا الذي يصف ، أو لعله خاف فتخيل الذي قال ، فليس من هيّن الأمور أن يبلغ رجل في عصره ما بلغ إليه من رحلة بعيدة يصل فيها إلى بلاد البلغار والروس ، وأن يرى العجائب التي رأى على وسائط ذلك الزمان ، ومصاعب المواصلات . وكثير من الرحالة والجغرافيين رووا مثلما روى وأوغلوا في الأساطير ، حتى لقد دخل ذلك في كتب التاريخ عندنا ، وروى المؤرخون مثله على سعة عقولهم وأحلامهم. ولكننا أردنا أن نشير إلى ما كان من ثقافة ابن فضلان وتأثره بالقصص القديمة السائرة في عصره والتواريخ المنشورة المترجمة عن الفرس ، مما أدخله اليهود وغير اليهود في عقول الناس لذلك الزمان . ولأمر ما كان يدور على الألسنة في ذلك العصر خطر الدخول إلى تلك البلاد ، حتى قال ابن حوقل وهو في القرن نفسه عن بلاد الروس : « فلم أسمع أحداً يذكر أنه دخلها مع الغرباء لأنهم يقتلون كل من وطىء أرضهم من الغرباء ، وانما ينحدرون في الماء يتّجرون ولا يخبرون بشيء من أمرهم ومتاجرهم . ولا يتركون أحداً يصحبهم » .

وابن فضلان دخل البلغار . ورأى الروس يتّجرون في تلك البلاد وعاد منها بوصف لرحلته ، أشبه ما يكون بالتقارير الرسمية التي يكتبها السفراء اليوم عن بلاد عجيبة غريبة ، فوفق في ذلك أشد التوفيق ، بل وفق أكثر من بعض السفراء

الدبلوماسيين لعصرنا في تقريره ، فنحن نرى في خلطهم اليوم في فهم الشعوب وعاداتها وتقاليدها ما يجعل ابن فضلان سيّداً من سادة الساسة في عصره وغير عصره .

وهذا دليل على أن الرجل نجح في مهمته ورسالته وكان حقاً عند حسن ظن المسئولين به عندما اختاروه لهذه الوفادة الشاقة ، فلا شك في أنهم كانوا ينظرون إليه على أنه شخصية ممتازة . فقد وقع عليه اختيار الخليفة أو اختيار الوزير حامد ابن العباس لرئاسة هـذا الوفد ، وكلّفاه بتسليم رسالة لكل منهما يحملها إلى ملك أوربي يعرفان أتم المعرفة أن الصلات بمملكته حين تتوثق ستزيد المسلمين قوة ودعاية ورفعة . وليس من اليسير أن يختار الخليفة أو وزيره رجلاً لا يكون محنكاً أو مجرّباً .

ويبدو أن الأوائل قبلنا جهلوا عنه كل شيء ، فنقل عنه الجغرافيون كما قلنا ولم يذكروا اسمه ، ولم يعرضوا له في مصادرهم التي أخذوا منها . فقد قرأ الرسالة منذ القرن الرابع وما بعده الأصطخري ؛ وابن رسته ؛ والمسعودي ، ولكنهم لم يُثبتوا في كتبهم أنهم نقلوا منه ، فاختلط عندهم ما جمعوه من غيره بما نقلوه عنه . وفي القرن السابع كان ياقوت أوّل من أشار إلى فضله ، واختار فصولاً من الرسالة جعلها في كتابه « معجم البلدان » وهي التي عَرّفتْ به في العصر الحديث وسيرّت ذكره

فصول من الرسالة

قال ياقوت في كتابه[(١)] : « وقصة ابن فضلان وانفاذ المقتدر له إلى بلغار مدونة معروفة مشهورة بأيدي الناس . رأيتُ منها عدة نسخ » و بذلك نعرف أن نسخ الرسالة كانت متوفرة في القرن السابع ، يعرفها الناس ويتداولونها ، ولاشك في أنّ ياقوت رأى بعض هذه النسخ خلال رحلاته وأسفاره في بلاد العجم والأتراك ، فنقل من إحداها فصولاً عدّة ، وجعلها في كتابه مادة يستنير بها ويستشهد على الأقاليم والبلدان التي أراد أن يصفها على عادته . وهذا بيانٌ بالفصول التي نقلها مرتّبة وفاق صَفحات الرسالة وإلى جانبها مايقابلها من الأوراق في هذه المخطوطة التي ننشرها :

١ — خوارزم[(٢)] : ١٩٨ و + ١٩٨ ظ .

٢ — باشغرد[(٣)] : ٢٠٣ و .

٣ — بلغار[(٤)] : ٢٠٣ ظ — ٢٠٦ ظ .

٤ — اتل[(٥)] : ٢٠٨ و — ٢٠٩ و .

٥ — روس[(٦)] : ٢٠٩ ظ — ٢١٢ ظ .

٦ — خزر[(٧)] : ٢١٢ ظ .

---

(١) معجم البلدان ، الطبعة الأوربية ، ١ / ١١٣ .
(٢) معجم البلدان ، « « ، ٢ / ٤٨١ — ٤٨٠ .
(٣) المصدر المذكور ، « « ، ١ / ٤٦٨ — ٤٦٩ .
(٤) « « ، « « ، ١ / ٧٢٢ — ٧٢٥ .
(٥) « « ، « « ، ١ / ١١٢ — ١١٣ .
(٦) « « ، « « ، ٢ / ٨٣٤ — ٨٤٠ .
(٧) « « ، « « ، ٢ / ٤٣٨ — ٤٣٩ .

فهو قد أثبت قرابة عشرين صفحة من هذه الرسالة ، وترك خمس عشرة صفحة منها ، فكأنه نقل ثلثيها ، وبقي ثلث واحـــد — على الأقل — مجهولاً لم يظهر في مصدر أو كتاب . وطريقة نقله واضحة بيّنة ، فهو يفتتح غالباً بقوله : « قرأتُ في كتاب[1] أحمد بن فضلان . . . ويختتم : « هذا ما حكاه » ، أو يفتتح بقوله : « قال أحمد بن فضلان رسول المقتدر إلى الصقالبة في رسالة أحمد بن فضلان . . . حكى فيها ماعاينه منذ انفصل عن بغداد إلى أن عاد إليها ، فحكيتُ ماذكره على وجهه استعجاباً به » .

وتعليقاته على ماينقل من ابن فضلان تحمل طابعه في الصراحة والنقد والشدة فيقول بعد أن يروي الوصف في إتل : « قال المؤلف رحمَه اللهُ : هذا وامثاله هو الذي قدمتُ البراءةَ منه ، ولم أضمن صحته » . ويقول معلقاً على وصفه للخزر : « قال عبد الله الفقير : وهذا كذب منه فان أكثر مايجمد خمسة أشبار وهـــذا مايكون نادراً ، فأما العادة فهو شبرانـــ أو ثلاثة شاهدتُه وسألتُ عنه أهلَ تلك البلاد ، ولعلّه ظن أن النهر يجمد كله وليس الأمر كذلك » . ويعلق بعـــد سطور : « قلتُ : وهـــذا أيضاً كذبٌ لأن العجلة أكثر ماتجر على ما اختبرته وحملت قماشاً لي عليه ألف رطل لأن عجلتهم جميعها لاتجرها إلا رأس واحد إما بقر أو حمار أو فرس.وأمارخص الحطب فيحتمل أن كان في زمانه بذلكالرخص فأما وقت كوني بها فانمائة مَنٍّ كان بثلاثة دينار ركني » ثم يقول معلّقاً بعـــد

(١) نلاحظ أن ياقوت يسمي الرسالة تارة « كتـــاب أحمد » ١ / ١١٢ وطوراً « قصة ابن فضـــلان » وأحياناً « رسالة » .

سطور : « قلتُ أنا : وهذا من رسمهم صحيح إلاّ أنه في الرستاق دون المدينة شاهدت ذلك » .

ونلاحظ أن ياقوت الحموي لا يكتفي برواية الخبر ونقله ، وانما يقلبه على وجوهه ، فان كان قد زار البلاد ، كما وقع في الخزر ، فهو يناقش الرواية ويذكر ماكان لزمانه ،وبينهما ثلاثة قرون على الأقل[1] . وإن كان لم يزرها أبدى استعجابه مما يقرأ كما فعل في وصف الروس ، أو تبرأ سلفاً مما ينقل كما فعل في وصف نهر إتل ويوافق ابن فضلان حين يتأكد صحة روايته . وهو فيما عدا ذلك أمين صادق ثبت ، شديد الفهم لما يقرأ ، قويّ التتبع لما ينقل ، إلا حين يحذف من الأخبار والأحداث مالايدخل في كتابه . ولذلك كان كتابه معجم البلدان أحسن كتاب يعرض فصول ابن فضلان ويمثلها تمثيلاً صحيحاً بالجملة .

والمستشرقون هم أول من تنبّه إلى خطر هذه الرسالة ، فبحثوا عنها في المراجع العربية ، ورأوا أن فصولاً منها أثبتها ياقوت وحده مشيراً إلى صاحبها ، فراحوا منذ أهلّ القرن التاسع عشر يُعنون بها دراسة وتعليقاً ، وترجمة ، فنشر بعضهم سنة ١٨٠٠ ما قاله الجغرافيون العرب عن الروس وفيهم الادريسي والمسعودي وابن فضلان .

وفي سنة ١٨١٤ جمع المستشرق راسموسن Rasmussen مقاطع من هـــذه

---

(١) ولد ياقوت الحموي في آسية الصغرى سنة ٥٧٤ هـ ، وتوفي بحلب سنة ٦٢٦ هـ ، وطـاف أصقاعاً كثيرة مما رأى ابن فضلان . وكان ثقة صادقاً فيما ينقل .

الفصول وترجمها إلى الروسية ، ونقلها عنه إلى الانكليزية نيكلسون بعد أربع سنوات .

وفي سنة ١٨١٩ راح المستشرق الألماني فرهن[1] Fraehn يجمع مخطوطات ياقوت ليستخرج منها مانقله عن ابن فضلان ، وينشرها تباعاً فنشر سنة ١٨٢٢ الفصل الخاص بالخزر إلى اللاتينية ، ومعه ماقال ابن حوقل فيهم . وفي سنة ١٨٢٣ نشر الفصل الخاص بالروس إلى اللغة الألمانية مع شيء كثير من التفصيلات والتعليقات فكان مؤلفه كتاباً ضخماً كبيراً بلغ ٢٦٨ صفحة من القطع الكبير . مع العلم بأن الفصل عن الروس لا يتجاوز إحدى عشرة صفحة ، ترجمها في إحدى عشرة صفحة مقابلة إلى الألمانية ، وعلق عليها في ١١٥ صفحة زخرت بالنقول عن اليونانية والفرنسية والانكليزية والعربية ، وأتبعها بالفهارس والملاحق على نفقة المجمع العلمي القيصري آنذاك[2] .

وهذا الكتاب على قدمه جدير بالترجمة والنقد والدراسة لمن يعنون بما قال العرب عن روسية ، وما وقع لعلماء الآثار من النقود والأقمشة مما يلمّ بتاريخ تلك البلاد منذ عصر المقتدر ، فقد ذكر الرجلُ أن نقوداً عربية ماتزال محفوظة

---

(١) ولد فرهن الألماني في مدينة روستوك سنة ١٧٨٢ ، وتوفي في روسية سنة ١٨٥١ ، وكان من كبار المستشرقين الألمان ، واشتهر خصوصا بالنقود الشرقية ، وله من التأليف مايزيد على مائتي كتاب ، وكان عضواً في مجامع عدة بسان بطرسبورغ واستوكهلم وكوبنهاغ وباريس وغيرها . . .

(٢) عنوان الكتاب بالألمانية : رسالة ابن فضلان ، والجغرافيين العرب الآخرين عن الروس في أقدم الأزمان . نص وترجمة مع نقد لغوي وملاحظات وثلاثة ملاحق ، بطرسبورغ ١٨٢٣ وتفضلت دار الكتب المصرية فأعارته لنا مشكورة .

في متحف لننغراد ضربت في عهد المقتدر ، ولعلها جاءت منذ زيارة ابن فضلان وبعثته إلى البلغار . وذكر الرجل خـلال هذه التعليقات ماقال الجغرافيون والمؤرخون العرب عن هـذه الأصقاع وبحث عن البلدان الروسية كويابة (كييف) وبحر ورنك (اهرنك) كما ذكره العرب وغيرهما من البلدان والمواقع.

وفي سنة ١٨٣٢ نشر فرهن نفسه الفصل الخاص بالبلغار ونهر الفولغا (إتل) في منشورات الجمعية الآسيوية بلننغراد (سان بطرسبرغ) . وهكذا نشر الرجل أكثر فصول الكتاب عن ياقوت وعني به عناية فائقة ، وتمنى أن يحصل على مخطوطة الرسالة كاملة ، ولكنه قضى قبل أن يصل إلى أمنيته الغالية .

وفي سنة ١٨٦٣ نشر « وستنفلد » عن الرحلات عند ياقوت وفيها رحلة ابن فضلان ، دراسة بالألمانية ، وكان يجمع مخطوطات ياقوت لنشر معجم البلدان [1] . وفي سنة ١٨٩٩ نشر فستبرغ Westberg دراسة كذلك عن ابن فضلان .

وفي سنة ١٩٠٢ نشر المستشرق فون روزن Rosen مقـالاً بالروسية عن ابن فضلان وأوصافه لاتل ، وخوارزم ، والروسية [2] .

وفي سنة ١٩١١ ، كتب المستشرق التشكي دفورجاك Dvorák دراسـة عن رحلة ابن فضلان نشرها في براغ . وبعد عامين نشر برتولد Barthold بالروسية دراسة عن موضوع الرحلات إلى روسية عند العرب [3] .

---

(١) مجلة Z D M G ، المجلد ١٨ .
(٢) Z B O ، بالمجلد ١٥ ، ص ٣٩ - ٧٣ .
(٣) Z B O ، المجلد ٢١ ، سنة ١٠١٣ ، فيها عن الاصطخري وابن رسته والبكري .

وفي سنة ١٩٢٤ ، أصدر ماركوارت Markwart ، دراسة عن الرحالة في ليبتسك . وفي هذه السنة وقع الحدث الخطير في المعلومات عن ابن فضلان ، اذ تسلم المعهد الآسيوي للاستشراق في بطرسبورغ ورقتين مصورتين من النسخة الخطية التي اكتشفت في مدينة مشهد « طوس » من ايران ، ووصلت بقية الأوراق مصورة بعد عشر سنوات إلى هذا المعهد ، فتغيّر سيَر الدراسات عن الرحلة بعد الحصول على النسخة وسنرى مايكون من ذلك .

مخطوطة الرسالة

منذ عام ١٩٢٤ نشر مقال بالروسية[١] في التعريف بهذه النسخة الخطّية الثمينة التي اكتشفت في خزانة المخطوطات بمشهد ، وبعد سنتين ١٩٢٦ صدر فهرس هذه الخزانة ، وفيه وصف هذه النسخة ، تحت رقم ٢ « أخبار البلدان » عربي ، فاذا المخطوطة تحوي أربع رسائل[٢] :

١ — الأولى : رسالة أبي دلف .

٢ — الثانية : رسالة أولها : أما بعد حمد الله. وخاتمتها « عبرة لأولي الألباب »

٣ — الثالثة : رسالة في أخبار البلدان .

٤ — الرابعة : كتاب ابن فضلان . وأوله : « قال أحمد بن فضلان لمّا وصل

---

(١) P . A . II المجلد ٦ ، ص ٢٣٧ – ٢٣٨ ، وصف المخطوطة .

(٢) جلد سوم – أزفهرست كتب كتبخانة مباركة استانة قدس رضوى على مشرفها آلاف السلام ، شهر المحرم ١٣٤٥ هـ ، دار الطباعة ، طوس (مشهد مقدس) ، ص ٢٩٩ .

كتابُ الحسن بن بلطوار ، ملك الصقالبة الى أمير المؤمنين وآخره : وله يذعن الملوك الذين يصاقبونه » .

وقد كتبت المخطوطة بخط نسخ ، في كل صفحة منها ١٩ سطراً ، وقف ابن خاتون « وتاريخ الوقف ١٠٦٧ ه». وأوراقها ٢١٢ ورقة ، آخرها مبتور مخروم ، وهو بذلك ينقص من أوراق رسالة ابن فضلان مع الأسف .

ومنذ ظهور المخطوطة توجّه المستشرقون إلى دراستها والتعريف بها ، فنهض العالم التركي زكي وليدي طوغان ، إلى تحقيقها والتعليق عليهـــا وترجمتها . فأكمل مافيها ، وقابلها على ياقوت وغيره ، وأتبعهـــا بنصوص من الجغرافيّين العرب ، ونشرها بالحروف العربية والترجمة الألمانية ، وطبعها سنة ١٩٣٩ [١] . ونشر هو نفسه قبل ذلك مقالاً بيّن فيه أهمية الرسالة وفائدة هـــذا الكشف [٢] . وظهرت بعد ذلك مقالات في الصحف الغربية عن الرسالة لافائدة من تعدادها هنا كلها [٣] لأنها في الفوائد اللّغوية والتصحيحات الجغرافية .

وفي السنة نفسهـــا صدرت دراسة بالروسية ، برعاية المستشرق الكبير

---

(١) Ibn Fadlan, s Reiseberichte Abhandlungen Für Die Kunde Des Morgenlendes **XXIV**, 1939

(٢) JA, 204, 149

(٣) منها مقالة للاستاذ ريتر في الملاحظـــات على نشرة وليدي ، صدرت سنة ١٩٤٢ في مجلة ZDMG ص ٩٨ — ١٢٦ ، ومقالة بالمجرية في مجلة Acta Orientalia ، سنة ١٩٥١ ، ص ٢١٧ ، ٢٦٠ ، أشرنا إليها في تمهيدنا ، ومقالة للاستاذ دنلوب Dunlop في مجلة « عالم الشرق » بالانكليزية ، صدرت في مدينة شتوتغارت في أربع صفحات ، ومقالة للاستاذين فراي وبلاك R. Frye, R. Blake بالانكليزية كذلك ، صدرت سنة ١٩٤٩ ، في ٣٧ صفحة .

كراتشكوفسكي ، في مدينة موسكو ، وقد جاءت مقدمتها الروسية في دراسة الرحلة وصاحبها ، على إحدى وخمسين صفحة . ثم تلتها ترجمة الرسالة إلى الروسية في مئة وعشرين صفحة ، ورقة فورقة ، في ملاحظات قيمة ثمينة جداً ، وأعقبتها الملاحق، والفهارس .وفي آخر هذه الدراسة نشرت صورة شمسية (فوتوغرافية) للرسالة كلها عن مخطوطة « مشهد » بحجم كبير واضح ، ورقمت أوراقها[1] .

والحق أن هذه الدراسة هي أدق ما صدر عن ابن فضلان ورسالته وهي أصح التعليقات وأقربها إلى فهم النص ، وخاصة فيما يلم بالبلغار وروسية ، فهي تعتمد على المقالات والدراسات التي نشرت قبلها ، وترجع إلى المصادر الحديثة الواسعة ، على قوة في الملاحظة ، ووقوف على العربية . ولكنها جُعلت للمستشرقين عامة والروس منهم خاصة ، لأنها اكتفت بنشر الصور الفوتوغرافية « الشمسية » كما هي، ولم تُعن بطبع النص العربي محققاً ومصححاً بحروف الطباعة العربية ، كما فعل زكي وليدي ، وإنما اكتفت بالصور ، يصحح روايتها القارىء الروسي من التعليقات ، ويبذل بذلك جهداً في التنقل بين المخطوطة وبين الحواشي والتعقيبات . أما القارىء العربي فلن يفيد منها أمراً إلا إذا صحح عن الروسية هذه الصور وقوّم العبارات فيها ، وأكمل المبتور والناقص والمخروم بيده ، وفي ذلك جهد جديد لا ينهض به إلا ناشر أو محقق ، وليس هذا من عمل القراء في شيء .

---

(١) من منشورات المجمع العلمي بالاتحاد السوفيتي بعنوان ، رحلة ابن فضلان إلى البلغار ، مع مقدمة المستشرق الأكاديمي أغناطيوس كراتشكوفسكي في موسكو ١٩٣٩ ، ١٩٣ صفحة + ٣٢ صورة شمسية .

وإذن فرسالة ابن فضلان طبعت مرة واحدة بالحروف العربية على يد زكي وليدي طوغان مع الترجمة والتعليق، ونشرت صورها الشمسية مرات، وصدرت عنها دراسات ومقالات في الألمانية والروسية[1] والانكليزية. وهذه الطبعة والصور والدراسات هي في الغالب مفقودة في خزائننا العربية العامة، لا تكاد تملك منها طبعة أو دراسة، فكأنّ الرسالة لم تنشر أو كأنها بقيت مخطوطة. ومع ذلك فإن طبعة زكي وليدي الوحيدة تحتاج إلى تصحيح وعناية وتقويم، فهي تغص بالأخطاء، كما أشار المعلقون من المستشرقين، وهي على أخطائها نادرة لا تصل إليها الأيدي لأنها ظهرت في مجلة ألمانية من الصعب الحصول على نسخة منها، وناشرها نفسه لا يكاد يملك فيما قال لنا إلا نسخته الخاصة.

وبذلك أصاب ابن فضلان ظلم كثير في الأقطار العربية، فلم ينهض له ناشر أو محقق يجمع شتات التعليقات والمعلومات، ويعود إلى الصورة المخطوطة، فيتناولها بالقراءة والدراسة والتقويم كلمة كلمة، وينشرها في جمهور المثقفين المتشوقين إلى تراثنا الخالد، وخاصة في هذه الأيام، ليعرف العرب أي يد كانت لهم منذ القرن العاشر للميلاد في نُصرة البلغار على الخزر، وعون هؤلاء الأقوام على أطراف الفولغا ضد الخزر اليهود، فقد طغت اليهودية على هذه الأمة وهددت كيانها، وسلبت نساءها، وأذلتها في عقر دارها، وفرضت عليها رسوماً وضرائب كانت تدفعها عن يدٍ وهي صاغرة. فهبّ العرب من بغداد لنجدة القوم المستضعفين، وأرسلوا إليهم

---

(١) آخر الدراسات عن ابن فضلان، صدرت في خاركوف سنة ١٩٥٧ بعناية كوفالفسكي في ٣٠٩ صفحات بحجم الربع، مع ٢٣ صفحة للنص العربي في صورة المخطوطة، وفيها شروح وتعليقات بالروسية.

المال ، ووعدوهم بتحصين الحدود ، وقدموا لهم ما يملكون من وسائل الحضارة مما يُعينهم على العيش الكريم ، فكانت هذه البعثة الرسمية التي وصف مهمتها ابن فضلان في رسالته ، ورسم المراحل التي اجتازتها ، والعقبات التي مرّت بها . فهي وثيقة سياسية تاريخية هامة ، عُني بها الغربيّون من جانبهم وبقي على العرب أن يُعنوا بها ، وهم أصحاب الفضل واليد ، منذ عشرة قرون كان الغرب قبلها يتخبط في الجهل والظلم ، وهذا سبب من الأسباب التي دفعتنا إلى العناية بها وتحقيقها .

طريقتنا في التحقيق

لهذا نهضنا بالمهمة منذ سنة ١٩٥١ ، نزولاً على إشارة الرئيس المرحوم العلامة محمد كرد علي ، واتخذنا الصورة الشمسية للرسالة أصلاً للتحقيق . فنقلناها ورحنا نقرأ عباراتها لنفهم منها مايقيم ألفاظها ، فإذا بها قد كتبت بيد ناسخ عاش في القرن الحادي عشر للهجرة ، متأخر ، لم يفهم الرسالة ولم يفقه مراميها ، فتصحفت عليه وجوه القراءة فرسمها كما استطاع ، ولم يكن من السهل عليه أن يفهم كل مافيها ففيها من الصعوبات مايشق عليه تذليله . ويبدو أنه كان ضعيفاً في العربية ، لايعرف قواعد النحو البسيطة ، مثل قاعدة الأعداد ، أو المفعول به أو الممنوع من الصرف[1] ، وذلك من اليسير ردّه وتصحيحه على الناشر . والأمثلة عليه كثيرة لانريد أن نثقل بها هذه المقدمة ، ففي حواشينا أدلة متوفرة كافية للبرهان على

(١) أما عن طريقة الناسخ في رسم الحروف والكلمات فقد عرضنا صفحات بالتصوير كنماذج لخطه جعلناها بعد هذه المقدمة .

ما نقول . وليس هذا وحده ، وإنّما في الرسالة أشياء لم يفهمها فصوّرها كما هي ، وأعلام لم يسمع بها ، وألبسة لا يعرفها ، فهو ناسخ ضعيف ، لا يرقى إلى مرتبة النساخ المثقفين .

ومن هنا كانت صعوبة القراءة ، فعمدنا قبل كلّ شيء إلى مقابلة ما في المخطوطة على ما نقل منها ياقوت الحموي إلى معجم البلدان ، فاذا بياقوت يتفق في كثير من الروايات ويختلف في قليل ، وذلك لأنه وقع على نسخة قريبة من هذه النسخة أشدّ القرب ، ولعلّ هذه المخطوطة من حفيداتها [1] ، لولا شدة تصحيفها .

وشيء آخر أصاب هذه الرسالة فقد عدا عليها الإهمال ونزلت بها الرطوبة ، فطمست كلمات منها في كثير من مواضع الصفحات ، وحلت بها الأرضة فمحت مواضع أخرى ثم تناقلتها الأيدي فمزقت آخرها ، على عادة المخطوطات ، لقلّة التجليد وضعف العناية بالمخطوطات . أما ما وقعنا عليه في ياقوت مما يكمل المبتور ويوضح المطموس فقد أعدناه إلى مكانه وملأنا فراغه ، وجعلناه بين معقوفتين ؛ دلالة على إضافته من ياقوت . وأما ما لم نقع عليه في « معجم البلدان » فقد أعملنا فيه التخمين والحدس ، وجعلناه كذلك بين معقوفتين . وبقي أمر هام نحبّ أن نقف عنده ، وذلك هو آخر النسخة فهي تقف عند الورقة (٢١٢ ظ) ، وتختتم بثلاثة سطور جاء فيها الحديث عن الخزر ، بصورة مفاجئة ، من غير تمهيد . وقد

---

(١) ذكر ياقوت في معجم البلدان بمادة « مرو » أنه أفاد من خزائن هذه المدينة وأقام بها ثلاثة أعوام ينقل ويقتبس ، فلعله رأى رسالة ابن فضلان في هذه المدينة .

عوّدنا ابن فضلان أن يقص علينا أمر انتقاله من بلد إلى بلد ومن مملكة إلى مملكة وأن يشير إلى الطريق التي سلكها ، والأيام التي قضاها ، والطريقة التي قوبل بها . ولكنه هنا بعد أن ينتهي من الحديث عن ملك الروس وعاداته ينتقل فجاءة إلى ملك الخزر ، فيقول : « فأما ملك الخزر . . . » فهل يصف هذا الاقليم بعد عودته من الروسية ، أم يصفه في طريق الذهاب إليها ، أم يوازن بين الروس والخزر في عاداتهم ؟ إنه وضع خطته في عنوان رسالته فقال : « يذكر ما شاهد في بلد الترك والخزر والروس والصقالبة والباشغرد وغيرهم » ، وقد تحدث عن خوارزم ثم عن الترك وقبائلهم وعاداتهم وأطال في ذلك ، ثم عن البجناك ، ثم الباشغرد ، ثم بلغ إلى ملك الصقالبة ، فأسهب في الحديث عن مهمته عندهم وعند مليكهم وعن طبيعة بلادهم وعجائبها . فاذا رأى الروس وافوا في تجاراتهم إلى « نهر إتل » عند الصقالبة تحدث عنهم ، وقصّ حكاية الدفن فأفاض في صفحات ختمها بكلامه عن ملك الروس ، وإذا به يتكلم عن ملك الخزر في ثلاثة سطور بترت بعدها الأوراق ، وحل محلها الشك . وتكلم المستشرقون وتناقشوا في هذا الأمر كثيراً

وقد رجعنا إلى ياقوت نستنجد به كما استنجدوا ، فرأينا أنه يتحدث عن الخزر فيقول[1] : « وقال أحمد بن فضلان رسول المقتدر إلى الصقالبة في رسالة له ذكر فيها ما شاهده بتلك البلاد فقال : الخزر اسم اقليم من قصبة تسمى إتل ، وإتل اسم النهر يجري إلى الخزر من الروس وبلغار ... » فصدمنا صدمة عجيبة ،

(١) معجم البلدان ، الطبعة الأوربية ، ٢ / ٤٣٦ .

لأن ابن فضلان لم يعودنا الطريقة الجغرافية في الحديث عما زاره ، وإنما يقول كما رأينا انه انتقل فرأى كذا ، ثم وصل إلى بلد كذا ، فهو حين يصل إلى الباشغرد يقول : « فوقفنا في بلد قوم من الأتراك يقال لهم الباشغرد ، فحذرناهم أشد الحذر » وحين أراد الحديث عن الصقالبة قال : « فلما كنا من ملك الصقالبة وهو الذي قصدنا له على مسيرة يوم وليلة ، وجّه لاستقبالنا ... » وتحدث عن الروسية فقال: ورأيت الروسية ، وقد وافوا في تجاراتهم ، ونزلوا على نهر إتل فلم أر أتم منهم أبداناً ... » فليس من المعقول في شيء أن يبتدىء حديثه عن الخزر بذكر الاقاليم وتعريفه والنهر وجريانه ، ولا يمهّد لذلك بقول كأقواله السابقة . ولكن ياقوت عوّدنا الصدق وأمانة النقل ، وهو في كل مانقله إلى معجمه عن ابن فضلان كان ثقة وكان يطابق مافي مخطوطتنا ، فكيف وقعت منه هذه النسبة إلى ابن فضلان ؟

إنّ الاصطخري وابن حوقل يتحدثان عن الخزر[1] ، ويقولان الكلام الذي قاله ياقوت في النصف الأول كلمة كلمة ، لا يكادان يختلفان عنه إلا في بعض الكلمات ، وإلا فيما تُخطىء فيه العين حين النقل ،أو يمليه الحفظ واللبّ حين الكتابة. فالنصف الأول هو هو في الكتابين وفي ياقوت يتحدث عن الملك ، ثم عن الفرق الدينية ، والحكام والقضاة وشكل الأتراك وهيئاتهم . ويبدأ الاختلاف في النصف الثاني عند الحديث عن خاقان الخزر ، والدخول عليه فينفصل الكتابان عن ياقوت

(١) كتاب مسالك الممالك للاصطخري وهو معول على كتاب صور الأقاليم للبلخي ، ط . ليدن ١٩٢٧ ص ٢٢٠ – ٢٢٥ ، وابن حوقل ، ٢ / ٣٨٩ .

تماماً في هذا الموقع ، فكأنه اتفق معهما في الشق الأول فحسب . وهو في هـــذا القسم الأول يتحدث عن مساجد لم يرها ابن فضلان حتماً فانما جاء ليبشر بالاسلام وليبني منبراً . وهذا لا يتفق مع مفهوم رسالته ، وإنما قد يتفق لمن وصفها بعده وتأثر بعمله وتبشيره ، فليس القسم الأول من انشاء ابن فضلان وليس من رسالته.

والنصف الثاني عند ياقوت يتحدث عن ملك الخزر فيتفق والسطور الثلاثة التي بقيت في المخطوطة عند ابن فضلان ، ويتـــابع وفاق السطور المطموسة في الورقة ، فكأنهما متحدان منذ هذا الكلام فحسب ، وكأن القسم الأول نقله ياقوت عن الاصطخري وابن حوقل ، ونقل الثاني عن ابن فضلان ، ونسي أن يذكر مصدره في الأول فجعل النصين معاً باسم ابن فضلان لغلبة الشعور عنده بأن الرجل زار هذه البلاد فتحدث عنهـا هذا الكلام كله . وهنا نقلنا القسم الثاني فقط مما أثبت ياقوت متمماً لعبارة ابن فضلان ، ووصلنا بين السطور الثلاثة عندنا وتتمة النص من ياقوت ، وجعلناه ذيلاً للمخطوطة ، كأنه يعوض علينـــا الورقة الضائعة أو الورقتين الضائعتين .

وبعض المستشرقين يظن أن نص الاصطخري منقول عن ابن فضلان في الأصل — والاصطخري [١] كان حياً في سنة ٣٤٠ هـ ، بعد حوالي ثلاثين سنة من رحلة ابن فضلان — فأثبته ياقوت على أنه له . وبعضهم يرى أن ابن رسته والبكري

---

(١) لم يكتب أحد عن حياة الاصطخري ، حتى أن الناشر المستشرق لم يجد نوراً يهتدي به في الحديث عنه ، ولكنه رأى أنه التقى بابن حوقل سنة ٣٤٠ هـ .

والاصطخري والمسعودي يشبهون آراء ابن فضلان فيما وصفوا من تلك البلاد ، ولعلهم نقلوا جميعاً عن الجيهاني ، وقد ألف كتابه بعد سنة ٣١٠ هـ ، أي بعد رجوع ابن فضلان من رحلته . وكتاب الجيهاني ضاع ولم يصل إلينا لنوازن بينه وبين مؤلفنا ابن فضلان .

ونحن لا نحقق في الجغرافيين ، ولا نكتب في صدد مادة الخزر نفسها ، ولكننا وجدنا ثلاثة سطور في آخر المخطوطة عندنا ، وقعت هي نفسها في ياقوت تبدأ بحثاً أتم نقله ياقوت ، فنقلناه عنه . واطرحنا ما نسبه إلى ابن فضلان في الشق الأول لأنه لا يشبه أسلوب صاحبنا ولا يلمّ برحلته في شيء ، وفيه إعادة وتكرار بين الشق الأول والثاني في الحديث عن خاقان الخزر ، فكأنّ ياقوت جمع بين مصدرين على عادته ، ولكنه نسي أن يشير إلى مصدر الشقّ الأول ، فجعل الاثنين لابن فضلان — كما قلنا —.

ولعل القارىء يعذرنا في الاطالة والاسهاب ، فنحن أردنا أن نتحقق من من نسبة الرسالة إلى صاحبها وصحتها ، بعد أن تحققنا من وقوع الرحلة ، فأثبتنا وقوع النصّ في ياقوت وحده مشابهاً لما عند ابن فضلان في أكثر ما نقله . وليست المهمة سهلة كما تبسطها هذه السطور في يسر وسهولة ، وانما استغرقت زمناً ليس باليسير وجهداً ليس بالقليل ، لا نمنّ ولا نتكلف في امتداح ما فعلناه ، فقد نخطىء في هذا التخمين وفي هذا التقدير[1] ، ولكننا نريد أن نضع المشاكل بين يدي المطالع

---

(١) رأينا أن المستشرقين الروس فعلوا مثل هذا فألحقوا نص الخزر من الشق الثاني برسالة ابن فضلان وترجموه مع الرسالة .

كما وقعت لنا، وأن نشركه في الرأي ليكون على اطلاع بما يقرأ من حيث النسبة والصحة والدقة، فلا يتهمنا بالاسراع والاغراق في التفاؤل، وإنما يعرف أننا شككنا في كلّ كلمة قرأناها، ورددناها إلى أصلها من العربية أو التركية أو الفارسية وأننا رجعنا إلى المعاجم على اختلاف ألوانها، تمدّنا بما عندها. وعدنا إلى المستشرقين نسألهم ونقرأ تعليقاتهم، ونأخذ منهم بما اتفقوا عليه. ولكنهم اختلفوا في كل شيء من هذه الرسالة؛ فقد وقفوا عند اسم ملك الصقالبة، فهو الحسن حيناً وهو « المش » حيناً آخر، وهو مسلم قبل أن يفد ابن فضلان، بل هو أسلم بعده، فأبوه كافر اسمه يلطوار أو بلطوار أو « فلاديمير » أي « أمير فولاذ ». وهم يقفون في حيرة كما نقف، لضعف المصادر عن امدادهم بتاريخ تلك البلاد لذلك العصر. ولهذا بسطنا في التعليقات أمر شكهم وحيرتهم، وتركنا للقارىء الحكم بعد ذلك.

ولن ننسى كذلك ما بسط هؤلاء العلماء من شك في تمام هذه الرسالة وكمالها فقد رأى بعض أنها موجز الرحلة، بدليل كلمة: « قال » التي تبدأ كل مقطع طويل ولعلهم على حق في ذلك، ولكننا نجد المؤلفين القدماء يكررون هذه الجملة في كتبهم التي لا ينالها شك في تمامها. فعسى أن يجود الزمان بعالم يكتشف النسخة الكاملة للرحلة، فيصحّح ما وقعنا فيه من خطأ، ويكمل ما بدأنا به. فقد عُرفتْ منها فصول أول الأمر حتى سنة ١٩٢٤ — كما قلنا — ، ثم عرفت الرسالة كما ننشرها مبتورة في آخرها، والزمان كفيل بأن يظهرها كاملة مفصّلة بعد سنين — إن شاء الله — فتزول هذه المشكلة ويموت هذا الشك.

أما أسماء الأنهار فهي مشكلة كذلك ، فقد تغيرت مواقعها وأسماؤها وحار المستشرقون كذلك في ردها إلى أسمائها اليوم ، لذلك ذكرنا ما انتهى إليه أهل الصنعة في جغرافية تلك البلاد ، ولسنا منهم في حال إلاّ أن نكون ناقلين مستنيرين بهَدْي غيرنا ، ننتظرُ الصَّواب من كل فم ، والتصحيحَ من كل عالم واقف على الموضوع.

فنحن لا ندعي أننا فعلنا كل شيء ، ولكننا على ثقة بأننا صنعنا ما كان في إمكاننا ، فاتخذنا الصورة الشمسية المكبرة عن كتاب كراتشكوفسكي وبسطناها على الورق ، وعلّقنا عليها ، وصوّبناها كما انتهى إلى علمنا . وقسمناها إلى مقاطع وإلى فصول ، تمشياً مع طباعة اليوم ، من غير أن نبدّل في ترتيب المخطوطة وفي كلماتها . فلقد أثبتناها كما هي مع إضافة يسيرة يقتضيها العلم الحديث من وضع الترقيم في الفواصل والنقط والأقواس وأضفنا البسملة في صـــدر الرسالة والعناوين الموجزة بين الأقواس المعقوفة ، وجعلنا أوراق المخطوطة معينة ، ووضعنا أرقامها بالحواشي بين معقوفتين . وضبطنا بعض كلماتها ، وفعلنا كل ما يقربها إلى العرض الواضح ، والطباعة المبسّطة .

ونحن نعرف أن نشر النصوص قد اتخذ على يد بعض شبابنا[1] قاعدة أفسدته حين أشاروا بأن نطبع المخطوطة كما وصلت من غير تعليق أو شرح ، فلو قد فعلنا ذلك لوقف القارىء دون الفهم ، وجعلناه أمام مشكلة فهم النص ، وبعثنا منه

---

(١) لقد أرسل بعض الشباب «قواعد في تحقيق النصوص» على قلة تجربتهم ، ونحن نرجع إلى القدماء من علمائنا فقد ساروا في تحقيق الأحاديث سيرة يقلدها الغربيون اليوم لأنها عاقلة حقاً .

الحيرة والقلق ، ودفعناه عن جمال الرحلة ، وكأننا صنعنا كالمستشرقين فصوّرنا المخطوطة تصويراً فحسب . ولما كان من همنا أن نقربه منها وأن نحبّبه إليها وأن نعرّفه إلى النصوص القديمة وإلى تراثنا العبقري ، أضفنا في الحواشي ماقد يستثقله بعض ويرمي به بعض ، ولكنه لايفسد النصّ كما يتراءى لهؤلاء الشباب وإنما ينير جوانبه . والنور في الشرح خير من الضلال في الصمت والسكوت عن المشاكل وإيثار العافية .

ونحن بعد هذا كله نرجو الأجر عند الله وحده فيما صنعنا فقد عملنا لخدمة الجيل الجديد ، في عصر اليقظة العربية ، وقد تلفّت إلى ماضيه ليتثبت من مفاخر أجداده وليتأكد من ضخامة ماصنعوا لأجل لغته وبلاده ، لعله ينهض بمثل مانهضوا به فيصنع لمستقبلنا كما صنعوا لماضينا ، ويتكافأ عند ذلك ماض ومستقبل ، ونعود لمصافحة النجوم واستقبال المفاخر ونغدو من جديد أمة حيّة تستحق الخلود والاكبار كما كنا ، فقد سطرنا صفحات البقاء والعبقرية في قائمة الأمم وخارطة العالم . فعسى أن تجد هذه الصفحات عند العرب ماوجدت عند الغرب من اهتمام لائق . وعند ذلك نجد السلوان والعزاء عما بذلنا من وقت وجهد وصحة ورحلة ، والحمد لله على مايسّر وأعان .

دمشق الشام في ١٨ ذي الحجة ١٣٧٨ هـ
الموافق ٢٥ حزيران (يونيو) ١٩٥٩ م

محمد سامي الدهان



بيان الرموز المستعملة في هذه الطبعة

ص : صفحة

ج : جزء

ط : طبعة

و : وجه الورقة من المخطوطة

ظ : ظهر الورقة من المخطوطة

مخطوطة الأصل : أو نسختنا : هي مخطوطة مشهد الوحيدة

ياقوت : معجم البلدان لياقوت

[ ] : وضعنا بينهما ما رأينا إضافته للسياق ، إما لطمس في المخطوطة أو غموض ، أو لإكمال نقص سواء أدلت عليه النسخة أم لم تدل

|| : للدلالة على نهاية الصفحة وبدء الصفحة التالية في مخطوطتنا

[٣٣] : وضعناهما في الهامش ، وبينهما الرقم المتسلسل للدلالة على رقم الأوراق في مخطوطتنا ، وهي نسخة مشهد .

(وأما المختصر من أسماء المؤلفين وآثارهم ففي الفهارس آخر الكتاب عون لبيانه والتفصيل فيه)



رسالة ابن فضلان

عن المخطوطة الوحيدة في مدينة مشهد



نماذج

الأصول المعتمدة في التحقيق



لوحة رقم ١

نموذج من مخطوطة ابن فضلان الوحيدة بمشهد (طوس) الورقة ١٩٧ وهي في أولها

(انظر ص ٦٧ من طبعتنا هذه وما بعدها — صورناها عن موسكو)



لوحة رقم ٢

باذهبوا ... اخرجوا السفينة فنزع ... وادركنا عليها ودخلنا الى المراة
التي تقتلها ونزعت خلخالين كانا عليها ود ...
الملك ... هما ابنتا المراة المعروفة بملك الموت ثم اخذوها الى السفينة
ثم يدخلون ... الرجال معهم التراس والخشب ودفعوا اليها قدحا نبيذ فغنت
عليه وشربته فقال الترجمان انها تودع صواحباتها بذلك ثم دفع اليها قدح اخر فاخذته
وطولت الغنا والعجوز تستحثها على شربه والدخول الى القبة التي فيها مولاها فرايتها وقد
تبلدت وارادت دخول القبة فادخلت ... بينها وبين السفينة فاخذت العجوز
راسها وادخلته القبة ودخلت معها واخذ الرجال يضربون بالخشب على التراس لان
لا يسمع صوت صياحها فيجزع ... [illegible] ولا يطلبن الموت مع موالیهن
ثم دخل الى القبة ستة رجال ... باشرهم الجارية ثم اضجعوها الى جانب مولاها
وامسك اثنان رجليها واثنان يديها وجعلت العجوز التي تسمى ملك الموت في عنقها حبلا
... الاثنين ليجذباه واقبلت ومعها خنجر عريض النصل ...
والرجلان خنقاها بالحبل حتى ماتت ثم وافى اقرب ...
... واشعلها بالنار ثم مشى القهقرى قفاه الى السفينة و وجهه
... المشعلة في يده واحدة ويده الاخرى على باب استه وهو عريان
... الخشب المعبا الذي تحت السفينة ثم وافى الناس بالخشب والحطب ومع
واحد خشبة قد الهب راسها فيلقيها في ذلك الخشب ويأخذ النار في الحطب
... [illegible] ... ريح عظيمة ...
... تسعرها ...

نموذج من المخطوطة الوحيدة ، الورقة ٢١٢ و (انظر ص ١٦١ – ١٦٣ من هذه الطبعة)



لوحة رقم ٣

نموذج ثالث من المخطوطة الوحيدة ، الورقة ٢١٢ ظ وهي آخر صفحة فيها

(انظر ص ١٦٤ — ١٦٩ من طبعتنا هذه)



خوارزم من ضياع ابن الفرات. ‹وكان› الرسول الى المقتدر من صاحب الصقالبة رجل يقال له عبد الله بن باشتوا الخزرى و‹الرسول من جهة السلطان› سوسن الرسى مولى نذير الحرمى وتكين التركى وبارس الصقلابى وانا معهم على ما ذكرت. فسلمت اليه الهدايا له ولامرأته ولاولاده واخوته وقواده وادوية كان كتب الى نذير يطلبها.

2. فرحلنا من مدينة السلم يوم الخميس لاحدى عشرة ليلة خلت من صفر سنة تسع وثلثماية. فاقمنا بالنهروان يوما واحداً ورحلنا مجدين حتى وافينا الدسكرة فاقمنا بها ثلثة ايام. ثم رحلنا قاصدين لا نلوى على شىء حتى صرنا الى حلوان فاقمنا بها يومين. وسرنا منها الى قرميسين فاقمنا بها يومين. ثم رحلنا فسرنا حتى وصلنا الى همذان فاقمنا بها ثلثة ايام. ثم سرنا حتى قدمنا ساوه فاقمنا بها يومين ومنها الى الرى فاقمنا بها احد عشر يوما ننتظر احمد بن على اخا صعلوك لانه كان بخوار الرى. ثم رحلنا الى خوار الرى فاقمنا بها ثلثة ايام.

3. ثم رحلنا الى سمنان ثم منها الى الدامغان وصادفنا بها ابن قارن من قبل الداعى فتنكرنا فى القافلة وسرنا مجدين حتى قدمنا نيسابور وقد قتل ليلى بن نعمان فاصبنا بها حمويه كوسا صاحب جيش خراسان. ثم رحلنا الى (197b) سرخس ثم منها الى مرو ثم منها الى قشمهان وهى على طرف مفازة آمل فاقمنا بها ثلثة ايام نريح الجمال لدخول المفازة.

4. ثم قطعنا المفازة الى آمل ثم عبرنا جيحون وصرنا الى آفربر رباط طاهر بن على ثم رحلنا الى بيكند. ثم دخلنا بخارا وصرنا الى الجيهانى وهو كاتب امير خراسان وهو يدعى بخراسان الشيخ العميد فتقدم

a) Y f: غير الحرمى b) M غير مركات c) M: لاحد
d) M: لايكون على شى e) ناقص فى الاصل f) M: ترحج g) آفرين

باخذ دار لنا واقام لنا رجلا يقضى حوائجنا ويريح عللنا فى كل ما نريده فاقمنا اياما ثم استأذن لنا على نصر بن احمد فدخلنا اليه وهو غلام امرد فسلمنا عليه بالامرة وأمرنا بالجلوس. فكان اول ما بدأنا به ان قال: «كيف خلفتم مولاى امير المؤمنين اطال الله بقاءه وسلامته فى نفسه وفتيانه واوليائه؟» فقلنا: «بخير». قال: «زاده الله خيراً». ثم قرئ الكتاب عليه بتسليم ارتخشمثن من الفضل بن موسى النصرانى وكيل ابن الفرات وتسليمها الى احمد بن موسى الخوارزمى وانفاذنا والكتاب الى صاحبه بخوارزم بترك العرض لنا والكتاب بباب الترك بيدرقتنا وترك العرض لنا. فقال: «واين احمد بن موسى؟» فقلنا: «خلفناه بمدينة السلم ليخرج خلفنا لخمسة ايام». فقال: «سمعاً وطاعة لما أمر به مولاى امير المؤمنين اطال الله بقاءه».

5. قال: واتصل الخبر بالفضل بن موسى النصرانى وكيل ابن الفرات فاعمل الحيلة فى أمر احمد بن موسى وكتب الى عمال المعاون بطريق خراسان من جند سرخس الى بيكند: اذكوا العيون على احمد بن موسى الخوارزمى فى الخانات والمراصد وهو رجل من صفته ونعته فمن ظفر به فليعتقله الى ان يرد عليه كتابنا وليمثله. فاخذ بمرو واعتقل واقمنا نحن ببخارا ثمنية وعشرين يوما وقد كان الفضل بن موسى ايضا واطأ عبد الله بن باشتوا بغيره من أصحابنا يقولون: «ان اقمنا هجم الشتاء وفاتنا الدخول واحمد بن موسى اذا وافانا لحق بنا».

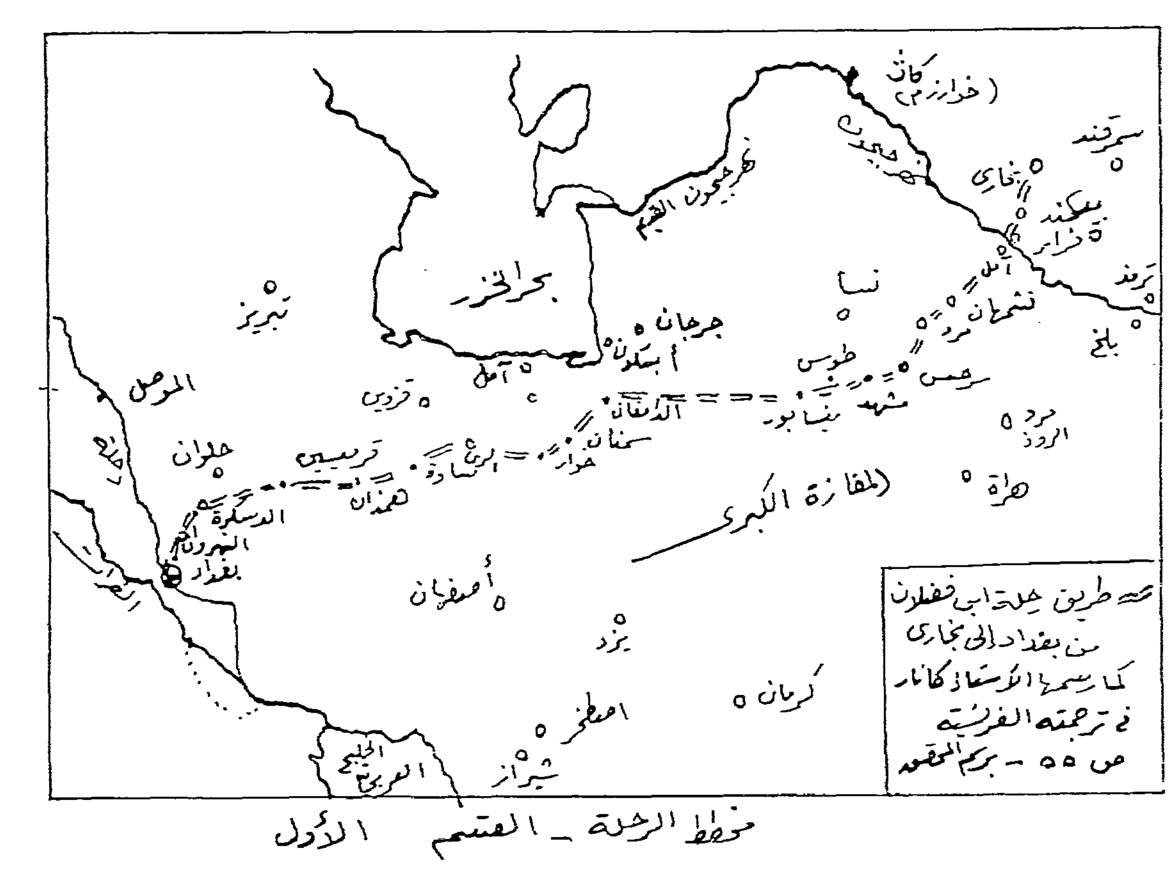
6. قال: ورأيت الدراهم ببخارا الوانا شتى منها دراهم يقال لها الغطريفية وهى نحاس وشبه وصفر يؤخذ منها عدد بلا وزن ماية منها (198a) بدرهم فضة واذا شروطهم فى مهور نسائهم تزوج فلان بن فلان

a) M: ارتخشمثن b) M: بترك c) لمنه ويأن اذكوه او فان اذكوه
d) M: فليعتقله e) M: وليمثله f) M: وافنا

نموذج من طبعة أ. زكي وليد طوغان لرحلة ابن فضلان، سنة ١٩٣٩ في المجلة الالمانية وهي وحدها التي صدرت بالحروف العربية – (انظر ص ٦٨ – ٧٩ من طبعتنا صورناها عن باريس)

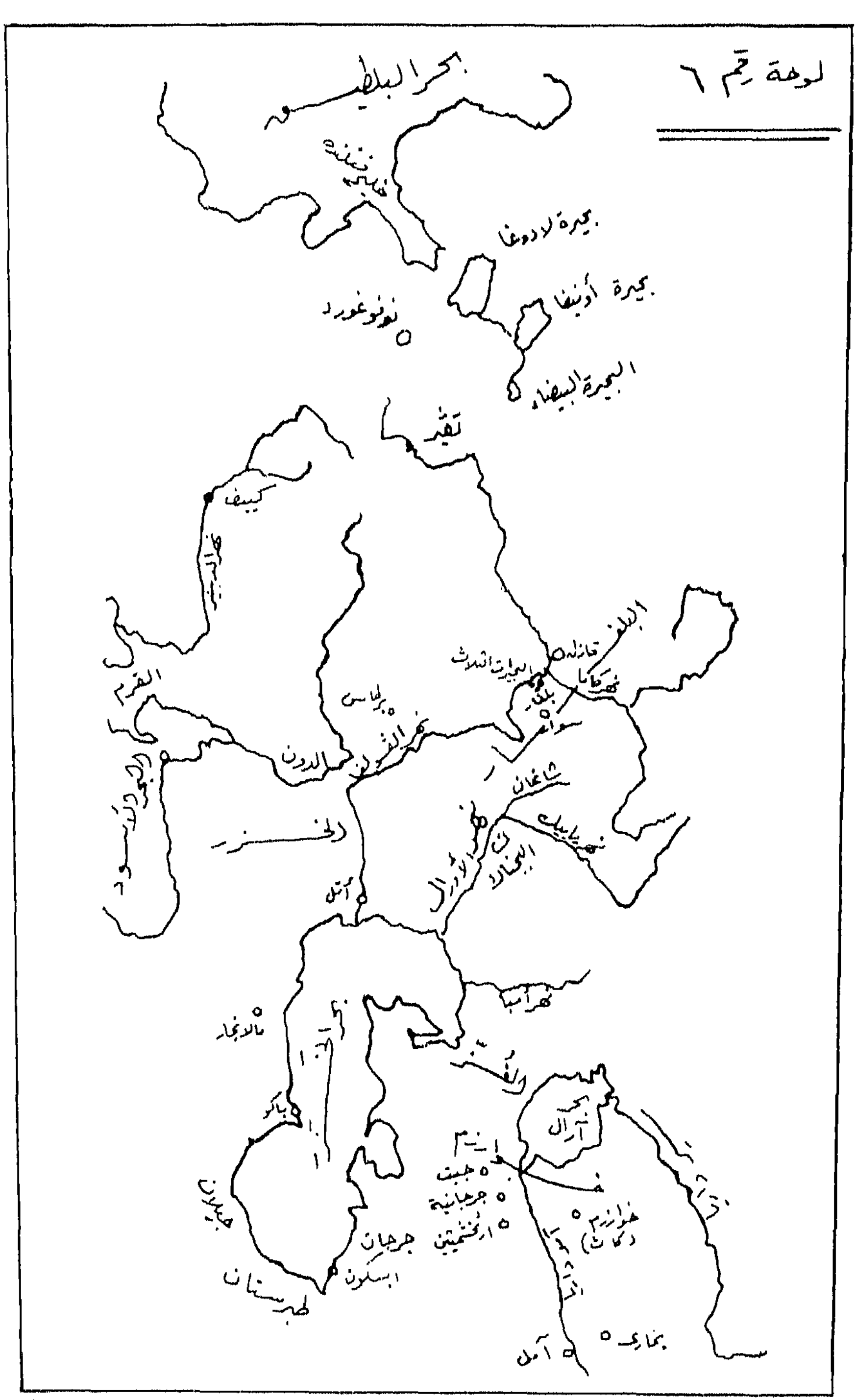


لوحة رقم ٥



مخطط الرحلة – القسم الأول





القسم الثاني - مخطط الأماكن التي وردت في رحلة ابن فضلان، كما رسمها الأستاذ كانار في الترجمة من بخارى إلى بلغار



رسالة ابن فضلان

أحمد بن فضلان بن العباس بن راشد بن حماد

في وصف الرحلة الى بلاد الترك والخزر والروس والصقالبة

سنة ٣٠٩ هـ - ٩٢١ م

حققها وعلق عليها وقدم لها

الدكتور سامي الدهان

عضو المجمع العلمي العربي بدمشق



هذا كتاب

أحمد بن فضلان بن العبّاس بن راشد بن حمّاد

[١٩٦ظ]

مولى محمد بن سليمان رسول المقتدر إلى ملك الصقالبة

يذكر فيه ما شاهده في بلد الترك، والخزر، والروس،

والصقالبة، والباشغرد، وغيرهم؛ من اختلاف

مذاهبهم || وأخبار ملوكهم وأحوالهم

[١٩٧ و]

في كثير من أمورهم



[فاتحة الكتاب]

بسم الله الرحمن الرحيم

١

قال أحمد بن فضلان :

لمّا وَصَل كتاب[١] ألمش[٢] بن يلطوار ملك الصقالبة[٣] إلى أمير المؤمنين المقتدر[٤] ، يسأله فيه البعثةَ إليه ممّن يفقهُهُ في الدّين[٥] ، ويعرّفه

---

(١) لم يقع الغربيّون على كتاب ملك الصقالبة ، ولم يعرفوا فحواه ، والتواريخ العربية لم تشر إليه بشيء ، ولو وصل إلينا لكان وثيقة هامة في السياسة لذلك الزمان .

(٢) في الأصل بالمخطوطة هنا : « الحسن بن بلطوار » – وفي الورقة ٢٠٢ ظ بعد قليل : « المش بن شلكي صهر الأتراك » . وفي ياقوت ١ / ٧٢٣ : « كتاب الماس بن شلكي يلطوار » – وقد ناقش المستشرقون أصل هذا الاسم الذي صحّف على الزمان ، فرأى بعضهم أنه المش بن يلطوار ، ورأى آخرون أن يلطوار ربما كانت فلاديمير أي أمير فولاذ ، وللتفصيل انظر مادة « بلغار » في دائرة المعارف الاسلامية للمستشرقين ، وقد اخترنا رواية المخطوطة في الموقع الثاني فجعلنا الاسم « المش ابن يلطوار » .

(٣) الصقالبة أو الصقالبية ، هم السلاف أو السكلاف ، كان العرب يجلبون من بلادهم الرقيق ، وأرضهم فيما يرى الاصطخري (ص ٩ طبعة ليدن ١٩٢٧) عريضة طويلة نحواً من شهرين في مثلها ، وبلغار الخارجة هي مدينة صغيرة ليس فيها أعمال كثيرة ، واشتهارها لأنها فرضة لهذه الممالك . والروس قوم بناحية بلغار ، فيما بينها وبين الصقالبة . وأما الغربيون فلم يستطيعوا تحديد مملكة الصقالبة ، ولكنهم يرون أن البلغار هم الصقالبة أنفسهم .

(٤) المقتدر بالله هو أبو الفضل جعفر ابن المعتضد تولى الخلافة سنة ٢٩٥ هـ ، وقتل سنة ٣٢٠ هـ – انظر مصادر التاريخ عنه ، والفخري طبعة أوربة ، ص ٣٠٥ وما يليها ، وقال المسعودي إن الجهشياري ألف في المقتدر كتاباً نحو ألف ورقة .

(٥) يرى بعض المؤرخين أن الصقالبة دخلوا الاسلام قبل هذا ، ولكن شيخ الربوة ، في نخبة الدهر ط . ليبتسك ١٩٢٣ ص ٢٦٣ ، يوافق ما جاء في رواية ابن فضلان فيقول : « وأما البلغار فنسوبون الى الصقيع ، وهم مسلمون أسلموا أيام المقتدر ، وبعث ملكهم إلى المقتدر يطلب فقيهاً يعرفه قواعد الاسلام –

شرائع الإسلام ، ويبني له مسجداً ، وينصب له منبراً ليقيم عليه الدعوة له في بلده وجميع مملكته[١] ، ويسأله بناء حصن يتحصّن فيه من الملوك المخالفين له فَأُجيب[٢] إلى ما سأل من ذلك .

وَكان السّفير له[٣] نذير الحرمي[٤] فندبتُ أنا[٥] لقراءة الكتاب عليه وتسليم ما أهدى إليه ، والإشراف على الفقهاء والمعلّمين[٦] . وسبّب له بالمال المحمول إليه ، لبناء ما ذكرناه وللجراية على الفقهاء والمعلّمين ، على الضّيعة المعروفة « بأرْتَخُشْمِثَين »[٧] من أرض « خوارزم »[٨] من ضياع ابن الفُرات[٩] .

— فأجابه إلى ذلك . ثم وصل جماعة من البلغار إلى بغداد يريدون الحج ... » - وياقوت ١ / ٧٢٣ يذكر اسلامهم في عهد المقتدر ويقول إنه لم يقف على السبب في اسلامهم .

(١) في ياقوت ١ / ٧٢٣ : « في جميع بلده وأقطار مملكته » .

(٢) في الأصل المخطوط : « أجيب إلى » بغير فاء العطف ، وفي ياقوت ١ / ٧٢٣ : « فأجيب إلى ذلك » ولهذا أضفنا الفاء .

(٣) في الأصل : « وكان السفير فيه » — وفي ياقوت ، بالصفحة المذكورة : « وكان السفير له » فأخذنا برواية ياقوت .

(٤) في ياقوت : « نذير الحزمي » بالزاء المعجمة ، وفي ابن تغري بردي ط . أوربة ٢ / ١٨٤ : « نذير الحرمي » بالراء المهملة — انظر ابن جرير الطبري طبعة مصر ١٢ / ٣٠ وقد جاءت في بعض المصادر الخزمي بالخاء المعجمة .

(٥) في الأصل : « فندت أنا » ولا معنى لها : فلعلها : « فندبت أنا » - وفي ياقوت : « فبدأت أنا بقراءة » ولكنها لا تفي بما يريد الكاتب ، والمستشرقون يقترحون صوراً كثيرة ، لانرى اثباتها هنا .

(٦) يضيف ياقوت هنا ١/٤٦٨ : « ليفيض عليهم الخلع ويعلمهم الشرائع الاسلامية » وهي من عند ياقوت بغير شك .

(٧) في الأصل : « بارتخشيثن » وهي مصحفة وصوابها كما في ياقوت ١ / ١٩١ : « أرتخشميثن : بالفتح ثم السكون وتاء مفتوحة ، وخاء معجمة مضمومة وشين ساكنة معجمة وميم مكسورة وثاء مفتوحة ونون : - مدينة كبيرة ذات أسواق عامرة ، في قدر نصيبين ، وهي من أعمال خوارزم من أعاليها ، بينها وبين الجرجانية مدينة خوارزم ثلاثة أيام ، فيها برد شديد » ولعلها أصبحت مدينة في عهد ياقوت ، بعد ثلاثة قرون ، وقد زارها بنفسه ، ويرى المستشرق فراي أنها : « Artahusmitan » .

(٨) انظر في خوارزم معجم ياقوت ٢ / ٤٨١ ، وخوار معناها اللحم ورزم معناها الخبز .

(٩) ابن الفرات هو أبو الحسن علي بن الفرات ، من أجل الناس وأعظمهم كرماً لزمانه ، كان وزيراً —

وكان الرسول إلى المقتدر من صاحب الصقالبة رجل يقال له عبد الله ابن باشتو الخزريّ[١] . والرسول من جهة السلطان سوسن الرّسي[٢] مولى نذير الحرمي ، وتكين التركي ، وبارس الصقلابي[٣] وأنا معهم — على ما ذكرتُ — فسلمتُ إليه الهدايا ، له ولامرأته ولأولاده ، وإخْوَته ، وقُوّاده[٤] ، وأدويةً كان كتب إلى « نذير » يطلبها .

— للمقتدر خلال الفتنة بينه وبين ابن المعتز ، ثم قبض عليه المقتدر ، وصادر ضياعه ، وهذه بينها ، فجعلها هنا جراية للبعثة – انظر تاريخ الرسل والملوك للطبري ، طبعة مصر ١٢/٦ ٥٦ ، والفخري طبعة أوربة ص ٣١٤ .

(١) في الأصل : « باشتوا » ولم نقف على ترجمة له .

(٢) في الأصل : « سوسن الروسي » – وفي المصادر : « الرسي » ، ولعله حاجب المكتفى ، سمي نسبة إلى نهر الرس ، وهو عند الإدريسي نهر اتل أي الفولغا عند الروس .

(٣) هو بارس الحاجب غلام اسماعيل بن أحمد صاحب خراسان ، جاء ذكره في ابن حوقل ٢ / ٤٧١ قال إنه هرب من مولاه أحمد بن اسماعيل ، فنزل العراق بعدة هالت السلطان ، والخليفة إذ ذاك المقتدر ، فلم يكن بحضرة السلطان جيش مثله يوازيه – انظر كذلك تجارب الأمم ٥ / ٤ .

(٤) سنرى فيما بعد أنه ذكر تسليم الهدايا من الطيب والثياب واللؤلؤ ، ولم يذكر الأدوية . وهو هنا يروى في البدء ما فعله خلال الرحلة ، فقد كتب تقريره هذا أو رسالته بعد عودته من مهمته وقيامه بما كلف به .


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

[العجم والأتراك]



٢

[في فارس] فرحلنا من « مدينة السّلام » يومَ الخميس لاحدى عشرة ليلة خلت من صفر سنة تسع وثلاثمائة[١] . فأقمنا « بالنهروان »[٢] يوماً واحداً ورحلنا مُجدّين حتى وافينا « الدّسكرة »[٣] فأقمنا بها ثلاثة أيّام . ثم رحلنا قاصدين لا نلوي[٤] على شيء حتى صرنا إلى « حلوان »[٥] فأقمنا بها يومين .

وَسِرْنا منها إلى « قَرميسين »[٦] فأقمنا بها يومين . ثم رحلنا فسرنا حتّى وصلنا إلى « همذان »[٧] فأقمنا بها ثلاثة أيام .

---

(١) ذكرنا في المقدمة أن هذا التاريخ يوافق ٢١ حزيران (يولية) ٩٢١ .

(٢) النهروان : أكثر مايجري على الألسنة في ضبطها بكسر النون ، وهي كورة واسعة بين بغداد وواسط من الجانب الشرقي ، كما في ياقوت ٤ / ٨٤٦ .

(٣) الدسكرة ، في ياقوت ٢ / ٥٧٥ ، قرية كبيرة بنواحي نهر الملك من غربي بغداد .

(٤) في مخطوطتنا : « لا نكون على شيء » ولعل صوابها : « لا نلوي على شيء » وقد كرر هذا التعبير فيما بعد مرة أخرى .

(٥) حُلوان : (بالضم ثم السكون) — حلوان العراق ، في آخر حدود السواد مما يلي الجبال من بغداد ، كما في ياقوت ٢ / ٣١٧ .

(٦) قَرميسين : (بالفتح ثم السكون) — تعريب كرمان شاه ، بلد معروف بينه وبين همذان ثلاثون فرسخاً ، قرب الدينور ، وهي بين همذان وحلوان ، على طريق الحاج ، نزهة عذبة الماء ، كما في ياقوت ٤ / ٦٩ ، فابن فضلان كان يسلك طريق الحاج .

(٧) همذان : مدينة بالجبل . وصفها ياقوت ٤ / ٩٨١ ، وتحدث عن بردها الشديد في حكايات طويلة .

ثم سِرْنا حتّى قدمنا « سَاوة »[1] فأقمنا بها يومين ؛ ومنها إلى « الريّ »[2] ، فأقمنا بها أحد عشر يوماً ، ننتظر أحمدَ بن عليّ أخا صعلوك[3] لأنه كان « بخُوَار الريّ »[4] .

ثم رحلنا إلى « خُوَار الريّ » فأقمنا بها ثلاثة أيّام . ثم رَحلنا إلى « سِمْنَان »[5] . ثم منها إلى « الدَّامغان »[6] ، وصادفنا بها « ابنَ قارن »[7] من قِبل « الدّاعي »[8] ، فتنكّرنا في القافلة ، وسرنا مُجِدّينَ حتى

---

(١) ساوة : ذكرها ياقوت ٣ / ٢٤ ، وقال انها مدينة حسنة بين الريّ وهمذان ، في وسط ؛ بينها وبين كل واحدة من همذان والريّ ثلاثون فرسخاً

(٢) الريّ : ذكرها ياقوت ٢/٨٩٢ ، وقال انها قصبة بلاد الجبال ، بينها وبين نيسابور ١٦٠ فرسخاً ، وهي من أعلام المدن ، محطّ الحاج على طريق السابلة ، قرب « طهران » الحالية .

(٣) جاء في التواريخ أنه أحمد بن علي صعلوك ، قلد أعمال المعاون بأصبهان وقم ، وكان يلي الريّ ، انظر تجارب الامم ٥ / ٥٠ وصلة عريب ٢٧ ، وابن جرير الطبري ١٢ / ٢٧ .

(٤) خُوار : بضم أوله . ذكرها ياقوت ٢ / ٤٧٩ ، وقال انها مدينة كبيرة من أعمال الري ، بينها وبين سمنان للقاصد إلى خراسان ، بينها وبين الري نحو عشرين فرسخاً .

(٥) سمنان : بكسر السين عنـد أهل الحديث ، ذكرها ياقوت ٣ / ١٤١ ، وقال انها بلدة بين الري ودامغان وبعضهم يجعلها من قومس ، كثيرة الأشجار والأنهار والبساتين .

(٦) دَامَغان : بفتح الميم والغين ، ذكرها ياقوت ٢ / ٥٣٩ ، وقال انها بلد كبير بين الريّ ونيسابور ، كثيرة الفواكه - انظر كذلك ابن حوقل ٢ / ٣٨٠ .

(٧) في الأصل : « ابن قارق » بالقاف في آخره ، وقد ذكر المؤرخون أحـد أجداده وهو المازيار بن قارن ، وهو هنا العباس بن قارن . انظر ياقوت ٣ / ٢٨٣ ، والطبري ٣ / ١٥٧٥ طبعة أوربة .

(٨) هو الحسن بن القاسم الحسنى الداعي ، ذكرته المصادر لأهميته ، ومنها مروج الذهب ، طبعة باريس ٩/٦ ، وابن الأثير ط المنيرية ٦ / ١٤٨ ، ودائرة المعارف الاسلامية ، وتجارب الأمم ٥ / ٣٦ ، وزامباور ، بالترجمة العربية ٢ / ٢٩٣ .

قَدِمنا « نيسابور »[1] ، وقد قُتِل « لَيْلى بنُ نُعْمَان »[2] فأصبنا بها « حَمَوَيْه كوسا »[3] صاحبَ جيش خراسان .

ثم رحلنا إلى || « سرخس »[4] ثم منها إلى « مرو »[5] ثم منها إلى [١٩٧ظ] « قشمهان »[6] وهي طَرَفُ مَفَازَة « آمُل »[7] فأقمنا بها ثلاثة أيّام ، نُرِيحُ الجِمَالَ لدخول المفازة .

---

(١) نيسابور : بفتح النون ، مشهورة ، ذكرها ياقوت ٤ / ٨٥٧ ، وقال انها مدينة عظيمة ، بينها وبين الريّ ١٦٠ فرسخاً .

(٢) قتل ليلى بن النعمان قبل قليل ، فقد جاء في تجارب الأمم ٥ / ٧٦ ، لحوادث سنة ٣٠٩ هـ : « وفيها دخل رسول صاحب خراسان برأس ليلى بن النعمان الديلمي الذي خرج بطبرستان » ، وقد كان ليلى أحد قواد أولاد الأطروش العلوي ، وكانت إليه ولاية جرجان ، استعمله عليها الحسن بن القاسم الداعي سنة ٣٠٨ هـ ، كما في ابن الأثير ٦ / ١٦٧ ط المنيرية .

(٣) حمويه بن عليّ ، ذكرته التواريخ في اكثر من مكان ، وقد حكم سمرقند سنة ٣٠١ هـ ، كما في ابن الأثير ٦ / ١٤٥ ، وفي المقدسي ط أوربة ص ٣٣٧ ، أنه كان صاحب جيش نصر بن أحمد بن اسماعيل وفي ابن الاثير بعد ذلك ٦ / ١٤٩ : « فتوجه إليها من بخارى حمويه بن علي في عسكر ضخم لمحاربتها » .

(٤) سَرْخَس : بفتح أوله وسكون ثانيه وفتح الخاء ، ويقال بالتحريك — ذكرها ياقوت ٣ / ٧١ ، فقال انها مدينة قديمة من نواحي خراسان ، كبيرة بين نيسابور ومرو ، في وسط الطريق ، بينها وبين كل واحدة منهما ست مراحل .

(٥) مرو : مشهورة ، ذكرها ياقوت ٤ / ٥٠٧ وقال انها أشهر مدن خراسان ، وبين مرو ونيسابور سبعون فرسخاً ، ومنها إلى سرخس ثلاثون .

(٦) قشمهان : لم نقع عليها في ياقوت بهذا الضبط ، ولعلها : « كشميهن » كما ضبطها أبو الفداء في تقويم البلدان ص ٤٤٦ فقال : « ومن بلاد خراسان كشميهن ، قال المهلبي وهي قرية من أعمال مرو الشاهجان على خمسة فراسخ منها على طرف المفازة » وضبطها ياقوت ٤/٢٧٨ فقال : « بالضم ثم السكون وفتح الميم وياء ساكنة وهاء مفتوحة ونون « كشميهن » قرية كانت عظيمة من قرى مرو على طرف البرية آخر عمل مرو لمن يريد قصد آمل » فالفرق بينهما هو الياء بعد الهاء .

(٧) آمل : بضم الميم واللام — ذكرها ياقوت ١ / ٦٩ فقال إنها مشهورة ، في غربي جيحون على طريق القاصد إلى بخارى من مرو ، بينها وبين شاطىء جيحون نحو ميل . ويقال لها آمل المفازة ، لأن بينها وبين مرو رمالاً صعبة المسالك ، ومفازة أشبه بالمهالك » — انظر ابن حوقل ٢ / ٣٨١ حيث يقول إن آمل اكبر مدن طبرستان ، وهي مستقر ولاتها ، وهي أكبر من قزوين .

ثم قطعنا المفازة إلى آمل ، ثم عبرنا « جَيحون » وصرنا إلى آفرير[١] رباطِ طاهر بْنِ عليّ .

٣

[في بخارى]

ثم رحلنا إلى « بيكَنْد»[٢]. ثم دخلنا « بُخارا »[٣] ، وصرنا إلى الجيهاني س[٤] وهو كاتب أمير خراسان ، وهو يدعى بخُراسان الشيخ العميد ، فتقدَّم بأخذ دارٍ لنا ، وأقام لنا رجلاً يَقضي حوائجنا ويزيح عللنا[٥] في كل ما نريد ، فأقمنا أيّاماً .

---

(١) في الأصل : « آفرين » هكذا ، ولم نقع عليها بهذا الاسم ، ولعلها « أفرير » تقع على مقربة من نهر جيحون بعد آمل ، كما في كتاب بلدان الخلافة الشرقية تأليف استرنج ، في الخريطة مقابل صفحة ٤٧٦ من الترجمة العربية . وقد حار المستشرقون قبلنا في ضبطها وفي مكانها ، فاقترح المستشرق « فراي » أن تكون « آفريبار » ، ورأى غيره أن تكون « آفرندين » - وفي ابن حوقل ٢ / ٣٨٤ : من الري إلى أفريدين مرحلة .

(٢) بيكند : بالكسر وفتح الكاف وسكون النون - ذكرها ياقوت ٧٩٧/١ وقال : إنها بلدة بين بخارا وجيحون على مرحلة من بخارا ، كانت كبيرة ، وبها رباطات كثيرة نحو ألف ، خربت منذ زمان .

(٣) بخارا : من أعظم المدن ، ذكرها ياقوت ١ / ٥٧١ ، قال انه يعبر اليها من آمل الشط ، بينها وبين جيحون يومان وكانت قاعدة ملك السامانية بينها وبين سمرقند سبعة أيام . وبينها وبين مرو ١٢مرحلة . وهي اليوم من أشهر المدن في أوزبكستان من الولايات السوفيتية .

(٤) أبو عبد الله محمد بن أحمد الجيهاني ، ذكره ابن العديم في كتابه بغية الطلب المخطوط ١ / ٢١ قال : « هو وزير صاحب خراسان ، كان له كتاب المسالك والممالك ضاع ، وقام مكانه كتاب البلدان لابن الفقيه الهمذاني كما يقول ابن النديم سلخه من كتـابه » -- وذكره غيره ، فانظر في احسن التقاسيم المقدسي ٣٣٧ ، وفي ابن الأثير ط أوربة ٨ / ٢٨٣ ، وفي ياقوت ارشاد الأريب ٢ / ٥٩ ، وذكره بروكلمن ١ / ٢٢٨ والذيل ١ / ٤٠٧ وقال انه أحمد بن محمد ، وزر في بخارى ٢٧٩ هـ -- ٢٩٥ هـ لنصر بن أحمد الساماني .

(٥) أزاح العلة : تقال خاصة في الجنود الذين يحتاجون الى أمر تقضي حاجاتهم .

ثم استأذن لنا على نَصر بن أحمد[1] فدخلنا إليه وهو غلام أمرد ، فسلمنا عليه بالامرة ، وأمرنا بالجلوس . فكان أول ما بدأنا به أن قال : « كَيْفَ خلَّفْتُمْ مولايَ أميرَ المؤمنين ؟ – أطال اللهُ بقاءه وسلامته في نفسه وفِتيانه وَأوليائه – » فقلنا : « بخَيْر » ، قال : « زاده الله خيراً » .

ثم قُرِئَ الكتابُ عليه بِتَسَلُّمِ[2] « أَرْثَخُشْمِثَين » من الفَضْلِ بْنِ مُوسي النصرانيّ وكيلِ ابنِ الفُرات ، وتسليمها إلى أحمد بن موسىٰ الخوارزميّ ، وانفاذنا ، والكتابِ إلى صاحبه بخُوَارِزم بتَرْكِ[3] العرض لنا ، والكتابِ ببابِ التُّرْكِ ببذرقتنا[4] وترك العرض لنا .

فقال : « وأين أحمد بنُ موسىٰ ؟ » فقلنا : « خلَّفناه بمدينة السَّلام ليخرج خلفنا لخمسة أيّام » . فقال : « سمعاً وطاعة لما أمر به مولايَ أمير المؤمنين – أطال اللّه بقاءه – » .

(١) نصر بن أحمد بن نصر الساماني ، أحد الملوك المشهورين في السامانية وهو صاحب خراسان – كان في الثامنة من عمره حين قتل أبوه ، حكم من سنة ٣٠١ – ٣٣١ هـ .

(٢) في الأصل : « بتسليم » ولعلّها كما رسمنا .

(٣) في الأصل : « يترك » – والعرض : كل شي سوى الدراهم والدنانير من المتاع .

(٤) بذرقة : اتخاذ الدليل أو الحراس ، كما في تكملة معاجم العرب لدوزي ، ١/٦٠ ، وهنا يعني أن تحرس البعثة بجنود يحمونها وهي « Escorte » بالافرنجية ، وفي شرح القاموس أن بذرقة تكون بالذال المعجمة والمهملة معاً ، وأنها مركبة من بد ، وراه والمعنى الطريق الرديء ، فارسية معربة .

قـــــال :

وَاتصل الخـبرُ بالفضلِ بْنِ موسىٰ النَّصْرانيّ وكيلِ أبنِ الفُرَات ، فأعملَ الحيلةَ في أمرِ أحمد بنِ مُوسى ، وكَتَبَ إلىٰ عُمَّالِ المَعَاوِن [1] بِطَرِيقِ خُراسان من جُنْد سرخس إلىٰ بيكند : « أنْ أذْكُوا العُيُونَ على أحمد بن موسىٰ الخوارزمي في الخانات والمراصد [2] وهو رَجُلٌ مِن صِفَتِه وَنَعْتِه ، فمن ظفر به فليَعْتَقِلْهُ [3] إلى أن يَرِدَ عليه كتابُنا بالمَسْئَلةِ » . فَأُخِذَ بمَرْوٍ واُعتُقِل .

وَأَقَمْنا نحن ببُخَارا ثمانية وعشرين يوماً . وقد كانَ الفضل بن موسى أيضا وَاطَأ عبدَ اللهِ بْنَ باشْتُو وَغيرَهُ من أصحابنا يقولون : « إنْ أقمنَا هجم الشِّتاء وفاتنا الدخول ، وَأحمدُ بْنُ موسىٰ إذا وافانا [4] لَحِقَ بِنا » .

---

(١) عامل المعاون ، أو صاحب المعاون أو عامل المعونة ، وهو قائد الشرطة أو الأمن ، كما في تكملة معاجم العرب لدوزي ٢ / ١٩٢ .

(٢) المرصد : مركز جنود الجمارك والحراس للحدود على الدروب والأمن ، كما في معجم دوزي ١/٥٣٣ والراصد هو الجندي المكلف بحراسة الحدود وأمن الطرق وسؤال المسافرين — وأذكى على الرجل العيون : أرسل عليه الطلائع .

(٣) في الأصل : « فليعتلقه » — ولعلها « فليعتقله » بتقديم القاف على اللام ، كما يرد بعد كلمات ، حيث يقول : « واعتُقِلَ » .

(٤) في الأصل « والفنا » وهي خطأ من الناسخ ، وصوابها « وافانا » .

قـــــال :

ورأيتُ الدراهم ببُخـارا[1] ألوانًا شتّى . منهـا دراهمُ يقـالُ لهـا الغطريفية[2] : وهي نحاس وشبه[3] وصفر ، يوخذ منها عدد بلا وزن ، مائـةٌ منْهـا || بـدرهم فِضّة . وإذا شروطهم في مهور نسائهم : تَزَوَّجَ [١٩٨و] فُـلان أبْنُ فُلانٍ فـلا نـةً بنتَ فـلان على كـذا وكـذا ألف درهم غطريفية . وكذلك أيضًا شراء عقارهم وَشراء عَبيدهم ، لا يذكرون غَيْرَها مِنَ الدّراهِم . ولهم دراهم أُخر[4] صفر وحده ؛ أَربعون[5] منها بدانق . ولهم أيضًا دراهم صفر يقال لهـا السمرقندية ستة منها بدانق .

* * *

(١) تحدث ياقوت عن الدراهم ببخارا كذلك فقال ١ / ٥١٩ : « وكانت معاملة أهل بخارا في أيام السامانية بالدراهم ، ولا يتعاملون بالدنانير فيما بينهم ، فكان الذهب كالسلع والعروض . وكان لهم دراهم يسمونها الغطريفية من حديد وصفر وآنك ، وغير ذلك من جواهر مختلفة ، وقد ركبت ، فلا تجوز هذه الدراهم إلا في بخارا ونواحيها وحدها » .. انظر الحضارة الاسلامية لمتز ، بالعربيـة ، ٢ / ٣١٧ ، والاصطخري ٣١٤ ، ٣٢٣ .

(٢) الدراهم الغطريفية أو الغطارفة ، وهي دراهم كانت معتبرة جداً في بخارا ، ضربها غطريف بن عطاء عامل خراسان لعهد الرشيد . والدرهم يساوي ستة دوانق ، والدانق يساوي اثني عشر قيراطـاً – انظر تكملة معاجم العرب لدوزي ٢ / ٢١٦ ، والمصـادر السابقة المذكورة .

(٣) الشَّبَه : محركة ، النحاس الأصفر كالشبه بكسر الشين وسكون الباء ، والصفر مثلها .

(٤) في الأصل « دراهم أخذ » وهي مصحفة عن كلمة « دراهم أخر » واستعمل التعبير نفسه ياقوت ١/٥٠٩ في الكلام عن بخارا ولعل الجملة تستقيم حين يقول « من الصفر وحده » على شكل أجمل وفي طبعة ليدي : « وحدة أربعين » .

(٥) في الأصل : « اربعين منها » ولعلها خطأ من الناسخ .

٤

[في خوارزم]

فلمَّا سمعتُ كلام عبد الله بن باشتو وكلام غيرِه يُحَذّرُونَني[1] مِنْ هجومِ الشِّتاء ، رحلنا مِنْ « بُخارا » راجعين إلى النهر ، فتكارينا[2] سفينةً إلى « خُوَارِزم » ، والمسافة إليها من الموضع ٱلذي أكترينا مِنه السفينة أكثر من مائتي فرسخٍ ، فَكُنَّا نسير بعض النهار ، ولا يَسْتَوي لَنا سَيْرُه كلُهُ من البرد وشدته ، إلى أن قدمنا « خُوَارِزم » .

فدخلنا على أميرها « محمد بن عراق خوارزم شاه[3] » فأكرمنا وقربنا وأنزلنا داراً .

فلما كان بعد ثلاثة أيام أحضرنا ، وناظرنا في ٱلدخول إلى بلد التُّرْكِ ، وقال : « لا آذَنُ لكم في ذلك ولا يحلّ إلَيَّ تَرْكُكُمْ تُغَرِّرُون بدمائكم . وَأنا أعلم أنها حيلة أوقعها هٰذا الغلامُ ، — يَعْني تكين — لأنه كان عندنا حداداً وقد وقف على بيع ٱلحديد ببلد

---

(١) في الأصل : « يحذروني » .
(٢) اكترى الشيء اكتراء وتكاراه تكاريا : استأجره .
(٣) محمد بن عراق أمير خوارزم ، انظر في شأنه ، كتاب الانساب لزامباور ١٩٢٧ ، ص ٢٠٨ ، وتاريخ خوارزم لسخاو ، والبيروني ص ٢٤١ .

الكفّار[١] ، وهو الذي غرَّ « نَذيراً » وحمله على كلام ِ أمير المؤمنين ، وإيصالِ كِتابِ ملك الصقالبة إليه . والأمير الأجل — يعني أميرَ خُرَاسانَ — كانَ أَحق بإقامة الدَّعوة لأَمير المؤمنين في ذلك البلد لو وجد محيصاً[٢] . ومن بعد ، فَبَيْنَكُمْ وبين هذا البلد ٱلَّذي تَذْكُرونَ أَلف قبيلة من ٱلكفار . وَهٰذا تمْويهٌ على السلطان ، وقد نصحتكم . ولا بد من ٱلكتاب ، إلىٰ الأَميرِ[٣] الأجلِّ حتّى يراجع السلطانَ — أيده ٱلله — في المكاتبة ، وتقيمون أنتم إلىٰ وقت يَعُودُ ٱلْجوابُ ».

فانصرفنا عنه ذلك ٱليوم ، ثم عاودناه ، ولم نَزَلْ نرفق به وَنُدَاريه ، ونقول : « هذا أَمر أَمير المؤمنينَ وَكتابُه ، فما وجه المراجعة فيه ؟ » حتى أَذن لنا ، فأَنحدرنا مِنْ خُوَارِزْمَ[٤] إلىٰ « ٱلجرجانية » وبينها وبين « خوارزم » في ٱلماء خمسون فرسخاً .

---

(١) وهذا برهان جديد على أن الأتراك كانوا يسمون الصقالبة كفاراً قبل أن يذهب اليهم ابن فضلان واصحابه.

(٢) المحيص : في الأصل ، المهرب ، يقال حاص عن الشر يحيص حيصاً ومحيصاً ، عدل وحاد عنه ، والمحيص : المحيد ، وفي القرآن الكريم : « سواء علينا أجزعنا أم صبرنا مالنا من محيص » .

(٣) في الأصل : « أمير الأجل » فأضفنا التعريف على الأمير تصويباً .

(٤) يقول ياقوت ٢ / ٤٨٠ ان خوارزم ليس اسماً المدينة انما هو اسم للناحية بجملتها ، فأما القصبة العظمى فقد يقال لها اليوم الجرجانية ، وأهلها يسمونها كركانج . ويقول ياقوت في الجرجانية ٢ / ٥٤ انها مدينة عظيمه على شاطيء جيحون ، وهي كركانج فعربت إلى الجرجانية ، وقد رآها ياقوت سنة ٦١٦ هـ ، فوصف بردها الشديد ، وقال انه يسكنها قوم من الأتراك والتركمان لأيامه ويجدر أن ننبه إلى أن ياقوت بدأ ينقل هنا عن ابن فضلان حرفاً حرفاً .

ورأيتُ دراهمَ خُوارزمَ مُزَيَّفَةً ، ورصاصاً[1] وزيوفاً[2] ، وصفراً . ويسمون الدّرهم « طازجة[3] » ووزنه أربعة دوانيق[4] ونصف . وَالصَّيْرَفيُّ منهم يبيع الكعاب[5] ، والدوامات ، والدراهم .

[١٩٨ظ] وهم أوحش الناس || كلاماً وطبعاً ، كلامهم أشبه شيء بصياح الزرازير[6] . وبها قرية على يوم يقال لها « أردكو[7] » أهلها يقال لهم « الكردلية » ؛ كلامهم أشبه شيء بنقيق الضفادع . وهم يتبرءون من أمير المؤمنين « عَلِيّ بن أبي طالب » — رضي الله عنه — في دبر[8] كلّ صلاة .

* * *

---

(١) في الأصل : « مزيفة ورصاص وزيوف وصفر » — وفي ياقوت ٢ / ٤٨٤ : « مزيفة ورصاصاً وزيوفاً وصفراً » فرأينا أنها من خطأ الناسخ في العربية فصوبناه .

(٢) الزائف : هو الدرهم الرديء والمردود لغش فيه ، جمعه زيوف . وكان للعملة الزائفة ثمنها المحدد جهاراً ، وتسمى المزيفة ، لأن الفضة تذاب مع الزئبق انظر كلمة « زبق » عند الجوهري ، والحضارة الاسلامية لمتز ٢ / ٣١٩ ، ومجلة JRAS ، مقال آمدروز سنة ١٩٠٦ ص ٤٧٩ .

(٣) طازجة : النقية الخالصة ، وهي معرب تازة ، كما في المعرب للجواليقي ٢٢٩ .

(٤) في الأصل : « أربع دوانيق » وهو ضعف من الناسخ صوبناه .

(٥) الكعاب : جمع كعب وهو الدانق الصغير كما في معجم دوزي ١ / ٤٧٨ ومعجم Lane .

(٦) انقص ياقوت حين النقل هذه الجملة كما يحدث عادة عند النساخ ، فجاء عنده أن كلامهم أشبه شيء بنقيق الضفادع ، وهو يأتي بعد سطر واحد وأما التشبيه بصياح الزرازير ، فقديماً شبه النابغة الشيباني صوت العجم بمثل ذلك فقال (ديوانه طبعة دار الكتب ١٩٣٢ بمصر ص ٥٣) :

أصوات عجم إذا قاموا بقريتهم كما تصوت في الصبح الخطاطيفُ

(٧) لم نقف على موقع القرية أو اسم أهلها في المصادر ، فلعلها مصحفتان .

(٨) دبر : عقب كل صلاة .

٥

[في الجرجانية]

فأقمنا « بالجُرْجانيّةِ » أياماً ، وجمد « نهر جيحون » من أوله إلى آخره . وكان سمك الجَمْد سبعة عشر شبراً[1] ، وكانت الخيل والبغال والحمير والعجل تجتاز عليه كما تجتاز على الطرق . وهو ثابت لا يتخلخل . فأقامَ على ذلك ثلاثة أشهر .

فرأينا بلداً ما ظننّا إلاّ أنّ باباً من الزَّمْهَرير قَدْ فُتِحَ عَلَينا منه ، ولا يسقط فيه الثلج إلا ومعه ريح عاصف شديدة[2] . وإذا أتحف الرجل مِنْ أهْلِهِ صاحِبَهُ ، وأراد برّه قال له : « تعال إليَّ حتى نتحدثَ[3] فإنّ عندي ناراً طيبة » . هذا إذا بالغ[4] في برِّه وَصِلَتِهِ . إلا أن الله تعالى قد لطف بهم في الحطب وأرخصه عليهم : حمل عجلة من حطب الطاغ[5]

---

(١) وصف ياقوت نهر جيحون ٤ / ١٧١ ، وذكر تجمده فقال : « حتى يصير ثخنه نحو خمسة أشبار » . ولذلك كذب ابن فضلان هنا وقال : ٢ / ٤٨٤ « وهذا كذب منه فان أكثر مايجمد خمسة أشبار ، وهذا يكون نادراً ، فأما العادة فهو شبران أو ثلاثة . شاهدته وسألت عنه اهل تلك البلاد – والعجيب ان السمك عند ابن فضلان هنا هو « سبعة عشر شبراً » وينقل ياقوت فيقول : « تسعة عشر شبراً » .

(٢) ويعلق ياقوت على هذا الكلام كذلك فيقول ٢ / ٤٨٥ : « قلت : وهذا ايضاً كذب ، فانه لولا ركود الهواء في الشتاء في بلادهم لما عاش فيها احد » .

(٣) في الأصل المخطوط : « حتى يتحدّث » وصوابها مارسمنا .

(٤) في الأصل : « بلغ في بره » ولعل صوابها ما وضعناه .

(٥) فسّر ياقوت الكلمة فقال : « الطاغ وهو الغضا » ، وهي تركية معرّبة ، ولكن ياقوت يضيف ٢/٤٨٥ « قلت : وهذا ايضاً كذب ، لأن العجلة اكثر ماتجرّ عليها ما اختبرته وحملت قماشاً لي عليه ألف رطل »

بدرهمين من دراهمهم[1] تكون زهاء ثلاثة آلاف رطل .

ورسم سؤالهم أن لا يقفَ السائل على الباب ، بل يدخل إلى دار[2] الواحدِ منهم فيقعد ساعةً عندَ نَاره يَصْطَلي ، ثم يقول : « بكند » يعني الخبز[3] . [فإن أعطوْه شيْئًا أخذ وإلاَّ خَرَج][4] .

* * *

وتطاول مقامنا « بالجرجانية ، وذاك أنا أقمنا بها أياماً من رجب وشعبان وشهر رمضان وشوال . وكان طول مقامنا من جهة[5] البرد وشدّته . ولقد بلغني أن [رجلين ساقا][6] اثنى عشر جملاً ليحملا عليها حطباً من بعض الغياض فنسيا أن يأخذا معهما قدّاحة وحُرَاقة[7] ، وأنهما باتا بغير نار ، فأصبحا والجمال موتى لشدة البرد .

---

(١) في الأصل : « من دارم » وصوابها كما في ولبدي : « من دراهمهم » .

(٢) في مخطوطتنا : « الدار الواحد » فصوبنا ما أفسده الناسخ .

(٣) يعلق ياقوت كذلك فيقول : « قلتُ أنا : وهذا من رسمهم صحيح إلا أنه في الرستاق دون المدينة ، شاهدتُ ذلك » - ثم يختصر ياقوت ماعند ابن فضلان من وصف البرد ، وقال إنه نفسه اراد ان يكتب هناك فجمد المداد ، ووضع الشربة على شفتيه فالتصقت لجمودها - انظر ص٩٩ حيث يقول أن «بكند» بلغة خوارزم .

(٤) هذه الزيادة من ياقوت لتمام العبارة والسياق .

(٥) في مخطوطتنا : « من جهت » بالتاء المفتوحة ، ذكرناها لنصور ضعف الناسخ وسوء إلمامه بالعربية .

(٦) في مخطوطتنا : « بلغني أن الناعشر جملا » ولا معنى لها ، فأضفنا مابين المعقوفتين تتمة للسياق وصححنا العدد .

(٧) الحُراقة : بالضم - مايقع فيه السقط عند القدح من خرْقة أو تَبج أو نحوهما ، والتبج أصول البَرْدي إذا جفّ ، وهي ، كالحُرّاق - والقدّاحة : حجر القدح ، وقيل الحديدة التي يقدح بها .

ولقد رأيتُ لهواء بردها[١] بأن السوق بها والشوارع لتخلو[٢] حتى يطوف الإنسانُ أكثرَ الشوارع والأسواقِ ، فلا يجدُ أحداً ولا يستقبله إنسان . ولقدْ كنت أخرجُ من الحمّام ، فإذا دخلت إلى البيت نظرتُ إلى لحيتي وهي قطعةٌ واحدة من الثلج حتى كنت أُدنيها[٣] إلى النّار .

ولقد كنت أنام[٤] في بيت جوف[٥] بيتٍ ، وفيه قبة لبود[٦] تركية وأنا مدثّرٌ بالأكسية والفرى[٧] ، فربّما التصق خدّي على المخدة .

ولقد رأيتُ || الجبابَ بها تكسى البوستينات[٨] من جلود الغنم لئلاّ[٩] [١٩٩ و] تتشقّق وتنكسر، فلا يغني ذلك شيئاً .

---

(١) اقترح احد المستشرقين هنا رواية : « رأيت لاهرائها » ولا نرى رأيه .

(٢) في مخطوطتنا : « ليخلوا » أثبتناها صورة لاملاء الناسخ وخطه ، ومثلها كثير .

(٣) في طبعة وليدي : « كنت أذنيها » ولا تستقيم به العبارة .

(٤) في الأصل : « ولقد كنت أيام » وقد جعلها وليدي في طبعته كذلك .

(٥) الجوف من البيت وغيره : داخله ، جمعه أجواف .

(٦) اللبد : كل شعر أو صوف متلبد ، سمي به للصوق بعضه ببعض جمعه ألبـاد ولُبُود ، وهو كذلك بساط من صوف .

(٧) كذا في الأصل ، ولعلها الفراء جمع فروة ، وهي شيء نحو الجبة ، بطانته يبطن من جلود بعض الحيوانات كالأرانب والثعالب والسمّور . وقيل هي كساء يتخذ من أوبار الأبل .

(٨) يرى ده خويه أنها « بوست » ، ودوزى : « بوستين » وهي من الجلد الغليظ ، كالعبـاءة أو المعطف الكبير .

(٩) في طبعة وليدي : « لئلا تنشق وتنكسر » .

ولقد رأيتُ الأَرضَ تنشق فيها أَوديةٌ عِظامٌ لشدة البرد ، وأَنَّ الشجرةَ العظيمةَ العادية لتنفلق بنصفين لذلك .

* * *

فَلَمّا انتصفَ شوال من سنة تسع وثلاثمائة ، أَخَذَ الزّمانُ في التّغيّر ، وانحلَّ « نهر جيحون » ، وأَخذنا نحن فيما نحتاج إليه مِنْ آلَةِ السَّفرِ واشترينا الجِمالَ التُّرْكيَّةَ ، واستعملنا السُّفَرَ [1] من جلود الجمال لعبور [2] الأَنهار التي نحتاج أَنْ نعبرها في بلد الترك ، وتزودنا الخبزَ والجاورسَ [3] والنمكسوذ [4] لثلاثة أَشهر .

وَأَمَرَنا مَنْ كُنّا نأْنس به مِنْ أَهْل البلد بالاستظهار [5] في الثياب والاستكثار منها . وهوّلوا علينا الأَمر وعظموا القصة . فلمّا شاهَدْنا ذلك كان أَضعاف ما وصف لنا . فكان كل رجل منّا عليهِ قُرْطَقٌ [6] ،

---

(١) السُّفَرَ : جمع سفرة ، وهي المركب أو السفينة .

(٢) في مخطوطتنا : « من الحلو والجمال لعيون » .. وهي مصحفة قطعاً ، فلا تستقيم بها عبارة ولا يقوم لها معنى ، فرأينا أن تكون السفن من جلود الجمال لعبور الأنهار ، وصوبناها محافظين على رسم الحروف . - وفي طبعة وليدي : « لعيون الأنهار » وهو خطأ .

(٣) الجاورس حبّ معروف يؤكل مثل الدهن ، معرب كاورس ، وهو ثلاثة أصناف أجودها الأصفر ، وهو يشبه بالأرز ، ويدرّ البول ويمسك الطبيعة ، وذلك كما جاء في تاج العروس .

(٤) النمكسوذ : بفتح النون والميم وسكون الكاف .. لحم مجفف من غير تقديد ، انظر تكملة المعاجم لدوزي ٢ / ٧٢٦ ، وده خوية في المكتبة الجغرافية ٤ / ١٦٨ .

(٥) استظهر الرجل : احتاط .

(٦) قرطق : بالضم فالفتح ثم فتح الطاء - معرّب كرته ، وهو قميص أو معطف قصير يصل إلى منتصف الجسم كما في معجم دوزي الملابس ٣٦٢ .

وفوقَهُ خِفْتانٌ[١] ، وفَوْقَهُ بوستين ، وفوقَهُ لبّادَة[٢] وبرنس[٣] ، لا تبدو منه إلاّ عيناه[٤] ، وسراويل[٥] طاق ، وآخر مبطّن ، وَران[٦] ، وخُفُّ كَيمَخْت[٧] ، وفوقَ الخُفِّ خُفٌّ آخر . فكان الواحد منّا إذا ركبَ الجملَ لم يَقْدِر أَن يتحرك لما عليه من الثِّياب .

وتأخَّرَ عنّا الفقيهُ والمعلِّمُ والغِلْمانُ[٨] الذين خرجوا معنا من مدينة السَّلام ، فزعًا مِنَ الدُّخول إلى ذَلكَ البلد . وسرت أَنا والرسول وسلف له ، والغلامان تكين وَ بارس[٩] .

* * *

---

(١) خفتان : استعمله القدماء بما نستعمل اليوم القفطان « أي الجاكيت » ، وهو صدرية تحت الثياب ، وقد حلّ محل الملابس العربية ، انظر معجم الملابس لدوزى ١٦٣ ، وفراى ٣٢ .

(٢) اللبادة : بالضم وتشديد الباء ، ما يلبس من اللبود وقاية من المطر والبرد .

(٣) برنس : هو في القاموس كل ثوب رأسه منه ، دراعة كان أو جبة أو ممطراً ، وهو معطف طويل له قلنسوة تلتصق به وتغطي الرأس ، كما في معجم الملابس لدوزى ٧٤ .

(٤) في مخطوطتنا : « عصيناه » ولم نجد لها موضعاً ، فلعلها كما رسمنا ، لأن البرنس يغطي الوجه والرأس ولا تبدو إلا العينان .

(٥) السراويل : لباس يستر النصف الأسفل من الجسم ، فارسيّ معرّب ، وهي مؤنثة وقد تذكر ، جمعها سراويلات ، وقيل السراويل جمع سروال أو سروالة .. انظر الحضارة الاسلامية لمتز ٢ / ١٨٦ - والطاق : ضرب من الثياب بغير جيب ، يلبسه المولود غالباً ، وقيل هو الطيلسان ، ولكنه هنا فيما نرى أنه بغير بطانة .

(٦) ران : نوع من الأحذية ، جمعه رانات .

(٧) كيمخت : بكسر الكاف وسكون الياء وضم الميم - فارسي ، نوع من الجلد لعله من جلد الخيل كما في تكملة المعاجم لدوزي ٢ / ٥٠٦ .

(٨) لم يذكر أسماء هؤلاء في بدء الرحلة ، ولا نعرف من هم وما مهمتهم ، وهل في البعثة فقيه غير ابن فضلان ؟ !

(٩) في مخطوطة الأصل : « فارس » وصحيحها ما مرّ بنا من قبل وشرحناه « بارس الصقلابي » - ولكن طبعة وليدي ترسمه « فارس » .

فلما كان في اليوم الذي عزمنا فيه على المَسير قلتُ لهم : « يا قوم ، معكم غلام الملك ، وقد وقف على أمركم كله ، ومعكم كتبُ السُّلْطان ، ولا أشك [أنَّ][1] فيها ذِكْرَ تَوجيه أربعة آلاف دينار المسيبيَّةِ[2] له . وتصيرون[3] إلى ملك أعجميّ فيطالبكم بذلك فقالوا : « لا تخشَ مِنْ هٰذا فإنه غير مطالب لَنا » . فحذرتهمْ ، وقلتُ : « أنا أعلمُ أنه يطالبكم » . فلم يقبلوا .

واستَدَفَّ[4] أمر القافلة ، وأكترينا دليلاً ، يقال له « قلواس »[5] من أهل « الجرجانية » . ثم توكَّلنا على الله — عز وجل — وَفوضنا أمرنا إليه .

* * *

(١) أضفناها تجلية للنص وبدونها يصحّ الكلام كذلك .

(٢) في الأصل : « دينار المسيبة » وصوابها بالياء الثانية بعد الباء وفي ياقوت ١ / ٥١٩ عن بخارا : « وكانت سكتها تصاوير وهي من ضرب الاسلام . وكانت لهم دراهم اخر تسمى المسيبيّة والمحمدية .

(٣) في المخطوطة : « ويصيرون » وصوابها ما وضعنا ولم يشرح ابن فضلان في تفصيل نية القوم في اخفاء الدراهم أو في اقتسامها وحجبها عن الملك ، ولكن السياق يدل على ذلك .

(٤) استدف الأمر : أي استتب واستقام ، وهي بالدال والذال ، واستدف هنا تهيأ ، وأمكن وتسهل .

(٥) في مخطوطتنا : « الوس » - ويرى المستشرق فراي أن تكون « قلواس » لما رأى من نصوص شبيهة واسماء قريبة في المنطقة ، ولعلها كلمة فارسية . وفي طبعة وليدي : « قلوس » .

٦

ورحلنا من الجرجانية يوم الاثنين لليلتين خلتا من ذي القعدة سنة تسع وثلاثمائة . فنزلنا رباطاً يقال له « زمجان[1] » || وهو بباب التُّرك ، [١٩٩ظ] ثم رحلنا من الغد فنزلنا منزلاً يقال له « جيت »[2] ، وجاءنا الثلْجُ حتى مَشَتِ الجِمالُ إلى رُكبها فيه . فأقمنا بهذا المنزل يومين .

ثم أوغلنا في بلد الترك لا نلوي على شيء ، ولا يلقانا أحد ، في برية قَفْر ، بغير جَبَل . فسِرْنا فيها عشرة أيّام ، ولقد لقينا مِنَ الضرّ والجَهد ، والبرد الشَّديد ، وتواصُلِ الثلوج الذي كان برد « خوارزم » عنده مثلَ أيّام الصَّيف ، ونَسينا كلَّ ما مَر بنا ، وأشرفنا على تَلَفِ الأنفُس .

ولقدْ أَصابَنا في بَعْضِ الأَيّامِ بَرْدٌ شديدٌ ؛ وكانَ « تكين » يُسايرُني[3] وإلى جانبه رجل مِن الأَتراك ، يكلمه بالتركية ، فضحك « تكين » وقال : « إنّ هٰذا التركيَّ يقول لك : أيُّ شيءٍ يريد ربنا منا ، هوَ ذا

---

(١) الرباطات كثيرة ، ولم نقع على اسم هذا الرباط ، وأصلحنا كلمة « باب » فجعلناها « بباب » .

(٢) في الأصل : « جنب » - ويقترح وليدي أن تكون : « جيت » .

(٣) سايره : جاراه وسار معه .

يقتلنا بالبرد ، ولو علمنا ما يريد لرفعناه[١] إليه » . فقلت له : « قُل له يريد منكم أَنْ تقولوا : (لا إلـهَ إلاّ الله) » . فضحكَ وقال : « لو علمنا لفعلنا » .

ثم صرنا بعد ذلك إلى موضع فيه مِنْ حَطَبِ الطّاغ شيءٌ عظيم ، فنزلناه ، وأُوقدت القافلة وأصطَلَوا ، ونزعوا ثيابهم وشَرَّرُوها .

ثم رحلنا ، فما زلنا[٢] نسير في كل ليلة من نصف الليل إلى وقت العصر أو [إلى][٣] الظهر ، بأشد سير يكونُ وأعظمِه ، ثم ننزل[٤] .

فلمّا سرنا خَمسَ عَشْرَةَ[٥] ليلة وَصلنا إلى جبلٍ عظيمٍ ، كثير الحجارة ، وفيهِ عيون تنجرف عبره وبالحفرة [تستقر] الماء[٦] .

* * *

---

(١) في الأصل : « لرفعناه » – ولعلها كما يرى أحد المعلقين : « لدفعناه » .
(٢) في الأصل : « فما زلتنا » وهو تصحيف من الناسخ .
(٣) في المخطوطة : « أول الظهر » ولا معنى لها وهي كما رسمنا .
(٤) وهو تصحيف آخر في المخطوطة : « تنزل » ونحن نرسم هذا لبيان حال الناسخ .
(٥) وهنا جهل بالنحو حيث يرسم الناسخ : « خمسة عشر ليلة » فصوبناها .
(٦) هنا عبارة غامضة رسمت كما يلي : « وفيه عيون تنحرف عبر وبالحفرة المـــاء » وهي بغير نقط ، فحار المستشرقون حول تصحيحها فرأى الروسي ٩٧ أن تكون : « وفيه عيون تنخرق عين وبالحفرة الماء » ويرى المجري ٢٣٨ : « عيون تخرق غدير وبالحفرة » ونحن نرى أن تكون : « وفيه عيون تنجرف عبره وتستقر بالحفرة الماء » – وفي طبعة وليدي : « وفيه عيون تنحرف عنه وبالحفرة الماء » . وهذا التعبير استعمله الجغرافيون لوصف العيون التي تنحدر الى البحيرة ، انظر خريدة العجائب لابن الوردي ص ٨٥

٧

[عند الغزية]

فَلَمّا قَطَعْناه أَفْضينا[١] إلى قبيلة مِن الأتراك يُعْرَفون بالغزّية[٢] . وإذا هُمْ باديةٌ ، لهم بيوتُ شَعْر ، يحلون ويرتحلون ، تَرى منهم الأبياتَ في مكانٍ ، ومثلَها في مكان آخر ، على عمل البادية وتنقّلهم ، وَإذا هم في شقــاء . وهُمْ مع ذلك كالحَمير الضّالّة لا يَدينون للهِ بِدينٍ وَلا يَرجعون إلى عَقْل ، وَلا يَعْبُدون شيْئًا ، بَلْ يُسَمّون كبراءهم أَربابًا . فإذا استشار أحدُهم رئيسَه في شَيْءٍ قال له : « يا رَبِّ إيشْ أعمل في كذا وكذا ؟ » (وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ[٣]) غير أنهم متى اتفقوا على شيءٍ وَعَزَموا عَلَيْهِ[٤] جاء أرذلهم وأخسهم فنقض ما قد أَجمعوا[٥] عَلَيْهِ .

---

(١) في المخطوطة : « فلم قطعنا وافضينا » وهي تصحيف صوبناه .

(٢) في ياقوت ١ / ٨٤٠ : « وذكر أحمد بن محمد الهمذاني عن أبي العباس عيسى بن محمد المروزي قال : لم نزل نسمع بالأمم التي من وراء النهر وغيرها من الكور الموازية لبلاد الترك الكفرة الغزّية ، والتغزغزية والخزلجية » - وفي الاصطخري ، طبعــة ليدن ص ٩ : « وديار الأتراك متميزة . فأما الغزية فان حدود ديارهم ما بين الخزر وكياك » - وفي دائرة المعارف الاسلامية ٢ / ١٧٨ لبرتولد أن الغز سكنوا منذ القرن الرابع قرب بخارا ومشوا على أطراف الفولغا وإلى الدانوب ، وعمروا شرقي أوربة والسلجوقيون جاءوا من الغز .

(٣) انظر القرآن الكريم سورة شورى ٤٢ / ٣٨ وتمامها : « والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون » .

(٤) وفي الأصل : « ثم جاء » لحذفنا « ثم »

(٤) في الأصل وفي وليدي : « ما قد جمعوا » فرأينا أن نرسمها كما ترى .

وَسمعتُهُمْ يقولون: (لا إلهَ إلاّ اللهُ مُحمّدٌ رَسولُ اللهِ) ، تقرّباً بهذا القول إلى من يجتازُ بهم من المُسلمين || لا اعتقاداً لذلك . وإذا ظُلِمَ أحدٌ منهم [٢٠٠و] أو جرى عليه أمرٌ يكرهُهُ ، رَفعَ رأسَهُ إلى السّماء ، وقال : « بيرْ تنكري » وهو بالتركية « الله الواحد[1] » . لأنّ « بير » بالتركية : « واحد » ؛ وتنكري : « الله » بلغة الترك . ولا يَستَنجون من غائط ولا بول ؛ ولا يغتسلون من جنابةٍ ولا غيْرِ ذلك . وليس بينهم وبين الماء عمل ، خاصّة في الشّتاء . ولا يَستَتِرُ نساؤهم من رجالهم ولا من غيرهم . وكذلك لا تستر المرأة شيئاً من بدنها عن أحد من الناس .

* * *

ولقد نزلنا يوماً على رجل منهم فجلسنا ، وامرأة الرجل معنا ، فبينَا هي تُحدثنا إذْ كشفت فرجها وحكّته[2] . ونحن ننظر إليْها فستَرْنا وجوهنا ، وقُلْنا : « أَسْتَغْفِرُ اللهَ » فضحك زوجها ، وقال للتَرْجُمان : « قل لهم تكشفهُ بحضرتكم فتَرَوْنه وتَصونه[3] فلا يُوصَلُ إليه ، هو خَيْرٌ مِنْ أنْ تغطيه وتمكن منه » .

---

(١) في الأصل المخطوط : « بالله بالواحد » وليس في الجملة التركية حرف جر ، فلعلها « الله الواحد » .

(٢) نحن نستفظع اللفظة لهذه الأيام ، ولكن القدماء فيما ظهر لنا لم يكونوا على مثل نظرتنا ، لذلك أبقينا ماجاء في النص ، أمانة ، وعملاً بأنه لا حياء في الدين .

(٣) في الأصل : « وتصونه » ويقترح وليدي أن تكون : « وتصونونه » .

وليس يعرفُون الزِّنا . وَمَنْ ظَهَروا منه على شيء مِنْ فعله شَقّوه بنصفَيْن . وذلك أنهم يجْمَعون بين أغْصان شجرتين ، ثم يشدونه بالأَغْصان، ويُرْسِلون الشجرتين فينشق ألذي شد إليهما [1] .

وقال بَعْضُهم ، وسمعني [أقرأ][2] قرآنًا ، فاستحسنَ القرآنَ ، وأقبلَ يقول للتَّرْجُمانِ قل له : « لا تَسْكُتْ » . وقال لي هذا الرجل يوماً على لسان الترجمان : « قل لهٰذا العربي : ألِربِّنا عز وجل أمرأة ؟ ! فاستعظمتُ ذٰلك ، وسبحت اللهَ ، واستغفرته ؛ فسبح واستَغْفَرَ كما فعلت . وكذلك رَسْمُ التركي كلما سمع المسلم يسبح ويهلل قال مثْلَهُ .

* * *

٨

ورسوم تزويجهم ، وهو أن يخطُبَ الواحدُمنهم إلى الآخر بعضَ حرمه ، إمّا[3] ابنته أو أُخته أو بعض مَنْ يملك أمرَه ، على كذا وكذا ثوب خُوارزميّ ، فإذا وافقه[4] حملها إليه ، وَربَّما كان المهر جمالاً[5] أو دوابّ

---

(١) في الأصل : شيالها » ولعلّها كما وضعنا .

(٢) أضفنا الفعل للسياق .

(٣) في الأصل المخطوطة : « أنا ابنته » وهي تصحيف من غير شك وصوابها : « إما » .

(٤) في الأصل المخطوط كذلك : « فاذا وافاه » ولعلها : « فاذا وافقه » « أو وافقه » أو لعله يريد أن يقول : « فاذا وافاه بما طلب » ، أو « وفاه ماطلب » .

(٥) أخطأ الناسخ في النحو فجعلها « جمال » فصوبناها .

أو غير ذلك. وليس يصل الواحد إلى امرأته حتى يوفي الصِّداق الذي قد واقف وليّها عليه، فإذا وفّاه إياه جاء غير مُحْتَشِمٍ حتى يَدْخُلَ إلى المَنْزل الذي هي فيه، فيأخذها بحضرة أبيها وأمها وإخوتها، فلا يمنعونه مِنْ ذلك.

[٢٠٠ظ] وإذا مات الرجل وله زوجة وأولاد تزوج الأكبرُ مِنْ وَلَدِه || بامرأته إذا لَمْ تَكُنْ أُمَّهُ. ولا يقدر أحد من التجار ولا غيرهم أن يَغْتَسِلَ مِنْ جَنَابَة بحضرتهم إلا ليلاً مِنْ حيث لا يرونه. وذلك أنهم يغضبون ويقولون: «هذا يريد أن يسحرنا لأنه قد تَفَرَّسَ[1] في الماء»، ويغرمونه مالاً.

وَلا يقدر أحد[2] من المسلمين |أنْ| يجتاز ببلدهم حتى يجعلَ لَهُ منهم صديقاً ينزل عليه، ويحمل له مِنْ بلد الإسلامِ ثوباً، ولا مرأته مقنعة[3]، وشيئاً مِن فلفل[4]،

---

(١) في الأصل: «تغرس» بالغين بعد التاء، وصوابها ما رسمنا، وتفرس الرجل إذا تثبت وتأمل ونظر في الأصل.

(٢) في المخطوطة «أحدهن من» وهو سهو من قلم الناسخ حين رسم «من» زائدة فحذفناها.

(٣) المقنعة: غطاء من قماش يحمله الرجل والمرأة على رأسها، ولعلها برقع على وجه النساء، كما في معجم الملابس لدوزي ٣٧٧ وفي ابن بطوطة طبعة باريس ٢ / ٣٨٨ في الحديث عن البلغار في الفولغا، قوله: «وعلى رأس الوزيرة والخاجية مقنعة حرير مزركشة الحواشي بالذهب والجوهر».

(٤) يقول ياقوت عن الفلفل ٣ / ٥٣: «فشاهدت نباته، وهو شجر عادي لا يزول الماء من تحته، فاذا هبت الريح تساقط حمله»، ما يزال الفلفل يستعمل الى اليوم.

وَجاوَرس ، وَزبيب ، وجَوز ، فـإذا قدم عَلَى صديقه ضرب له قُبَّةً [١] ، وحمل إليه من الغنم على قَدْره ، حتّى يتولّى المسلمُ ذبحَها لأنَّ الترك لا يَذْبَحون وإنما يضرب الواحد منهم رأس الشاة حتى تموتَ .

* * *

وإذا أراد الرجل منهم الرَّحيلَ [٢] وقد قام عليه شيء مِنْ جِماله ودوابّه أو اُحتاجَ إلى مالٍ ترك ما قد قامَ عند صديقِهِ التُّركي ، وأخذ من من جماله وَدوابّه وماله حاجته ، ورحل . فإذا عاد من الوجهِ الّذي يقصدُه قضاه مالَه ، وردّ إليه جمالَه ودوابّه .

* * *

وكذلك لو اُجتاز بالتركيّ إنسان لا يعرفه ثم قال : « أَنا ضيفك ، وأَنا أُريد من جمالك ودوابك ودراهمكَ » دفع إليـه ما يريدُ . فإن مات التاجر في وجهه ذلك ، وعادتِ القافلة لقيهم التركيُّ ، وقال : « أَين ضيفي ؟ » فإنْ قالوا : « ماتَ » حط القافلة ، ثم جاء إلى أنبل تاجر يراه فيهم ، فَحَلَّ متاعه وهو ينظر ، فأَخذ من دراهمه مثل ماله عند ذلك التّاجرِ بغير زيادة حَبَّةٍ ، وكذلك يأْخذ من دوابه وجِمالِه ، وقال : « ذلك ابن عمكَ ،

---

(١) القبة : بالضم — بناء سقفه مستدير مقعّر ، معقود بالحجارة أو الآجرّ على هيئة الخيمة ، جمعها قباب وقبب .

(٢) في الأصل بالمخطوطة : « الرجل » وهي تصحيف بلا شك فلا معنى لها ، وانما صوابها مارسمنا لأن الجملة بعدها تفسر المراد حين يقول : « ورحل » .

وأنت أحق من غُرِمَ عنه » وَإِنْ فَرَّ فعل أيضاً ذلكَ الفعلَ . وقال له « ذلك مسلم مثلك ، خذ أنت منه » . وَإِنْ لَمْ يوافق المسلم ضيفه في الجادَّةِ[1] ، سَأَل عن بلاده[2] : « أَين هو » فإذا أُرشِدَ إليه سار في طلبه مسيرة أيام حتى يصير إليه ، ويرفع مالَهُ عنده ، وَكذلك ما يُهْدِيه لَهُ .

وهذه أيضاً سبيلُ التركيّ إذا دخلّ « الجرجانية » سأل عن ضيفه فنزل عليه حتى يرتحلَ . ومتى ماتَ التركيُّ عند صديقِه المسلمِ ، واجتازت القافلة وفيها صديقه قتلوه ، وَقالوا : « أنت قتلته بحبسكَ || إيّاهُ ، ولو لم تحبسه لما مات » . وَكذلك إنْ سقاهُ نبيذاً[3] فتردّى من حائطٍ[4] قتلوه به فإن لم يكن في القافلة عمدوا إلى أجل من فيها فقتلوهُ . [٢٠١و]

* * *

وأمر اللواط عندهم عظيمٌ جداً . ولقد نزل على حَي « كُوذَرْكين » — وهو خليفة ملك الترك — رجل من أهل « خوارزم » فأقام عند ضيف

---

(١) يرى أحد المستشرقين أن تكون الكلمة هنا : « في النجاده » ، ولكن الجملة واضحة تعني أن المسلم لم يوافق في طريقه أو في قافلته ضيف التركي .

(٢) في الأصل : « سأل عن ثلاثة » ولامعنى لها ، فارتأى أحد المستشرقين أن تكون : « سأل عن ثالبه أو فلانه أو سائسه » . ولكننا نرى ما وضعنا أقرب للسياق .

(٣) النبيذ : ما نبذ من عصير ونحوه ، سمي به لأنه ينبذ أي يترك حتى يشتد ويُلقى في الجرّة حتى يغلي جمعه أنبذة — وفي التاج : « يقال للخمر المعتصر من العنب نبيذ » .

(٤) تردى : سقط .

له مدة في ابتياع غنم . وكان للتركي ابن أمرد فلم يزل الخوارزميّ يُداريه ويراوده عن نفسه حتى طاوعه على ما أراد . وجاء التركي فوجدهما في بنيانهما ، فرفع التركيُّ ذلك إلى « كوذركين » فقال له : « اجمع التُّركَ » فجمعهم ، فلما[1] اجتمعوا ، قال للتركيّ[2] : « بالحقّ تحبُّ أن أحكم أم بالباطل » ؟ قال : « بالحق » قال : « أحضر ابنك » ، فأحضره . فقال : « يجب عليه وعلى التّاجر أن يقتلا جميعاً » ، فامتعض التركيُّ من ذلك ، وقال : « لا أُسلم أبني » . فقال : « فيفتدي التاجر نفسهُ » ففعل . ودفع للتركيّ[3] غنماً للفعل بابنه . ودفع[4] إلى « كوذركين » أربعمائة شاة لما رفع عنه ، وارتحل عنْ بلد الترك .

* * *

٩

فأول من لقينا من ملوكهم ورؤسائهم ينالُ الصغير[5] — وقد كان

---

(١) في المخطوطة : « فيا » وصوابها مارسمنا .

(٢) في الأصل : « قال التركي » والصواب أن يكون القائل كوذركين للتركي ، والسياق يدل على ذلك في الجملة بعدها .

(٣) وهنا في الأصل : « ودفع التركي » وصوابها أن الذي دفع هو الخوارزمي .

(٤) في الأصل : « ورفع إلى » ولعلّ صوابها : « ودفع » والذي بعث الاضطراب في النص هو تكرار كلمة « رفع » .

(٥) هو في تواريخهم : « كوجوك ينال » — وهو ولي العهد - انظر مفاتيح العلوم للخوارزمي ص ٧٣ .

أسلمَ — فقيل له : « إن أسلمت لم ترؤسنا[١] » ؛ فرجع عن إسلامه . فلما وصلنا إلى الموضع الّذي هو فيه ، قال : « لا أتركُكم تجوزون لأنَّ هذا شيءٌ ما سمعنا به قطُّ ، ولا ظننّا أنّهُ يكونُ » . فرفقنا به إلى أن رضي بخفتانٍ جرجاني يُساوي عشرة دراهم ، وشقةِ باي باف[٢] ، وأقراصِ خبز ، وكفِّ زبيب ، ومائةِ جوزة . فلمّا دفعنا هذا إليه سجد لنا . وهٰذا رسمهم إذا أكرمَ الرجلُ الرجلَ سجد له ، وقال : « لولا أن بيوتي نائية[٣] عن الطريق لحملتُ إليكم غنماً وبراً[٤] » وانصرف عنا وارتحلنا .

فلما كان من غد لقينا رجل واحد من الأتراك ، دميمُ الخلقة ، رثُّ الهيئة ، قميءُ المنظر ، خسيس المخبَر ، وقد أخذنا مطرٌ شديد فقال : « قِفوا » . فوقفت القافلة بأسرها — وهي نحو ثلاثة آلاف دابة وخمسةِ آلاف رجل — ثم قال : « ليس يجوزُ منكمْ أحدٌ » . فوقفنـــا طاعةً لأمره . فقلنا له : « نحن أصدقاءُ كوذركين » . فأقبل || يَضحكُ ويقول : [٢ظ] « مَنْ كُوذركين ؟ أنا أخرى[٥] عَلَى لحية كوذركين » ! .. ثم قال :

---

(١) رؤس الرجل يرؤس رئاسة كان رئيساً . ولعل صوابها : « لن ترؤسنا » .

(٢) في الأصل : « باي تاف » وهو خطأ ، والباي ياف : لباس المرأة ، — وفي أحسن التقاسيم للمقدسي ، ط . اوربة ، ص ٣٢٣ : « وأما التجارات فترتفع من نيسابور ثياب البيض الحفية والبيباف ، والعمائم الشهجانية الحفية والمقانع » .

(٣) في المخطوطة : « بيوتي نايبة » وهي مصحفة ، وصوابها ما وضعناه .

(٤) البُرُّ : بالضم ـ القمح ، والواحدة بُرّة .

(٥) في الأصل : « أما أخرى » وصوابها ما كتبنا .

« بكند » : يعني الخُبْزَ بلغة خوارزم . فدفعتُ إليه أقراصاً فأخذها وقال : « مُرّوا قد رحمتكم » .

* * *

قــــال :

وإذا مرض الرجل منهم ، وكان له جَوار وعبيد خدموه ولم يقربْهُ أحد من أهل بيته ، ويضربون له خيمة ، ناحية من البيوت ، فلا يزال فيها إلى أنْ يموت أو يَبْرَأ . وإن كان عبداً أو فقيراً رَمَوْا به في الصحراء وارتحلوا عنه .

وإذا ماتَ الرجلُ منهم حفروا له حفيرةً كبيرةً كهيئة البيت وعمدوا إليه فألبَسوه قرطقه [1] ومنطقته وقوسه [2] ... وجعلوا في يده قدحاً من خشب فيه نبيذٌ ، وتركوا بين يديه إناءً مِنْ خشب فيه نبيذ . وجاءوا بكل ماله فجعلوه مَعَهُ في ذلك البيتِ . ثم أجلسُوه فيه فسقفوا البيتَ عليه ، وجعلوا فوقه مثل القبة من الطين ، وعمدوا إلى دوابّه على قدر كثرتها ، فقتلوا مِنْها مئة رأس إلى مائتيْ رَأسٍ إلى رَأْس واحد ، وأكلوا لحومَها إلاّ الرأسَ والقوائم وَالجلد والذنَبَ ، فإنهم يصلبون ذلك على الخشب . وقالوا : « هذه دوابه يركبها إلى الجنة » . فإن كان قتل إنساناً وكان شجاعاً نحتوا

---

(١) في الأصل : « قرطقة » وهو تصحيف .
(٢) بعد هذه الكلمة بياض في المخطوطة قدر كلمة .

صوراً من خشب على عدد مَنْ قَتَلَ ، وجعلوها على قبره ، وقالوا : « هؤلاء غلمانه يخدمونه في الجَنَّةِ » ! . .

وربَّما تغافلوا [1] على قتل الدواب يوماً أو يومين ، فيحثّهم [2] شيخ من كِبارهم فيقول : « رأيتُ فلاناً – يَعني المَيْتَ – في النومِ فقال لي : « هو ذا تَراني وقد سبقني أصحابي وشُقِّقَتْ [3] رجلاي من اتِّباعي لهم ، ولستُ [4] ألحقهم ، وقد بقيت وحدي » . فعندها يعمدون إلى دوابه فيقتلونها ويصلبونها عند قبره . فإذا كانَ بعد يَوْمٍ أو اثنين جاءهم ذلكَ الشيخُ وقال : « قد رأيتُ فلاناً وقال : عَرِّفْ أهلي وأصحابي أنّي قدْ لحقتُ [5] مَن تقدَّمَني ، واسترحتُ من التَّعب » .

* * *

١٠

قـــال :

والترك كلهم ينتفون لحاهم إلاّ أسبلتهم [6] . وربمـــا رأيتَ الشيخ الهرم

---

(١) كذا في الأصل ، ولعلها « عن قتل » .
(٢) في الأصل : « فحتهم » – وفي طبعة وليدي : « فحثهم » ولعلها كما رسمنا .
(٣) يرى المستشرق الجري أن تكون : «شمفت » وشمفت الرجل خرجت بهـــا الشقمات ، وهي قرحة في أسفل القدم – ولكننا لانرى وجوباً لذلك .
(٤) في الأصل : « وكسب »
(٥) في المخطوط : « لحقتهم » وهي من الناسخ ، صوبناها .
(٦) أسبلة وسبال : جمع سبلة ، وهو الشارب .

منهم ، وقد نتف لحيته وترك شيئاً منها تحت ذقنه وعليه البوستين . فإذا رآه إنسان من بُعْدٍ لم يشك أنه تيس .

|| ومَلِكُ الترك الغزيّة يقال له : « يبغو »[1] وهو اسم الأمير ، وكل من [٢٠٢ و] مَلَك هذه القبيلة فبهذا الاسم يُسَمَّى ، ويقال لخليفته « كوذركين » ، وكذا كلُّ مَن يخلف رئيساً منهم يقال له : « كوذركين » .

ثُمَّ نَزَلنا بعد ارتحالنا من ناحية هؤلاء بصاحب[2] جيشهم ، ويقال له : « أترك بن القطغان » ، فضرب لنا قباباً تركية ، وأنزلنا فيها[3] وإذا له ضَبْنَة[4] وحاشية ، وبيوت كبيرة . وساق إلينا غنماً ، وقاد[5] دوابّ ، لنذبح الغنم ونركب الدواب ، ودعا هو جماعة[6] من أهل بيته وبني عمه فقتل لهم غنماً كثيرة .

وكنا قد أهدينا إليه هدية من ثياب ، وزَبيب ، وجَوْز ، وفلفل ، وجاوَرْس ، فرأيت امرأته وَقَدْ كانَتْ امرأةَ أبيهِ ، وقَدْ أَخذَتْ لحماً وَلَبَناً

---

(١) يبغو لقب لكثير من ملوك الأتراك – انظر مفاتيح العلوم ص ٧٣ حيث يقول ان جبويه هو ملك الغزية .

(٢) في الأصل «صاحب جيشهم» فأضفنا الباء – وفي طبعة وليدي : « عند صاحب » – وهو سباشي في مفاتيح العلوم .

(٣) في الأصل : « وأنزلنا فيه » .

(٤) كلمة لم تنقط في الأصل ، فلعلها : « صبية » أو لعلها : « ضبنة » وهي على وزن فرحة ، العيال يضطبنهم الرجل في كنفه وناحيته ، يقال خرج في ضبنته أي في أهله وعياله .

(٥) في الأصل : « وقادوا دواباً » ولعلها كما رسمنا .

(٦) في الأصل : « وجماعة » .

وشيئاً مما أتحفناهُ[١] بهِ ، وخرجتْ مِن البيوتِ إلى الصحراء فحفَرتْ حفيرةً ودفنتْ الذي كان معهــا فيها ، وتــكلمتْ بــكلامٍ ، فقلتُ للترجمان : « ما تقول » ؟ قال : « تقول هذه هدية للقطغان أبي[٢] أترك ، أهداها[٣] له العربُ » . فلما كان في الليل دخلتُ أنا والترجمان إليه وهو في قبته جالس ، ومعنا كتاب نذير الحرمي[٤] إليه ، يأمره فيـهِ بالإسلامِ ويحضه عليه ، ووجّه إليه خمسين ديناراً ، فيها عدة دنانير مسيبية[٥] ، وثلاثة مثاقيل مِسْك ، وجلود أديم وثيابٌ[٦] مروية ، وقطعنا له منها قرطقين[٧] وخف أديم ، وثوب ديباج وخمسة أثواب حرير ، فدفعْنا إليه هديته ودفعنا إلى امرأته مقنعة وخاتماً .

وقرأتُ عليه الـكتاب فقـال للترجمان : « لست أقول لـكم شيئاً حتى ترجعوا[٨] وأكتب إلى السُّلْطان بما أنا عازم عليه » . ونزع الديباجةَ التي كانتْ عليه ليلبس الخلع — التي ذكَرْنـا — فرأيتُ القرطق الذي

---

(١) في الأصل : « ألحفنا » ورأينا أن تكون : « أتحفناه به » .

(٢) في الأصل : « أبو اترك » .

(٣) في الأصل : « أهدوها » اصوبناها .

(٤) في الأصل هنا : « نذير الحرمين » وهي سهو من الناسخ ، وقد مرّ بنا اسمه في صدر الرسالة وعلقنـا عليه في الحاشية .

(٥) كذلك صحفت كلمة « مسيتة » وصوابها « مسيبية » وقد مرت بنا وشرحناها .

(٦) في الأصل : « وثوبين مروية » فأصلحناها ، وهي نسبة إلى مرو .

(٧) في المخطوطة : « منهما قرطبين » اصوبناها .

(٨) في المخطوطة : « حتى ترجعون »

تحتها و [قد][1] تقطع وَسخاً ، لأَن رسومهم أَن لا ينزعَ الواحدُ منهم الثوب الذي يلي جسده حتى ينتثر قطعاً ، وإذا هو قد نتف لحيته كُلَّها وسباله ، فبقي كالخادم . ورأيتُ الترك يذكرون أنه أفرسهم ولقد رأَيت يوماً وهو يسايرُنا[2] على فرسه إذ مرت وزة طائرة فأَوتر قوسَه ، وَحرك دابته تحتها ، ثم رماها فإذا هو قد أَنزلها .

* * *

فلما كان في بعض الأَيام وجَّه خلف القواد الذين يلونه وهمْ : طرخان ، وينال ، وابن أَخيهما ، وإيلغز[3] . وكان || طرخان أَنبلهم وأَجلهم ، [٢٠٢ظ] وكان أَعرج أعمى أَشل ، فقَالَ لهُمْ : « إنَّ هؤلاء رسل ملك العرب إلى صهري ألمش بن شلكي[4] ، ولم يُخَيِّرلي أَن أُطلقهم إلاّ عن مَشورتكم » . فقال طرخان : « هٰذا شيء ما رأَيناهُ قط ، ولا سمعنا به ، ولا اجتاز بنا رَسولُ سلطان مذ كنا نحن وآباؤنا[5] . وما أَظن إلا أن السلطان قد

---

(١) زدناها للسياق – وفي طبعة وليدي : « تتقطع » .

(٢) في الأصل : « وهو سايرنا » ولعلها كما صوبنا .

(٣) قطعت الكلمات هنا وبقي منها ماغمض رسمه : « وابن حيها وىغلر » – فجعلناها كما تراءى لنا في قربه من الأسماء التركية – وفي طبعة وليدي يقترح : « وابن اخته » .

(٤) رأينا أن الناسخ رسم هذا الاسم في صدر الرسالة « الحسن بن بلطوار » وعرفنا أن ياقوت رسمه كما جاء هنا ، وقد علقنا على أقوال العلماء فيه في الحاشية والمقدمة بمايغنينا عن الاعادة هنا – وفي ياقوت ٧٢٣/١ « المس بن شلكي بلطوار » .

(٥) ولعل هذا دليل آخر على أن بعثة ابن فضلان هي الأولى من نوعها ، وأن رجالها هم أول من وطىء البلاد وزارها من قبل بغداد .

أعملَ الحيلةَ ووجه هؤلاء إلى الخَزَر ليستجيشَ بهِمْ عَلَيْنا ، والوجه أن يُقْطَعَ هؤلاء الرسلُ نصفين نصفين ونأخذ ما معهم » .

وقال آخرُ منهم : « لا بل نَأْخذ ما معَهمْ ونتركهم عُراةً يَرْجعون مِن حيثُ جاءوا » . وقال آخر : « لا ، وَلَكن لنا عند ملك الخزر أُسراء فنبعث بهؤلاء نُفادي بهم أولئكَ » . فما زالوا يتراجعون بينهم هذه الأشياء سبعة أيام ، ونحنُ في حالة الموت ، حتى أجمع رأْيهم[1] على أن يخلوا سبيلنا ، ونمضي . فخَلَعْنا على « طرخان » خفتانًا مرويًا[2] ، وشقتين باي باف ، وعلى أَصحابه | كل واحد |[3] قرطقًا[4] ، وكذلك على « ينال » . ودفعنا إليهم فلفلا وجاورس ، وأقراصًا من خبز . وانصرفوا عنا .

* * *

١١

ورحلنا حتى صرنا إلى « نهر يغندي »[5] فأخرج الناس سُفَرَهم[6]

---

(١) في المخطوطة : « أجمع دأبهم » وصوابها ما كتبنا .

(٢) في الأصل : « خفتان مروي » وهي خطأ ، فأصلحناها من حيث النحو ، وهي نسبة كذلك إلى مرو — كما مر قبل قليل — .

(٣) ناقصة أضفناها لتمام العبارة .

(٤) في الأصل : « قرطق قرطق » وحقها النصب .

(٥) في المخطوطة : « نهر يغندي » — وهو نهر ياغندي أو يندى كما في مقالة المستشرق فراين ص ٢٦ اذ يرسمه Jagindi وهو الآن نهر زايندي Zayindi ، فرع لنهر كيم Emba — انظر تعليق الطبعة الروسية ص ١٠٠ .

(٦) قلنا أن السفر هي جمع سفرة ، المركب أو السفينة ، وعلقنا بأنها مصنوعة من جلود الجمال . كما يقول ابن فضلان نفسه هنا — انظر استعمال السفر في الكامل لابن الأثير ٩/ ٣٣٤ (سنة ٦١٧ ﻫ) .

وهي من جلود الجمال فبَسطوها ، وأخذوا بالأثاث[١] من الجمال التركية لأنها مدوّرة فجعلوها في جوفها ، حتى تمتد ، ثم حشوها بالثياب والمتاع ، فإذا امتلأتْ جلس في كلّ سفرة جماعة من خمسة وستة وأربعة ، وأقل وأكثر ، ويأخذون بأيديهم خشبَ الخدنك[٢] فيجعلونه كالمجاديف ، ولا يزالون يجدفون والماء يحملها وهي تدور حتى نعبر . فأما الدواب والجِمال فإنه يُصاحُ بها فتعبر سباحةً ، ولا بد أن تعبر جماعة من المقاتلة ومعهم السّلاح ، قبل أن يعبر شيء من القافلة ، ليكونوا طليعة للناس خيفة[٣] من « الباشغرد »[٤] أن يكبسوا الناس وهم يعبرون .

فعبرنا « يَغَنْدي » على هذه الصّفة التي ذكرنا . ثم عبرنا بعد ذلك نهراً يقال له « جام »[٥] في السَّفَر أيضاً ، ثم عبرنا « جاخش »[٦] ، ثم

---

(١) في الأصل : « بالاناث » ولا معنى لها ، فلعلها : « بالآت » أو لعلها كما وضع وليدي : « بالأثاث من الجمال » .

(٢) شجر الخدنك : هو الحور الأبيض كما في دوزي ، Peuplier .

(٣) في الأصل المخطوط : « خايفة من الباشغرد » ولا نجد لها معنى ، وانما نقترح أن تكون « خيفة من الباشغرد » تمشياً مع السياق ، وهو الخوف من قوم الباشغرد .

(٤) يقول ياقوت ١/٤٦٨ ، أن الباشغرد هم باش جرد أو باش قرد ، من الأتراك ، وهم شر هذه الأقوام ثم يتحدث عنهم لينقل عن ابن فضلان كما سنرى بعد قليل .

(٥) يرى اراي انه « نهر جيم » Gim وسنأخذ عنه تحقيقاته في الأنهار التالية — كما جاء في مقاله بالانكليزية ص ٢٦ .

(٦) هو نهر « سجير » Sagir .

« أذل »[١] ، ثم « أردن »[٢] ، ثم « وارش »[٣] ثم « أختي »[٤] ، ثم « وتبا »[٥] .
وهذه كلها أنهار كبار .

* * *

١٢

عند البجناك

[٢٠٣و]

ثم صرنا بعد ذلك إلى البجناك[٦] وإذا هم | نزولٌ |[٧] على ماء شبيه بالبحر غير جار وإذا هم سمر شديدو[٨] السمرة || وإذا هم محلّقو[٩] اللّحى ، فقراء ، خلاف الغزيّة . لأني رأيتُ من الغزية من يملك عشرة آلاف دابّة ومائة ألف رأس من الغنم . وأكثر ما ترعى من الغنم ما بين الثلج تبحثُ

---

(١) هو الآن نهر « أوييل Oyil » .
(٢) هو الآن نهر « زاكسباي Zaqsibay » على الأغلب .
(٣) لعله اليوم باسم نهر « كالداغايتي Qaldagayti »
(٤) لعله اليوم فرع من نهر « أشي ساي Assi say » .
(٥) رسمه في المخطوطة : « وبنا » ويقترح المستشرق أن يقرأ « وتبا » أو « أوتبـــا » ، وهو فرع من الأورال Yayiq . رسم المستشرق طريق سيره ومكانه .
(٦) البجناك : قبيلة من الأتراك ، من قبائل الغز من القفجق ، وهم في أصلهم من تركستان الصينية ، وكانت مساكنهم في الأورال والفولغا بجوار الخزر . وكان الغز في الشمال الشرقي ، وقد طردهم الغز حوالي سنة ٨٦٠ للميلاد لم يصادف ابن فضلان منهم إلا قليلاً – انظر دائرة المعارف الاسلامية ٣ / ١١٠٧ Pecenegès ، والقفجق كانوا يعيشون في شمالي البجناك ، ووصف ياقوت البجناك ٣ / ٤٤٦ نقلاً عن أبي دلف مسعر بن المهلهل . وارجع كذلك إلى نخبة الدهر لشيخ الربوة ٢٦٤ حيث يقول : « أما القبجق ، فمساكنهم في جبال وغياض من وراء دربند شروان مما يلي بحر الروس ، ولهم عليه مدينـــة اسمها سرداق والبحر ينسب إليها » ودربند هنا « عقبة صعبة ضيقة » وبحر القبجق هو بحر آزوف المشهور
(٧) بياض في الأصل ملأناه بما ترى تمشياً مع السياق وفي طبعة وليدي : « نزلوا على » .
(٨) في الأصل : « شديدي » وصوابها مارسمنا .
(٩) وقد رسم الناسخ كذلك « حلقي » خطأ .

بأظلافها تطلب الحَشيشَ ، فإذا لم تجده قضمت الثلجَ فسَمِنَت غاية السمن . فإذا كان الصيف وأكلت الحشيش هزلتْ ، فنزلنا على البجناك يوماً واحداً.

ثم ارتحلنا فنزلنا على « نهر جيخ »[١] وهو أكبر نهر رأيناه ، وأعظمه ، وأشدُّه جرية . ولقد رأيتُ سُفْرَةً انقلبت فيه فغرق من كان فيها ، وذهبت رجال كثير من الناس ، وغرقتْ عدة جمال ودواب ، ولم نعبُره إلا بجهد .

ثم سرنا أياماً ، وعبرنا « نَهر جاخا »[٢] ثم بعده نهر « أرخز »[٣] ثم « باجاغ »[٤] ثم « سمور »[٥] ثم « كنال »[٦] ثم نهر « سوخ »[٧] ثم نهر « كنجلو »[٨] .

* * *

١٣

[عند الباشغرد]

ووقفنا[٩] في بلد قوم من الأَتراك يقال لهم « الباشغرد » ، فحذرناهم أشدّ الحذر . وذلك أنهم شر الأَتراك وأقذرهم[١٠] وأشدهم إقداماً على القتل

---

(١) كذا رسم في الأصل ، وقد حار المستشرقون في معرفة اسمه ومكانه ، فرأى بعضهم أنه فرع «جيحون» وعجز فراي عن التعليق عليه .

(٢) نهر جاخا أو جاخان « واسمه الآن جاغان Cagan » ، كما يرى فراي ص ٢٧ .

(٣) نهر أرخز ، لعله « تالفوكا Talvoka » بين الأورال والفولغا .

(٤) نهر باجاغ هو الآن « موشا Moca فرع للفولغا .

(٥) نهر سمور هو الآن « سامار ، أو سَمَار Samar .

(٦) في الأصل : « كبال » وصوابه « كنال » وهو نهر « كينل Kinel » .

(٧) في المخطوطة : « موح » وصوابه « سوخ » وهو « سوك Sok » .

(٨) في الأصل : « كنجلو » ولعله الآن « كوندورشا » Qundurca .

(٩) في المخطوطة عندنا : « فوقفنا » – وفي ياقوت : « ووقفنا » .

(١٠) في الأصل بالمعجمة ولعلها : « وأقدرهم » بالدال المهملة كما في ياقوت .

يلقى الرجلُ الرجلَ فيفزّر[1] هامتَه ، ويأخذها ، ويتركه . وهم يحلقون لحاهم ، ويأكلون القملَ ، يتتبع الواحدُ منهم دَرز[2] قُرْطَقه ، فيقرض القمل بأسنانه . ولقد كان معنا منهم واحد قد أسلم ، وكان يخدمنا فرأيته وجد قملة في ثوبه ، فقصعها[3] بظفره ، ثم لحسها ؛ وقال لما رآني : « جيّد[4] » !

وكلُّ واحدٍ منهم ينحت خشبة على قدر الإحليل[5] ويعلقها عليه ، فإذا أراد سفراً أو لقاء عدو[6] قبّلها ، وسجد لها ، وقال : « يا رب افعلْ بي كذا وكذا » ، فقلت للترجمان : « سلْ بعضهم ما حجتهم في هذا ، ولم جعله ربه ؟؟ » قال : « لأنّي خرجت من مثله فلستُ[7] أعرف لنفسي خالقاً غيره » .

ومنهم من يزعمُ أنّ له اثني[8] عشر ربّاً : للشتاء ربٌّ] وللصيفِ ربٌّ ،

---

(١) في المخطوطة : « ممور » بغير نقط ، ولعلها : « فيفزّر » كما في ياقوت وفزّر بمعنى فسخ وشق وكسر ، يقال فزر أنفه وفزّر بمعنى فتت .

(٢) في الأصل : « درز » - وفي ياقوت : « دروز » . والدّرز : الارتفاع الذي يحصل في الثوب إذا جمع طرفاه في الخياطة ، فارسي معرّب ، جمعه دروز ، يقال دقق الخياط الدروز ، وما تزال تسمى كذلك الى اليوم .

(٣) قصع القملة بظفره أو بين ظفريه : قتلها .

(٤) هذه العبارة غامضة في الأصل رسمها الناسخ كما يلي : « وقال الراي حيدر » وقد اقترح فرمن هذه الرواية التي وضعناها في النص ، فهي « جيد » أو « جيدة » .

(٥) في المخطوطة عندنا : « الاحليل » . وفي ياقوت : « قد نحت خشبة على قـدر الأكايل » - ونسختنا أصوب ، والسياق يفسر معنى الكلمة فلا حاجة بنا إلى شرحها .

(٦) في نسختنا : « او لقي عدّواً » - وفي ياقوت : « أو لقاء عدّو » وهي أصوب ففضلناها على ماعندنا .

(٧) في مخطوطتنا : « وليس أعرف » . وفي ياقوت : « فلست أعرف لنفسي موجداً غيره » .

(٨) في نسختنا : « ان له اثنا عشر » وهو من جهل الناسخ بالنحو .

وللمطر رب ، وللرّيح رب ، وللشجر رب ، وللناس رب ، وللدواب رب | وللمـــاء رب ولليل رب ، وللنهار رب ، وللموت رب ؛ وللأرض رب[١] . والرب الّذي في السماء أكبرهم ؛ إلا أنه[٢] يجتمع مع هؤلاء باتفاق ، ويرضى كل واحد منهم بما يعمل شريكه . تَعالىٰ ٱللهُ عمّا يَقولُ الظّالِمونَ عُلُوّاً كَبيراً[٣] .

ورأينا طـــائفةً منهم تعبُد الحيّات ، وطائفة تعبد السمك ، وطائفةً تعبد || الـكراكيّ[٤] . فعرّفوني أنهم كانوا يحاربون قوماً[٥] من أعدائهم [٢٠٣ظ] فهزموهم ، وأن الكراكيّ صاحت وراءهم ففزعوا وانهزموا ، بعدما هزموا ، فعبدوا الكراكيّ لذلك . وقالوا : « [هذه ربنا و][٦] هذه فعالاته . هزم أعداءنا » فهم يعبدونها لذلك[٧] .

---

(١) ذكرت نسختنا ستة أرباب فحسب ، ولكن ياقوت ١ / ٤٦٩ زاد فيهـــا حتى بلغت ثلاثة عشر فقال : « للشتاء رب وللصيف ربّ ، وللماء رب ، ولليل رب ، وللنهار رب ، وللموت رب ، وللحيات رب ، وللأرض رب » فأضفنا الناقص عنه ، وافترضنا سقوط سطر من الناسخ ، لتكرر الكلمة ، وهذا كثير الوقوع عند من ينسخ مثل هذه العبارة .

(٢) في المخطوطة : « لأنه يجتمع » - وفي ياقوت : « إلا أنه » وهي أصوب فجعلناها في المتن .

(٣) في ياقوت : « جلّ ربنا عما يقول الظالمون والجاحدون علواً كبيراً » – وقد اقتبس ابن فضلان كلامه من القرآن الكريم ، ففي سورة الأسرى ١٧ / ٤٢ : « قل لو كان معه آلهة كما يقولون إذا لا بتغوا إلى ذي العرش سبيلاً سبحانه وتعـــالى عما يقلون علواً كبيراً » .

(٤) الكـُرْكي : طائر يقرب من الوز ، أبتر الذنب ، رمادي اللون ، يأوي الماء أحياناً ، جمعه كراكي .

(٥) في الأصل : « أقواماً » ويرى ريتر أن تكون « قوماً » وهي أصوب .

(٦) في ياقوت : « وقالوا هذه ربنا لأنها هزّمت أعداءنا فعبدوها لذلك » وافترضنا سقوط هذه الجملة ، ليعود إليها ضمير « فعالاته » .

(٧) ويضيف ياقوت معلقاً ١ /٤٦٩ ، فيقول انه رأى من الباشغردية في حلب ، وهم شقر الشعور والوجوه جداً ، يتفقهون على مذهب أبي حنيفة . وذكر موقع بلادهم وسبب اسلامهم وفي كلامه كثير من البعد عن الواقع .

قـــال :

وسرنا من بلد هؤلاء فعبرنا « نهر جرِمْشان[١] » ثم نهر « أورن »[٢] ثم نهر « أورم »[٣] ثم نهر « بايناخ »[٤] ثم نهر « وتيغ »[٥] ثم نهر « نياسنه » ثم نهر « جاوشيز »[٦] . وبين النهر والنهر — مما ذكرنا — اليومان والثلاثة والأربعة ، وأقلّ من ذلك وأكثر .

* * *

---

(١) في الأصل بغير نقط ، وقد ذكره فراي ص ٢٧ وجعل اسمه « نهر جرمشان Girimsan » .
(٢) هو الآن نهر « أوران Uran » .
(٣) هو الآن نهر « أورم Urem » .
(٤) يرى زكي وليدي أنه نهر « ماينا Mayna » .
(٥) في الأصل بغير نقط، وهو الآن نهر أوتكا « Utka » من الروسية Udga ، كما يرى كوفالفسكي .
(٦) يرى فراي أنه « أكتاي Aqtay » . وهذه آخر تعليقات المستشرق فراي في مقالته عن الأنهار و المدن .

[الصقالبة]


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

١٤

فلمّا كنّا من مَلِك الصَّقالبة[١] وهو الذي قصدنا[٢] له على مسيرة يوم وليلة ، وجَّه لاستقبالنا الملوكَ الأربعة الذين تحت يده وإخوته[٣] وأولاده ، فاستقبلونا ومعهم الخبز واللحم والجاورس وساروا معنا . [الصقالبة]

فلمّا صرنا منه على فرسخَيْن تلقّانـــا هو بنفسه ، فلما رآنا نَزل فخرَّ ساجداً شكراً لله — جلَّ وعزَّ — وكان في كمّه دراهم فنثرها علينا ، ونصب لنا قباباً فنزلناها[٤] .

وكان وصولُنا إليه يومَ الأحد لاثنَتيْ عشرة ليلة خلت من المحرَّم سنة عشر وثلاثمائة . فكانت المسافة من الجرجانية[٥] إلى بلده سبعين يوماً . فأقمنا يوم الأحد ويومَ الاثنين ويوم الثلاثاء ويوم الأربعاء في القباب التي ضُربَتْ لنا حتى جَمَع الملوكَ والقوّادَ وأهلَ بلده[٦] ليسمعوا قراءة الكتاب.

---

(١) نقل ياقوت هذا الفصل كذلك إلى معجمه كما ذكرنا في المقدمة ، بعنوان بلغار ١ / ٧٢٣ : « وقرأتُ رسالة عملها أحمد بن فضلان ... » وعليها نقابل ما في نسختنا – انظر تقويم البلدان ٢١٦ ، نخبة الدهر ٢٦١ حيث يحددان موقع بلغار أو بلار .

(٢) في الأصل : « قصدناه » - وفي ياقوت : « قصدنا له » .

(٣) في الأصل : « تحت يده واخوانه » - وفي ياقوت : « تحت يديه واخوته » .

(٤) في نسختنا : « فنزلها » - وفي ياقوت : « فنزلناها » وهي أصوب .

(٥) في ياقوت : « وكانت المسافة من الجرجانية وهي مدينة خوارزم سبعين يوماً » .

(٦) في ياقوت : « حتى اجتمع ملوك أرضه وخواصه ليسمعوا قراءة الكتاب »

فلما كان يوم الخميس واجتمعوا نَشَرنا المِطْرَدَيْن[١] اللَّذَيْن كانا معنا ، وأسرجْنـــا الدّابةَ بالسّرج الموجَّه إليه[٢] ، وألبسناه السواد[٣] وعمَّمناهُ ، وأخرجتُ كتابَ الخليفة . وقلتُ له : « لا يجوزُ أن نجلس والـكتابُ يقرأ » فقام على قَدَميه[٤] هو ومن حَضر مِن وجوه أهل مملكته ، وهو رجل بدينٌ بطينٌ[٥] جدّاً .

وبدأتُ فقرأْتُ صدرَ الـكتاب . فلمّا بلغتُ منه : « سَلامٌ عليكَ فإني أَحمَد إليكَ اللهَ الذي لا إله إلاّ هُوَ » . قلتُ : « رُدَّ على أمير المؤمنين السلامَ » فردَّ ، وردّوا جميعاً بأسرهم ، ولم يزل التَّرْجُمان يترجم لنا حرفاً حرفاً. فلما استتممنا قراءته[٦] كبَّروا تكبيرة[٧] ارتجت لها الأرض .

ثم قرأتُ كتابَ الوزير « حامد بن العباس[٨] » ، وهو قائمٌ ؛ ثم أمرتُه

---

(١) في نسختنا : « المطردين الذين كانا » – وفي ياقوت : « المطردين الذين كانوا معنا » – والمطرد : بكسر الميم وسكون الطاء – وهو الراية واللواء ، يقول الجوهري : « والألوية المطارد ، وهي دون الأعلام والبنود ، مثل الراية » – انظر تكملة المعاجم لدوزي ٢ / ٣٤ .

(٢) في نسختنا : « الموجه إلينا » – وفي ياقوت : « الموجه إليه » .

(٣) من المعلوم أن السواد هو شعار العباسيين ، يشير إليه هنا .

(٤) يختصر ياقوت هنا فيقول : « فقرأته وهو قائم على قدميه » ثم يوجز فلا يورد صدر الكتاب وردّ السلام مما يفصل الأمر فيه ابن فضلان .

(٥) البطين : العظيم البطن .

(٦) في النسخة : « قرابته »

(٧) يرى أحد المستشرقين أن تكون هنا : « كبروا تكبيراً » – وفي نسخة وليدي : « ارتجت » .

(٨) حامد بن العباس ، كان يتولى أعمال السواد ، ثم وزر للمقتدر ، وكان كريماً مفضلاً ، متجملاً ، سريع –

بالجلوس ، فجلس عند قراءة كتاب « نذير الحرمي » ، فلمّا ‖ استتمته نثر [٢٠٤ و]
أصحابُه عليه[1] الدراهمَ الكثيرة . ثم أخرجتُ[2] الهدايا من الطّيب
والثّياب واللؤلؤ له ، ولامرأته . فلمْ أزل أعرضُ عليه وعليها شيئاً شيئاً
حتى فرغنا من ذلك . ثم خلعتُ على امرأته بحضرة النّاس ، وكانتْ جالسةً
إلى جنبه ، وهذه سنّتهم وزيّهم[3] ، فلمّا خلعتُ عليها نثر النساء عليها
الدراهمَ ، وانصرفنا .

* * *

فلما كان بعد ساعةٍ وجّه إلينا ، فدخلنا إليه ، وهو في قبّته ، والملوكُ
عن يَمينه . وأمرنا أن نجلس عن يساره ، وإذا أولاده جلوسٌ بين يديه ،
وهو وحده على سريرٍ مغشّى بالديباج الرومي[4] ، فدعا بالمائدة فقُدِّمَتْ ،
وعليها اللحم المشوي وحده[5] .

– الطايش كما يقول ابن الطقطقي في الفخري ٣١٥ (طبعة أوربة) وزر عام ٣٠٦ – ٣١١ ، اشتغل بالتجارة ثم عظم شأنه ، ولما ولي الوزارة كان في الثانين من العمر ، ولم يكن نصيبه من الوزارة إلا اللقب والخلعة ، وكان المدبر للامور علي بن عيسى الذي كان وزيراً من قبل - انظر الحضارة الاسلامية لمتز ، بالترجمة العربية ١ / ١٦٤ – وارجع إلى ابن جرير الطبري ١٢ / ٢٩ (سنة ٣٠٣).

(١) في نسختنا : « عليه » – وفي ياقوت « علينا » .

(٢) في نسختنا ينسب ابن فضلان الأعمال لنفسه بضمير المتكلم المفرد ، وفي ياقوت بضمير المتكلم الجمع ، فيقول : « وأخرجنا الهدايا وعرضناها عليه ثم خلعنا على امرأته وكانت جالسة إلى جانبه » – ويلاحظ أن ياقوت يوجز ويختصر فلا يورد العبارة بنصها ، ولا يذكر أنواع الهدايا .

(٣) في ياقوت : « سنتهم ودأبهم » .

(٤) الديباج الرومي : الحرير الرومي ، مشهور معروف بجودته في القرن الرابع وكان يجلب إلى بلاد المسلمين من فرنسة غالباً ، كما في ابن الفقيه ٢٧٠ ، والحضارة الاسلامية ٢ / ٣٠١ .

(٥) هنا يوجز ياقوت في النقل ، ولكنه يقول : « وعليها لحم مشوي » .

فابتدأ هو فأخذ سكّينا وقطع لقمةً وأكلها ، وثانيةً ، وثالثةً ، ثم احتز قطعةً دفعها إلى « سَوْسن » الرسول . فلما تناولها جاءته مائدةٌ صغيرة فجُعلتْ بين يديه . وكذلك الرسم ، لا يمدّ أحد يدَه إلى الأكل حتى يناوله الملكُ لقمةً ، فساعة يتناولها قد جاءته[1] مائدة . ثم ناولني فجاءتني مائدة | ثم قطع قطعة وناولها الملك الذي عن يمينه فجاءته مائدة . ثم ناول الملك الثاني فجاءته مائدة | . ثم ناول الملك الرابع فجاءته مائدة ، ثم ناول أولاده فجاءتهم الموائد .

وأكلنا[2] كل واحد من مائدته لا يشركه فيها أحد ، ولا يتناول من مائدة غيره شيئاً ، فإذا فرغ من الطعام[3] ، حمل كل واحد منهم[4] ما بقي على مائدته إلى منزله .

فلما أكلنـــا[5] دعا بشراب العسل وهم يسمّونه « السجو »[6] ليومه

(١) كذا في الأصل عندنا وهو مضطرب ، وفي ياقوت : « فإذا تناولها جاءته مائدة ، ثم قطع قطعة وناولها الملك الذي عن يمينه فجاءته مائدة ، ثم ناوله الملك الثاني فجاءته مائدة ، وكذلك حتى قدم إلى كل واحد من الذين بين يديه مائدة » وهي عبارة واضحة مستقيمة أثبتناها ليستأنس بها القارىء في تصوّر المراسيم عندهم ، وهي قريبة مما هي اليوم في الغرب اختصرنا منها ما يصلح للسياق وضمناه في المتن .

(٢) في ياقوت : « وأكل كل واحد منا من مائدة لا يشاركه فيها أحد » .

(٣) في ياقوت : « من الأكل » .

(٤) في المخطوطة : « كل واحد منهم مايبقى على مائدتنا » وهو تحريف واضح ، وفي ياقوت : « كلّ واحد منا ما بقي على مائدته إلى منزله » .

(٥) في ياقوت : « فلما فرغنا » .

(٦) السجو أو سوجو وسوجي : لم نجد له ذكراً في معاجمنا ، وقد حام حول تفسيره المستشرقون فرأوا أنه الخمر ، ونحن نستبعد أن يشرب الشيخ ابن فضلان خمراً ، ومع ذلك يقول ياقوت : «فشرب وشربنا قدحاً» . انظر ص ١٢٩ التالية وتعليق كانار ص ٨٩ بالترجمة الفرنسية .

وليلته فشرب قدحاً ، ثم قام قائماً فقال : « هذا سروري بمولاي أمير المؤمنين — أطال الله بقاءه — » وقام الملوك الأربعة وأولاده لقيامه [١] ، وقمنا نحن أيضاً حتى إذا فعل ذلك ثلاث مرّات ، ثم انصرفنا من عنده .

* * *

وقد كان يُخْطَب له على منبره قبل قدومي [٢] : « اللّهم وأَصلح [٣] الملك يلطوار [٤] ملك بلغـار » . فقلتُ : أنا له : « إنّ الله هو الملك ، ولا يُسمّى على المنبر [٥] بهذا الاسم غيره — جلّ وعزّ — وهـذا مولاك أمير المؤمنين قد رضي [٦] لنفسه أن يُقال على منابره في الشَّرق والغرب : اللّهم أَصلحْ عبدَك وخليفتَك جعفرَ الإمام المقتدر بالله أمير المؤمنين . وكذا من كان قبلهُ || من آبائه الخلفاء . وقد قال النبيّ ﷺ : « لا تُطْروني كما أطْرَتِ [٢٠٤ظ]

---

(١) حذف ياقوت هذه الجملة الأخيرة ، فهو هنا يوجز ويختصر من الرسالة .

(٢) في ياقوت : « قبل قدومنا » .

(٣) في مخطوطتنا : « اللهم واصلح » - وفي ياقوت : « اللهم اصلح » ولا ثبات الواو أو حذفها رجعنا إلى تعابير القدماء في ذلك فرأينا في مخطوطة « رسوم دار الخلافة » للصابي ، بالورقة ١٨٨ أنه من عادة الخطب أن يقال على المنابر : « اللهم وأصلح عبدك وخليفتك عبد الله » فأبقينا الواو هنا ، وان كانت محذوفة في جملة مشابهة بعد قليل ، ولكنه ثبتها بعد ذلك .

(٤) ذكرنا الصور المختلفة التي قلبها المستشرقون لمعرفة يلطوار ، فبعضهم يرى أنه الب ايلطوار ، واياطوار ، ويلطهار ، وبال ايدار وفرمن قال أن من ملوك التتار ملك يسمى « ايدار » . وقد شرحنا ذلك مستوفى ولكننا نسينا أن نضيف ملاحظة هـذا المستشرق وهي أن ملك الروس على الفولغـا كان اسمه « ايكور Igore » وقد صحفه العرب ، وقال برتولد أن لقب ملك البلغار « يلطوار Waldawac » فأصبح الب ايلطوار .

(٥) في ياقوت : « ولا يجوز أن يخطب لأحد سيما على المنابر » .

(٦) في مخطوطتنا : « قد رضى » - وفي ياقوت : وصّى » .

النّصارى عيسى ابنَ مَرْيَمَ فإنّما أنا | عَبْدٌ فقُولُوا | عَبْدُ الله ورَسولُه »[1] .

فقال لي: « فكيف يجوز أن يخطب لي ؟ » قُلتُ : « باسمِك واسمِ أبيك » ، قال : « إنّ أبي كان كافراً ولا أحبُّ أن أذكر اسمَه على المنبر ، وأنا أيضاً فما أحبُّ أن يذكر اسمي ، إذْ كان الّذي سمّاني [به][2] كافراً . ولكن ما اسم مولاي أمير المؤمنين ؟ » فقلت : « جعفر » ، قال : « فيجوز أن أتسمى باسمه ؟ » قلت : « نعم » . قال : « قد جعلت اسمي جعفراً ، واسم أبي عبد الله فتقدّمْ إلى الخطيب[3] بذلك » ففعلت .

فكان يخطب له : « اللّهمّ وأصلح عبدَك جعفرَ بْنَ عَبْدِ الله أميرَ بُلْغار مَولى أمير المؤمنين » .

* * *

١٥

ولما كان[1] بعد قراءة الكتاب وإيصال الهدايا بثلاثة أيام ، بعث

---

(١) جاء الحديث النبوي الشريف في الفتح الكبير للسيوطي ٣ / ٣٢٩ ، نقله عن البخاري ، وهذا نصه فيه : « لاتطروني كما أطرت النصارى ابن مريم ، فانما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله » وقد اسقطت نسختنا كلمتين لعلها سقطتا لذهول الناسخ فأرجعناهما إلى المتن ، وأما ياقوت فقد أغفل ذكر الحديث فاختصر كما فعل في سائر النص .

(٢) زيادة من ياقوت وهذا يتأكد أن اسمه لم يكن الحسن كما صحفت النسخة في بدئها بل « المش » كما قلنا .

(٣) في نسختنا : « إلى الخاطب بذلك ففعلت » وهذا تحريف ، صوبناه عن ياقوت .

(١) هذه الصفحة لم يثبتها ياقوت ، وأنما يستأنف النقل عند ذكر العجائب ، فليس فيه أمر المال ووصوله لأنه لا يهم ياقوت في بحثه .

إليّ وقد كان بلغه أمر الأربعة آلاف دينار، وما كان من حيلة النصراني[١] في تأخيرها، وكان خَبَرُها في الكتاب.

فلما دخلتُ إليه أمرني بالجلوس فجلستُ، ورمى إليَّ كتابَ أمير المؤمنين، فقال: «مَنْ جاء بهذا الكتاب؟» قلتُ: «أنا». ثم رمى إليَّ كتابَ الوزير، فقال: «وهذا أيضاً؟» قلتُ: «أنا». قال: «فالمال الذي ذُكر فيهما ما فعل [به]؟[٢]» قلتُ: «تعذَّر جمعُه، وضاق الوقتُ، وخشينا فَوْتَ الدخول، فتركناهُ ليلحق بنا». فقال: «إنما جئتم بأجمعكم، وأنفق عليكم مَولاي ما أنفق لحمل هذا المال إليَّ، حتى أبنيَ به حِصْناً يمنعني من اليهود[٣] الذين قد استعبدوني. فأما الهدية فغلامي قد كان يُحْسِن أن يجيء بها». قلتُ: «هو كذلك! إلاّ أنّا قد اجتهَدنا». فقال للترجمان: «قل له أنا لا أعرف هؤلاء، إنَّما أعرفكَ أنت، وذلك أنَّ هؤلاء قومٌ عجمٌ، ولو علم الأُستاذُ[٤] — أيده الله — أنهم يبلغون

---

(١) النصراني، وهو الفضل بن موسى، وقد مرّ بنا في الصفحة ١٩٧ ظ، وهو وكيل ابن الفرات، كان عليه أن يدفع مايرتفع من القرية، ولكنه احتال وسوّف كما رأينا.

(٢) أضفناها اتمام المعنى.

(٣) تحدث ابن حوقل عن الخزر ٢ / ٣٨٩ فقال: «أما الخزر فاسم الاقليم، وقصبته تسمى اتل ... والملك يهوديّ، ويقال ان له من الحاشية نحو أربعة آلاف رجل» والمقصود باليهود هم الخزر، كما قلنا - وفي نخبة الدهر لشيخ الربوة ٢٦٣، عن الخزر أنهم مسلمون ويهود، وابن الأثير يقول انهم أسلموا سنة ٢٥٤، وذكر سبب اسلامهم.

(٤) تسميته للخليفة بالأستاذ عجيبة، وقوله انهم عجم أعجب، لأن ابن فضلان نفسه مولى أعجمي فيما نقدر.

ما تبلغ ما بعث بك حتى تحفظ عليَّ[١] وتقرأ كتابي ، وتسمع جوابي ، ولست أطالبُ غيرك بدرهم[٢] فاخرُجْ من المال[٣] فهو أصلحُ لك » .

فانصرفتُ مِنْ بَيْن يدَيْه مذعوراً مغموماً ، وكان رجلاً[٤] له منظر وهيبة[٥] ، بدين ، عريضٌ كأنما يتكلّم من خابية . فخرجتُ من عنده وجمعتُ أصحابي || وعرّفتهم ما جرى بيني[٦] وبينه . وقلتُ لهم : « مِنْ هٰذا حذرتُ » ! [٢ و]

* * *

وكان مؤذنه يُثنّي الإقامة إذا أذّن ، فقلتُ له : « إنّ مولاك أميرَ المؤمنين يفردُ في داره الإقامةَ » . فقال للمؤذن : « إقبلْ ما يقوله لك ولا تخالفه » .

فأقام المؤذن[٧] على ذلك أياماً وهو يُسائلني عن المال ، ويُناظرني فيه ،

---

(١) لعله يريد : « حتى تحفظ عليّ حقي » .

(٢) في المخطوطة : « وليس أطالب غيرك درهم » فلعلها كما رسمنا .

(٣) اخرج من المال أو أخرج عنه : أعطه ، دوزي ١/٣٥٨ — وخرج الرجل إلى فلان من دينه قضاه إياه

(٤) في المخطوطة : « رجل » وصوابها ما أثبتنا .

(٥) يتساءل المستشرق الروسي هنا لعلها « هيئة » .

(٦) في المخطوطة : « بينه وبينه » ولعلها كما وضعنا .

(٧) الضمير « هو » يعود على الملك طبعاً .

وأنا أويسه[1] منه، وأحتجُّ فيه. فلمّا يئس منه تقدّم إلى المؤذّن أن يثنّيَ الإقامة، ففعل. وأراد بذلك أن يجعله طريقاً إلى مناظرتي. فلما سمعتُ تثنيته للإقامة نهيتُه[2] وصحتُ عليه، فعرف الملكُ ذلك، فأحضرني وأحضرَ أصحابي.

فلما اجتمعنا قال للترجمان: «قل له — يَعْنيني[3] — ما يقولُ في مؤذّنَيْن أفردَ أحدُهما وثنّى الآخرُ، ثم صلّى كلُّ واحد منهما بقوم أتجوز الصلاة أم لا؟» قلتُ: «الصلاة جائزة». فقال: «باختلاف أم باجماع؟» قلت: «باجماع!» قال: «قُلْ له فما يقولُ في رجل دَفَعَ إلى قوم مالاً لأقوام ضعفى[4] محاصرين مستعبدين فخانوه؟» فقلت: «هذا لا يجوز، وهؤلاء قوم سوء». قال: «باختلاف أم باجماع؟» قلت: «باجماع»، فقال للترجمان: «قُل له: تعلمُ أن الخليفة — أطال الله بقاءه — لو بَعَثَ

---

(١) أيسه وآيسه ايئاساً: جعله يقنط، مثل يئس وآيأس.

(٢) جاء في مجمع الزوائد للهيثمي ١ / ٣٣٠: «وكان بلال يقيم للنبي (صلى الله عليه وسلم) فيفرد الاقامة» وروى في غير هذا المكان أن الأذان على عهد الرسول كان مثنى مثنى والاقامة فرادى – وقد بحث المستشرقون ذلك في تعليقاتهم. والمستشرق جوينبول يرى أن الحنفية وحدهم كانوا يثنون وأن غيرهم كان يفرد في الاقامة وحدها، وقد كتب في دائرة المعارف الاسلامية حول الأذان ١ / ١٣٥، وحول الاقامة ٢ ص ٤٨٥.

(٣) في المخطوطة «يعيبني»، ولا معنى لها، فلعله يريد «يعنيني» بمعنى يقصدني.

(٤) الضعيف: جمعه ضعاف وضعفى وضعفة وضعفاء.

إليّ جَيْشاً كان يَقْدِرُ عَلَيَّ[١] ؟ » قلتُ : « لا » . قال : « فأميرُ خُراسان ؟ » قلتُ : « لا » . قال : « أليس لبعد المسافة وكثرة مَنْ بَيْننا مِن قبائل الكُفار ؟ » قلتُ : « بلى » ، قال : « قُلْ له : فوالله إنّي لَبِمَكاني[٢] البعيد الذي تراني فيه ، وإني لخائف من مولاي أمير المؤمنين ، وَذلك أني أخاف أن يبلغه عني شيء يكرهه فيدعو عليّ فأهلك بمكاني ، وهو في مملكته ، وبيني وبينه البلدان الشاسعة . وأنتم تأكلون خُبْزَهُ وتلبسون ثيابَه ، وترونه في كُلّ وقت خُنتموه في مِقْدار رسالة بَعَثَكُم بها إليَّ ، إلى قوم ضعفى ، وخُنتم المسلمين ! لا أقبلُ منكم أمْرَ دِيني حتّى يجيئَني[٣] مَنْ ينصحُ لي فيما يقول . فإذا جاءني انسانٌ بهذه الصورة قبلتُ منه » . فأَجمنا[٤] وما أحرنا جواباً ، وانصرفنا من عنده .

قـــــال :

فكان بعد هذا القولِ يُؤْثِرُني ويُقَرِّبني ، ويُباعد أصحابي ، ويسميني « أبا بكر الصّدّيق[٥] » .

* * *

(١) في نخبة الدهر لشيخ الربوة ص ٢٦١ : « قال أبو عبيدة البكري : الصقالبة ذوو بأس شديد ، وشدة وصولة ، ولولا اختلافهم بكثرة تفرع أعراقهم وتفرق أفخاذهم لما قامت لهم أمة من الأمم » .

(٢) في المخطوطة : « لمكاني البعيد الذين » فأصلحناها كما ترى .

(٣) في المخطوطة : « حتى يحيبني » وصوابها مارسمناه .

(٤) أجمنا : أسكتنا ، والتجم عن الكلام ، كأنه ألجم بلجام ، ومثله أحار الجواب إحارة .

(٥) في الأصل : « أبو بكر » ولعل كنية ابن فضلان هي أبو بكر ، فأضاف إليه الصديق لصدقه . .

١٦

|| ورأيتُ في بلده[١] من العجائب ما لا أحصيها كثرة . [٢٠٥ظ]

من ذلك : أن أول ليلة بتناها في بلده رأيتُ قبلَ مغيب الشمس بساعةٍ قياسيةٍ[٢] أفقَ السّماءِ وقد احمرتْ احمراراً شديداً وسمعتُ في الجوّ أصواتاً[٣] شديدةً وهمهمةً عالية ، فرفعتُ رأسي فإذا غيمٌ أحمر مثل النار قريب مني ، وإذا تلك الهمهمةُ والأصواتُ منه ، وإذا فيه أمثالُ الناس والدّواب ، وإذا في | أيدي |[٤] الأشباح التي فيه ، تشبه الناس[٥] ، رماح[٦] وسيوفٌ أتبيّنُها وأتخيّلُها ، وإذا قطعةٌ أخرى مثلُها أرى فيها أيضاً رجالاً ودواب وسلاحاً ، فأقبلتْ هذه القطعةُ تحمل[٧] على هذه كما تحملُ الكتيبةُ على الكتيبة . ففزعنا من ذلك وأقبلنا على التضرّع والدعاء ، وهم[٨] يضحكون منّا ويتعجّبون من فعلنا .

---

(١) يعود ياقوت إلى نقل كلام ابن فضلان واثباته في معجمه – انظر كانار ص ٩٥ .

(٢) يحذف ياقوت كلمة : « قياسية » – ولعل الساعة القياسية هي الساعة تماماً .

(٣) في مخطوطتنا : « صوتاً شديدة » وفي ياقوت : « أصواتاً عاليـة وهمهمة » فأصلحنا كلمة « صوتاً » بجمعها .

(٤) في مخطوطتنا : « وإذا في الاستباخ » وهي مصحفة – وفي ياقوت : « وإذا في أيدي الأشباح » فأضفناها أيدي عنه وصوبنا .

(٥) ليس في ياقوت : « تشبه الناس » فهي عندنا زائدة .

(٦) في ياقوت : « قسيّ ورماح وسيوف » .

(٧) ليس في ياقوت : « تحمل » فهي عندنا وحدها .

(٨) في ياقوت : « وأهل البلد يضحكون » .

قـــال :

وكنّا ننظرُ إلى القطعة تحملُ [على][1] القطعة فتختلطان جميعاً[2] ساعةً ثم تفترقان . فما زال الأمر كذلك ساعة من اللّيل[3] ثم غابتا . فسألنا الملكَ عن ذلك فزعمَ أنَّ أجداده كانوا يقولون : إنَّ هؤلاء من مؤمني الجنّ وكفّارهم ، وهم[4] يقتتلون في كلّ عشية ، وأنهم ما عدموا هذا مُذ كانوا في كلّ ليلة .

* * *

قـــال :

ودخلتُ أنا وخياط [كان] للملك[5] من أهل بغداد — قد وقع إلى تلك الناحية[6] — قُبّتي ، لنتحدّث ، فتحدّثنا بمقدار ما يقرأ[7] إنسانٌ أقلّ من نصف سُبْع ، ونحن ننتظر أذانَ العتمة[8] ، فإذا بالأذان . فخرجنا من القبّة وقد طلعَ الفجرُ . فقلتُ للمؤذّن : « أي شيءٍ أذّنْتَ » . قال : « أذان

(١) ناقصة في نسختنا أخذناها عن ياقوت .

(٢) في مخطوطتنا : « ذلك » ثم طمست بالقلم فحذفناها .

(٣) في ياقوت : « فما زال الأمر كذلك إلى قطعة من الليل » .

(٤) في مخطوطتنا : « ثم غايبتا » وصوابها ما جاء في ياقوت ، مما أثبتناه .

(٥) في مخطوطتنا : « وخياط الملك » – في ياقوت « وخياط كان الملك » – وهذا دليل آخر على أسبقية العرب في الحضارة ، وعلى مغامرة قومنا في ارتياد الأقطار سعياً وراء الرزق .

(٦) هذه الجملة بين شرطتين لم تقع في ياقوت .

(٧) في ياقوت : « بمقدار مايقرء الانسان نصف ساعة » .

(٨) في ياقوت : « أذان العشاء » .

الفجر » ، قلت : « فالعِشاء الآخرة »[١] . قال : « نُصلّيها مع المغرب » ، قلتُ : « فاللّيل » ، قال : « كما ترى ؛ وقد كان أقصر من هذا إلاّ أنه قد أخذ[٢] في الطول » . وذكر أنه منذ شهر ما نام[٣] خوفاً أن تفوته صلاةُ الغداة[٤] . وذلك أنَّ الإنسانَ يجعل القِدْرَ على النّـار وقتَ المغرب ، ثم يصلّي الغداةَ وما آنَ لها أن تَنْضِج .

قـــال :

ورأيتُ النّهارَ عندهم طويلاً جداً وإذا أنّه يطولُ عندهم مدةً من السَّنة ويقصر الليل ، ثم يطولُ الليلُ ويقصر النهارُ . فلمـا كانت اللَّيلةُ الثانية جلستُ خارجَ القبّة وراقبتُ السماءَ فلم أرَ || من[٥] الكواكب إلاّ عدداً [٢٠٦و] يسيراً ظننتُ أنه نحو[٦] الخمسة عشر كوكباً [متفرقة . وإذا الشفق الأحمر الذي قبل المغرب لا يغيب بتةً . وإذا الليلُ][٧] قليلُ الظُّلمة يعرفُ الرجلُ الرجلَ فيه مِنْ أكثر مِنْ غَلْوَة سَهْمٍ[٨] .

(١) في ياقوت : « فعشاء الأخيرة » .
(٢) في ياقوت : « وقد أخذ الآن في الطول » .
(٣) في ياقوت : « ما نام الليل » .
(٤) في ياقوت : « يفوته صلاة الصبح » .
(٥) يختصر ياقوت في رواية الجملة السابقة : « جلست فلم أر فيها من الكواكب » .
(٦) في ياقوت : « فوق الخمسة عشر » .
(٧) سقط هذا السطر من مخطوطتنا ، فأخذناه من ياقوت ، وبدونه لا يتم السياق ، ويرى الروس ان كلمة قبل المغرب يجب أن تكون بالمغرب .
(٨) غلوة سهم : الغلوة : الغاية ، وهي رمية سهم أبعد مايقدر عليه . ويقال هي قدر ثلاثمـائة ذراع إلى أربعمائة ، جمعها غَلَوات وغِلاء .

قـــــال :

ورأيتُ القمرَ لا يتوسَّطُ السَّماء بل يطلعُ في أرجائها[١] ساعةً ثم يطلع الفجرُ فيغيب القمرُ . وحدَّثني الملِكُ أنَّ وراء بلده بمسيرة ثلاثة أشهر قومٌ يُقال لهم « وِيسو »[٢] ؛ اللَّيلُ عندهم أقلُّ مِنْ ساعة .

قـــــال :

ورأيتُ البلدَ عند طلوع الشمس يحمر[٣] كلّ شيء فيه من الأرض والجبال وكلّ شيء ينظر الإنسانُ إليه حين[٤] تطلع الشمس كأنهـــا غمامة كُبْرى[٥] ، فلا تزال الحُمْرَةُ كذلك حتى تتكبّد السمـــاء . وعرّفني أهلُ البلد أنّه إذا كان الشتاء عادَ اللَّيْلُ في طُول النَّهار ، وعاد النهارُ في قصر الليل ، حتى أنَّ الرجلَ منّا ليخرجُ إلى موضع[٦] يقال له « إتِل » — بيننا وبينه

---

(١) يروي ياقوت هذه الجملة مختصرة .

(٢) في معجم البلدان لياقوت ٤ / ٩٤٤ : « ويسو : بكسر أوله والسين مهملة وواو : بلاد وراء بلغـــار بينها وبين بلغار ثلاثة أشهر » – والمستشرق فرمن يعلق على هذه الكلمة تعليقات طويلة بالصفحة ٢٢٠ ومايليها ، ويرى أن « ويسو Wisu هي « روسيا البيضاء Bielo Russe » ، وانها قرب موسكو ، غربي ورائك ، ومحصل تعليقه أن الكلمة تتركب من لفظتين « أبيض وبحر » أو منطقة بيضاء . ولابد من الملاحظة بأن الناسخ عندنا رسمهـــا « ويسوا » بألف بعد الواو كما يفعل دائمـــاً بعض النساخ ألحاقاً بواو الجمع ا . .

(٣) صوبنا لفظة « تحمر » كما نصوب غالباً من غير أن نشير الى ذلك .

(٤) في الأصل : « وتطلع » – وفي ياقوت : « حين تطلع » .

(٥) في الأصل : « غمامة كبيراً » وصوابها ما في ياقوت .

(٦) في الأصل عندنا : « موضع يقال له » – وفي ياقوت : « نهر يقال له » وكذا نصوب نسختنا ، ولكن ياقوت ١ / ١١٢ يقول : « اتل نهر عظيم شبيه بدجلة في بلاد الخزر ، ويمر ببلاد الروس وبلغار . وقيل : إتل قصبة بلاد الخزر والنهر مسمى بها » فتركنا الكلمة كما جاءت في نسختنا .

أقلُّ من مسيرة[١] فرسخ — وقتَ طلوع الفجر فلا يبلغه إلى العتمة[٢]، إلى وقت طلوع الكواكب كلّها حتى تطبق السماء. فما برحنا من البلد حتى امتدّ الليلُ وقصر النهار[٣].

* * *

١٧

ورأيتُهم يتبركون بعُوَاءِ الكلاب جدّاً، ويفرحون به، ويقولون[٤]: سنة خصب وبركة وسلامة.

ورأيتُ الحيّاتِ عندهم كثيرةً حتى أنّ[٥] الغصنَ من الشجرة لتلتف عليه العشرة[٦] منها والأكثر، ولا يقتلونها ولا تؤذيهم حتى لقد رأيتُ في بعض المواضع شجرةً طويلةً يكونُ طولها أكثرَ من مائة ذراع، وقد سقطتْ وإذا بدنها عظيمٌ جداً فوقفتُ أنظرُ إليه إذ تحرك فراعني[٧] ذلك. وتأملتُه فإذا عليه حيّةٌ قريبة[٨] منه في الغِلَظ والطّول. فلما رأتني سَقطتْ

---

(١) في ياقوت: «مسافة فرسخ».

(٢) في نسختنا: «إلاوقت العتمةوطلع الكواكب» - وفي ياقوت: «إلى العتمة إلىوقت طلوع الكواكب»

(٣) هذه الجملة الأخيرة ناقصة في ياقوت - نقل الاصطخري من غير شك عن ابن فضلان أمر قصر الليل في الصيف وطوله في الشتاء.

(٤) يختلف ياقوت في رواية هذا السطر، ويروي: «ويقولون تأتي عليهم سنة».

(٥) في نسختنا: «حتى إذا الغصن من الشجرة لتلتف» - وفي ياقوت: «حتى أن الغصن من الشجر ليلتف»

(٦) في ياقوت: «عشرة منها وأكثر».

(٧) هذا المقطع كله أغفله ياقوت.

(٨) في النسخة: «قريب».

عنه ، وغابتْ بين الشَّجر فجئت فَزِعاً . فحدَّثْتُ المَلِكَ ومَنْ كانَ في مجلسه ، فلم يكترثوا لذلك . وقال : « لا تجزعْ فليس تؤذيك » .

ونزلنا مع الملك منزلاً ، فدخلتُ أنا وأصحابي تكين ، وسوسن ، وبارس ، ومعنا رجل من أصحاب المَلِك بين الشَّجر فرأينا[1] عوداً صغيراً أخضرَ كرقّة المِغزل وأطول ، فيه عرق[2] أخضر ، على رأس العرق ورقةٌ عريضةٌ مبسوطةٌ على الأرض ، مفروشٌ عليها مثلُ النّابت[3] ، فيها حَبّةٌ لا يَشكُّ مَنْ يأكُلُه أنَّه || رمّان أمليسي[4] ، فأكلنا منه فإذا به من اللَّذة أمرٌ عظيمٌ ، فما زلنا نتبعُه ونأكُله . [٢٠٦ظ]

* * *

ورأيتُ لهم تُفّاحاً أخضرَ شديدَ الخُضْرة[5] وأشدَّ حُموضةً من خَلّ الخمر ، تأكله الجَواري فيسمَنَّ[6] عليه . ولم أر في بَلدهم أكثرَ من شجر البندق ، لقد رأيتُ منه غِياضاً تكون الغَيضةُ[7] أربعين فرسخاً في مثلها .

---

(١) في نسختنا : « فاذا انا » ولا معنى لها ، فاقترح أحد المستشرقين أن تكون : « فاذا أنا بعود » ، واقترح آخر : « فأرانا عودا » ولكننا فضلنا هذه الرواية التي أثبتناها . وكل ذلك في ياقوت .

(٢) في نسختنا : « فيه عرنا » وهو خطأ من الناسخ فأصلحناه .

(٣) النابت : الطاريّ من كل شيء حين ينبت صغيراً .

(٤) رمان امليس وأمليسيّ : حلو طيب ، لاعجم فيه أي لانواة له .

(٥) عاد ياقوت إلى النقل عن ابن فضلان ، ولكنه يوجز في العبارة ويختصرها .

(٦) في نسختنا : « فيسمى » وصوابها مافي ياقوت ، وقد قلنـا إن جمله تختلف عمـا عندنا فلا حاجة إلى روايتها هنا .

(٧) الغيضة : الأجمة ، ومجتمع الشجر في مغيض الماء ، جمعه غياض وأغياض وغيضات .

ورأيتُ لهم شجراً لا أدري ما هو ، مفرطُ الطُّول وساقه[1] أجردُ من الوَرق ، ورؤُوسه كرؤوس النَّخل له خُوصٌ [دِقاق][2] ، إلاّ أنّه[3] مجتمع ، يَجيئُون[4] إلى موضع يعرفونه مِنْ ساقه ، فيثقبونه ، ويجعلون تحتــه إناء فتجري[5] إليه مِن ذلك الثّقب ماءٌ أطيبُ من العَسل ، إنْ أكثرَ الإنسانُ منه أسكره كما يُسكر[6] الخمرُ .

وأكثرُ أكلهم الجاورسُ[7] ولَحمُ الدابّةِ[8] ، على أنّ الحنطةَ والشعير كثير[9] . وكلُّ مَنْ زرَع شيئاً أخذَه لنفسه ؛ ليس لِلمَلِك فيه حقٌّ غير أنّهم يؤدُّون إليه في كلّ سَنَة مِن كلِّ بَيت جلدَ سمّور[10] . وإذا أمَرَ سريّةً بالغارة على بعض البلدان فغنمتْ كانَ لهُ معهم حِصّةٌ . ولا بدّ لـكلّ من

(١) في نسختنا : « وساقية » وهو تصحيف من الناسخ .

(٢) أضفنا الـكلمة من ياقوت – والخوص : ورق النخل مفردها خوصة .

(٣) قبل هذا في مخطوطتنا : « وقال » ولا شك في أنها زائدة فحذفناها .

(٤) في نسختنا : « بحوز » وهي غامضة لاتعني شيئاً – وفي ياقوت : « يعمدون إلى موضع من ساق هذه الشجرة يعرفونه فيثقبونه » ، وقد تعودنا خطأ الناسخ فهو كلما رسم « بحوز » فأصلها : « يجيئون » في النسخة التي نقل عنها .

(٥) في ياقوت : « يجري » .

(٦) في ياقوت : « تسكر الخمر » . لعله يعني بهذا الشجر قصب السكر .

(٧) شرحنا الـكلمة في الصفحات السابقة .

(٨) في ياقوت : « ولحم الخيل » .

(٩) في ياقوت : « كثير في بلادهم » .

(١٠) في ياقوت : « جلد ثور » – والسمّور حيوان بري يشبه السنور ، يتخذ من جلده فراء ثمينة للينهـا وخفتها وادفائها وحسنها ، جمعه سمامير .

يعترس[١] أو يدعو دعوةً من زلة[٢] للملك على قدر الوليمة وساخرخ[٣] من نبيذِ العَسل؛ وحنطة ردية؛ لأَنَّ أرضهم سوداء منتنة.

وليس لهم مواضعُ يجمعون فيها طعامَهم، ولكنّهم يحفرون في الأَرض آباراً، ويجعلون الطّعامَ فيها، فليس يمضي عليه إلاّ أيّام[٤] يسيرة حتى يتغيّر ويريح[٥] فلا يُنتفعُ به.

وليس لهم[٦] زيتٌ، ولا شيرج[٧]، ولا دهن بتة. وإنّما يُقيمون مقام هذه الأدهان دهنَ السمك، فكلّ شيء يستعملونه فيه يكون زفراً.

ويعملون من الشعير حساءً يُحسونه[٨] الجواري والغلمان. وربما طبخوا الشعير باللحم، فأكل الموالي اللّحم وأطعموا الجواري الشعيرَ إلاّ أن يكون رأس تيس[٩] فيطعم من اللّحم.

* * *

(١) لم تقم هذه الجملة في ياقوت — ويقترح أحد المستشرقين أن تكون « يفترس » بالفين.

(٢) الزلة: الصنيعة، والعرس والوليمة، وما تحمله من مائدة صديقك أو قريبك.

(٣) في الأصل: « وساخرج »، اقترح أحد المستشرقين أن تكون: « سيخرج » وهي كما يقول وليدي وكانار: مقياس للسوائل.

(٤) في نسختنا: « أياماً » وهي خطأ في النحو.

(٥) في الأصل: « يريح » وهي من الرائحة السيئة الفاسدة هنا، ولعلها « يزنخ » والدهن إذا زنخ فسد وتغير، وماتزال تستعمل في لغة العامة.

(٦) في ياقوت: « وليس عندهم شيء من الأدهان غير دهن السمك فانهم يقيمونه مقام الزيت والشيرج فهم كانوا لذلك زفرين » وكأنه أخذ بالمعنى فجمله بعبارته.

(٧) الشيرج: دهن السمسم.

(٨) حساه وأحساه وحاساه تحسية واحساه وحساة: أشربه إياه.

(٩) في الأصل: « راس بفلس » بالفاء، ويقترح بعض المستشرقين أن تكون بالغين، وآخر يرى أن تكون « تيس » ولكننا لم نجد لها معنى مفهوماً، وهي ناقصة في ياقوت لأنه حذف الجملة كلها.

وكلّهم يلبسون القلانس[١] ، فإذا ركب الملكُ ركب وحدَه بغير غُلام ، ولا أحد يكون معه . فإذا اجتاز في السوق لم يبق أحدٌ إلاّ قام وأخذ قلنسوته عن رأسه فجعلها تحت إبطه ‖ فإذا جاوزهم ردّوا قلانسهم إلى[٢] رؤوسهم . [٢٠٧ و] وكذلك كل من يدخل إلى[٣] الملك من صغير وكبير حتى أولاده وإخوته ساعة ينظرون[٤] إليه قد أخذوا قلانسَهم فجعلوها تحت آباطهم ، ثم أوموا إليه برؤوسهم ، وجلسوا ثم قاموا حتى يأمرهم بالجلوس . وكلّ من يجلس بين يديه فإنّما يجلس باركاً ولا يُخرِجُ قلنسوته ، ولا يُظهرها حتى يخرج من بين يديه فيلبسها عند ذلك .

وكلهم في قباب ، إلا أنَّ قبّة الملك كبيرة جداً ، تسع ألفَ نفس وأكثر، مفروشة بالفرش الأرمني[٥] ، وله في وسطها سرير مغشّى بالديباج الرومي .

ومِنْ رسومهم أنه إذا وُلد لابن الرجل مولود أَخذه جدّه دون أبيه ، وقال : « أنا أَحق به من أبيه في حضنه[٦] حتى يصير رجلاً » . وإذا مات

---

(١) القلانس : جمع قلنسوة ، وهي لباس الرأس . قيل إن أبا جعفر المنصور أمر بلبس القلانس . ولما اتصل سكان أوربة بالشرقيين أيام الحروب الصليبية نقلوا هذه القلانس الطوال ، ومعها الخمر ، وجعلوها لباس النساء ، ولما جاء المستعين سنة ٢٤٨ هـ ، صغر القلانس . انظر الحضارة الاسلامية لمتز ٢/١٨٦ ومعجم الملابس لدوزي .

(٢) في ياقوت : « فوق رؤوسهم » .

(٣) في ياقوت : « على الملك » .

(٤) في ياقوت : « يقع نظرهم عليه يأخذون قلانسهم فيجعلونها » وكذلك يجعل بقية العبارة بالفعل المضارع .

(٥) الفرش الأرمني مشهور وكذلك البسط الأرمنية ، انظر الحضارة الاسلامية لمتز ٢ / ٣٠٢ .

(٦) يقترح أحد المستشرقين أن تكون الكلمة : « في حصته » ولكنها هنا واضحة مفهومة .

منهم الرجلُ ورثَه أخوه دون ولده . فعرَّفتُ الملكَ أنَّ هذا غير جائز ، وعرَّفته كيف المواريث ، حتى فهمها .

وما رأيتُ أكثر(١) من الصَّواعق في بلدهم . وإذا وقعت الصاعقةُ على بيت(٢) لم يقربوه ، ويتركونه على حالته وجميع مَنْ فيه منْ رجلٍ ومالٍ وغير ذلك حتى يتلفه الزمان ، ويقولون : « هذا بيت(٣) مغضوب عليهم » .

* * *

وإذا قتل الرجلُ منهم الرجلَ عمداً أقادوه(٤) به ، وإذا قتله خَطَأً صنعوا له صندوقاً من خشب الخذنك ، وجعلوه في جوفه ، وسمَّروه عليه ، وجعلوا معه ثلاثة أرغفة وكوز ماء ، ونصبوا له ثلاث خشبات مثل الشبائح(٥) وعلَّقوه بينها ، وقالوا : « نجعله بين السَّماء والأرض يصيبه المطر والشمس ، لعل الله أن يرحمه» . فلا يزال معلَّقاً حتى يبليه الزمان وتهبّ به الرياح .

وإذا رأوْا إنساناً(٦) له حركة ومعرفة بالأشياء ، قالوا : « هذا حقه

---

(١) المقطع السابق ، أغفله ياقوت . وهنا اختصر الجملة .

(٢) في ياقوت : « في دار أحدهم » .

(٣) في ياقوت : « هذا موضع مغضوب عليه ، ولعله أصوب .

(٤) أقاده به : أي قتله قوداً ، والقود : القصاص وهذا المقطع كله ناقص في ياقوت ، وفي النسخة : «فتلوه» وهي تصحيف صوبناه .

(٥) في الأصل : « السبائح » ولعلها مصحفة عن « الشبائح » وهي عيدان معروضة في القتب

(٦) عاد ياقوت إلى نقل ما في ابن فضلان وفيه : « رأوا رجلاً » .

أن يخدم[1] ربنـــا » ، فأخذوه وجعلوا في عنقه حبـــلاً وعلّقوه في شجرة حتى يتقطّع[2] .

ولقد حدّثني[3] ترجمانُ الملك أنّ سِنْدياً سقط إلى ذلك البلد ، فأقام عند الملك برهة من الزّمان يخدمه ، وكان خفيفاً فهماً . فأراد جماعة منهم الخروج في تجارة[4] لهم || فاستأذن السّنديُّ الملكَ في الخروج معهم ، فنهاه [٢٠٧ظ] عن ذلك ، وألحّ عليه حتى أَذِن له ، فخرَج معهم في سفينة فرأوه حركا كيّساً فتآمروا[5] بينهم ، وقالوا : « هذا يصلح لخدمة ربّنا ، فنوجّهُ[6] به إليه » ، واجتازوا في طريقهم بغَيْضَة فأخرجوه إليها ، وجعلوا في عنقه حبلاً وشدّوه في رأس شجرةٍ عالية ، وتركوه ومضوا .

* * *

١٨

وإذا كانوا يسيرون[7] في طريقٍ فـــأراد أحدُهم البولَ ، فبال وعليه

---

(١) في نسختنا : « أن يكون يخدم ربنا » – وفي ياقوت : « أن يخدم ربنا » احذفنا « يكون » وبدونها اتم الجملة من غير تكلف .
(٢) في نسختنا : « ينقطع » – وفي ياقوت : « يتقطع » وهي أصوب .
(٣) هذا المقطع ناقص كذلك في ياقوت .
(٤) في الأصل المجازة وهي الطريق إذا قطع من أحد جانبيه إلى الآخر ، وقيل هو الأرض الكثيرة الجوز ، ومجازة النهر : الجسر – ويقترح ريتر أن تكون اللفظة هنا « في تجارة » .
(٥) في الأصل : « فتوامروا » .
(٦) في الأصل : « فتوجه به » ولعل صوابها : « فنوجه » أو « فنتوجه » .
(٧) عاد ياقوت إلى نقل ما في ابن فضلان .

سلاحه انتهبوه ، وأخذوا [سلاحه] وثيابه [١] ، وجميع ما معه ، وهذا رسمٌ لهم . ومن حَطَّ عنه سلاحَه وجعله ناحيةً وبال لم يعرضوا [٢] له .

وينزلُ الرجالُ والنساءُ إلى النَّهر فيغتسلون جميعاً عراة لا يستتر بعضُهم من بعض [٣] ، ولا يزنون بوجهٍ ولا سبب . ومن زنا منهم كائناً مَنْ كان ضربوا له أربع سكك ، وشدّوا يديه ورجليه إليها وقطّعوا بالفأس من رقبته إلى فخذيه [٤] ، وكذلك يفعلون بالمرأة أيضاً . ثم يعلق كل قطعة منه [٥] ومنها على شجرة .

وما زلت أجتهدُ [٦] أن يستتر النساء من الرجال [في السباحة] [٧] فما استوى لي ذلك . ويقتلون السارق كما يقتلون الزاني [٨] .

وفي غياضهم عسل كثير في مساكن النّحل يعرفونها فيخرجون لطلب ذلك . فربّما وقع عليهم قوم من أعدائهم فقتلوهم . وفيهم تجّار كثيرٌ يخرجون

---

(١) في ياقوت : « وأخذوا سلاحه » ولعلها أصوب فأضفناها – وفي وليدي يزيد : « وحلوا ذلك على جهله وقلة درايته » .

(٢) في ياقوت : « لم يتعرضوا له » وفي وليدي : « وبال حلوا ذلك على درايته ومعرفته ولم يتعرضوا له » .

(٣) في نسختنا : « بعضهم بعضاً » – وفي ياقوت : « بعضهم من بعض » فأخذنا برواية ياقوت .

(٤) في ياقوت : « إلى فخذه » .

(٥) في نسختنا : « منهم ومنها » ؛ وفي ياقوت : « منه ومنها » وهي أصوب فأخذنا بها .

(٦) في ياقوت : « قال ؛ ولقد اجتهدت أن تستتر النساء » .

(٧) أضفناها من ياقوت للسياق .

(٧) هنا يقف ياقوت عن النقل ويقول : « ولهم أخبار اقتصرنا على هذا » .

إلى أرض الترك فيجلبون الغنم ، وإلى بلد يقال له « ويسو »[١] فيجلبون السمّور والثعلب الأسود .

ورأينا فيهم أهلَ بيت[٢] يكونون خمسة آلاف نفس من امرأة ورجل قد أسلموا كلهم ، يُعرفون بالبرنجار[٣] ، وقد بنوا لهم مسجداً مِنْ خشب يصلون فيه ، ولا يعرفون القراءة ، فعلمت جماعة ما يصلّون به .

ولقد أسلم على يديّ رجلٌ يُقال له « طالوت » فأسميتُه « عبدَ الله » فقال : « أريد أن تسميني باسمك محمداً[٤] » ، ففعلتُ . وأسلمت امرأته وأمه وأولاده ، فسمّوا كلهم « محمداً » . وعلّمتُه : ﴿ الحَمْدُ لله ﴾[٥] و ﴿ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَد ﴾[٦] فكان فرحُه بهاتين السورتين أكثرَ من فرحه إن[٧] صار ملك الصّقالبة .

وكنّا لما وافينا || الملك وجدناه نازلاً على ماءٍ يُقال له « خلجة »[٨] [٢٠٨و]

---

(١) عاقنا على هذه الكلمة بما فيه الكفاية في حاشية الورقة ٢٠٦ و .
(٢) كذا في الأصل ، ولعله يريد أهل عشيرة أو قبيلة .
(٣) كذا في الأصل ، ولعله يقصد « المونغول » .
(٤) تحدثنا في المقدمة عن هذه الكلمة ، فالمؤلف اسمه أحمد بن فضلان لا « محمد بن فضلان » وقلنا مافيه الكفاية هناك .
(٥) سورة الفاتحة .
(٦) سورة الاخلاص .
(٧) في الأصل : « إلى صار » وهو تصحيف ، ولعله : « إن صار » أو « إذا صار له ملك الصقالبة » .
(٨) في الأصل : « على ما يقال له خلجة » ولعلها ماء كما يأتي بعد ولم نستطيع أن نجد الموضع في معاجم البلدان ، فلعلها مصحفة عن « خلخية » كما ذكرها ابن الوردي في خريدة العجائب ٨٩ (طبعة مصر ١٩٣٩) - أو هي خليج من مدن الخزر كما في نخبة الدهر ٢٦٣ .

وهي ثلاثُ[١] بحيرات ، منها اثنتان كبيرتان وواحدة صغيرة ، إلاّ أنه[٢] ليس في جميعها شيء يُلْحَقُ غورُه . وبين هذا الموضع وبين نهر لهم عظيم يصبُّ إلى بلاد الخزر يقال له « نهر إتل » نحو الفرسخ[٣] . وعلى هذا النهر موضع سوق تقوم في كلّ مديدة ، ويباع فيها المتاع الكثير النفيس .

* * *

١٩

وكان « تكين » حدّثني أنَّ في بلد الملك رجلاً[٤] عظيم الخلق جداً . فلما صرتُ[٥] إلى البلد سألتُ الملك عنه ، فقال : نعم ، قد كان في بلدنا ومات ، ولم يكن من أهل البلد ولا من الناس أيضاً . وكان من خبره أن قوماً من التجار خرجوا إلى « نهر إتل » [وهو نهر بيننا وبينه يوم واحد][٦] كما يخرجون . وهذا النهرُ قد مدّ وطغى[٧] ماؤه فلم أشعر

---

(١) في نسختنا : « ثلاثة بحيرات منها اثنتان كبار » فصوبناها .

(٢) في نسختنا : « إلا ان ليس » فاضفنا الهاء إلى « أن » .

(٣) تكلمنا عن نهر اتل في تعليقاتنا السابقة . وفي الأصل هنا : « نحو الفرس » وهي سهو من الناسخ أصلها : « نحو الفرسخ » كما أن الناسخ يخطيء دائماً في رسم اتل فيجعلها (آتل) .

(٤) هنا يرجع ياقوت إلى النقل عن ابن فضلان في صدد تعريفه لنهر اتل ، فيقول : ١ / ١٢٢ : « بلغني أن فيها رجلاً عظيم » .

(٥) في ياقوت : « فلما سرت إلى الملك سألته عنه » .

(٦) أضفناها من ياقوت .

(٧) في نسختنا : « وطفا ماؤه » وفي ياقوت : « وطغى ماؤه » وهي أصوب فأخذنا بها .

أُخَر . والسَّدُّ[1] أيضاً قد حال بينهم وبين الباب الذي كانوا يخرجون منه ، فإذا أَراد اللهُ — عز وجل — أَن يُخرجهم[2] إلى العمارات سَبَّب لهم فتحَ السَّدِّ ونضبَ البحرُ وانقطع عنهم السمك .

قــــال :

فسأَلتُه عن الرّجل[3] ، فقال : أَقامَ عندي مدّة فلم يكن ينظر إليه صبي إلاّ مات ، ولا حامل إلاّ طرحت حَمْلَها . وكان إنْ تمكَّن من إنسان عَصَرَه بيديْهِ حتى يقتله . فلما رأَيتُ ذلك علّقْتُهُ في شجرةٍ عاليةٍ حتى مات . إنْ أَردت أَن تنظر إلى عظامه ورأْسِه مضيتُ معك حتى تنظر إليهـــا . فقلتُ : « أنا واللهِ أُحب ذاك فركب معي إلى غيضة كبيرة فيها شجر عظام فتقدّمني[4] إلى شجرة[5] [سقطت عظامه] ورأْسه تحتها ، فرأَيتُ رأْسه مثل

---

(١) انظر خبر السدّ في ياقوت ٣ / ٥٣ .

(٢) في ياقوت : « فاذا أراد الله اخراجهم انقطع السمك عنهم ونضب البحر وانفتح السد » .

(٣) هنا تخالف رواية ياقوت ، فلعله شاء أن يوجز في الحكاية فقال : « ثم قال الملك وأقام الرجل عندي مدة ثم علقت به علة في نحره فمات بها » وهو بذلك يناقض رواية ابن فضلان في موته . فيجعل وفاته بالعلة ، ولا يقص علينا مافي الرسالة من أخباره في الهول والفزع ، كأنه لايصدقها . وسبب ذلك ماوقع من تصحيف في النسخة التي نقل عنها ياقوت ، فيما نظن ، فان كلمة : « شجرة عالية » قد تحرفت إلى « نحره علة » وقد وقع في بعض مخطوطات معجم البلدان لياقوت : « علة في منخره » وكلها تصحيف ، وأصوبها ماجاء في نسختنا .

(٤) في نسختنا : « فقذاني » ولعلها « فقدّمني » أو « تقدّمني » .

(٥) وقع هنا بياض ، فرأي بعضهم أن يكون « جثته فوقها » — وفي طبعة وليدي قال انه رأى ورقة مطموسة الحروف ملصقة بالأصل فنقلها وهي : « شجرة سقطت عظامه ورأسه » .

القفير[١] الكبير ، وإذا أضلاعُه أكبرُ [من] عراجين[٢] النّخل ، وكذلك عظامُ ساقيه وذراعيْه ، فتعجبت[٣] منه ، وانصرفتُ .

* * *

٢٠

قـــــال :

وارتحل الملك من الماء الذي يسمى « خلجه »[٤] ، إلى نهر يقـــال له « جاوشيز » ، فأقام به شهريْن ، ثم أراد الرّحيل فبعث إلى قوم يقـــال لهم « سواز »[٥] يأمرُهم بالرّحيل معه ، فأبوا عليه ، وافترقوا فرقتيْن ، فرقة مع ختنه[٦] ، وكان قد تملّك عليهم ، واسمه « ويرغ »[٧] . فبعث إليهم الملك ، وقال : « إنَّ الله — عز وجل — قد منّ عليّ بالإسلام[٨] وبدولة

---

(١) القفير : خلية النحل .

(٢) عراجين : جمع عرجون ، وهو أصل العذق الذي يعوج وتقطع منه الشماريخ فيبقى على النخل يابساً .

(٣) اختصر ياقوت في وصف مارأى ابن فضلان من عظام الرجل ، فروى : « وخرجت فرأيت عظـــامه فكانت هائلة جداً » وذلك لأنه لا يصدق مثل هذا ، وقد صرح قائلاً بعد الرواية : « قال المؤلف : هذا وأمثاله هو الذي قدمت البراءة منه ولم أضمن صحته » .

(٤) مرت بنا هذه الكلمة ، وحرنا في تعليقنا عليها فلم نستطع معرفة المكان ، ومثلها « نهر جاوشير » وهو نهر وصفه ابن فضلان في الصفحة التالية ولعله فرع من نهر الكاما كما في كانار ص ١١٠ .

(٥) في الأصل « سوان » ويرى بعض المستشرقين أن تكون « سوار » .

(٦) هذه العبارة غامضة ، ورأى بعض المستشرقين أن تكون : « مع خمسة » وفي وليدي : « مع ختنه » فأخذنا بروايته .

(٧) الاسم غامض لم نهتد اليه في المصادر .

(٨) حام المستشرقون حول اسلام ملك الصقالبة وزمانه . والمسعودي ٢ / ١٦ يروي أن ابن ملك البلغـــار الصقالبة حج قبل عام ٣٢٠ ، ومرّ ببغداد ، واكرمه القوم فيها . فهل كان هذا بتأثير ابن فضلان ؟

أمير المؤمنين ، فأنا عبده ، وهذه الأ [مة] [1] قد قلّدتني [فمن] [2] خالفني لقيتُه بالسّيف . وكانت الفرقةُ الأخرى مع ملك من قبيلة يُعرف بملك [3] اسكل ، وكان في طاعته ، إلاّ أنه لم يكن داخلاً [4] في الإسلام .

فلما وجّه إليهم هذه الرسالة خافوا ناحيته ، فرحلوا بأجمعهم معه إلى « نهر جاوشيز » وهو نهر قليل العرض ، يكون عرضه خمسة أذرع ، وماؤُه إلى السُّرة ، وفيه مواضع إلى الترقوة [5] ، وأكثره قامة . وحوله شجر [6] كثير من الشّجر الخدنك وغيره .

وبالقرب منه صحراء واسعة يذكرون أنّ بها حيواناً دون الجمل في الكبر ، وفوق الثور ، رأسه رأس جمل ، وذنبه ذنب ثَور || وبدنه بدن [٢٠٩و] بَغْل ، وحوافرُه مثل أظلاف الثّوْر ، له في وسط رأسه قرنٌ واحد غليظ مستدير ، كلما ارتفع دَقّ حتى يصير مثل سِنان الرُّمح ، فمنه ما يكون طوله خمسةَ أذرع إلى ثلاثة أذرع إلى أكثر وأقل ، يرتعي ورقَ الشجر ،

---

(١) ضاع أكثر الكلمة فأكملناها كما تراءى لنا ، وهي ناقصة في ياقوت ، وفي طبعة وليدي : « قد قلدتني » فأخذنا بها وفي كانار ص ١١١ : « وهذا الأمر قد قلدنيه »

(٢) بياض ملأناه للسياق .

(٣) طمس أكثر الكلمة ولكن من السهل ردها – وجاء ثانية في الورقة ٢٠٩ ظ ، وقال ابن فضلان إن هذا الملك تحت يد ملك الصقالبة . وكانت الكلمة : « تعرف » فجعلناها « يعرف » .

(٤) في الأصل : « لم يكن داخل » وهو خطأ نحوي من أخطاء الناسخ .

(٥) الترقوة : العظم الذي بين ثغرة النحر والعاتق ؛ جمعها التراقي والترايق .

(٦) هنا طمس في المخطوطة ، رسمه وليدي بقوله : « ينبت كثير » – ولكننا تركناه فاستقامت الجملة بدونه .

جيّد الخضرة[١] . إذا رأى الفارس قصدَه ، فإنْ كان تحته جواد أمن[٢] منه بجهد ، وإن لحقه أخذه من ظهر دابته بقرنه ، ثم زجّ به في الهواء ، واستقبله بقرنه[٣] ، فلا يزالُ كذلك حتى يقتله . ولا يعرض للدّابة بوجهٍ ولا سببٍ ، وهم يطلبونه في الصحراء والغياض حتى يقتلوه[٤] . وذلك أنهم[٥] يصعدون الشجرَ العالية التي يكون بينها[٦] ، ويجتمع لذلك عدة من الرماة بالسّهام المسمومة فإذا توسّطهم رموه حتى يُثخنوه ويقتلوه[٧] .

ولقد رأيتُ عند الملك ثلاث[٨] طيفوريات كبار تُشبه الجزع[٩] اليماني عرفني أنّها معمولةٌ من أصل قرن هذا الحيوان . وذكر بعضُ أهل البلد أنه الكَرْكَدَنّ .

* * *

(١) في الأصل : « جيد الخضر » .

(٢) في الأصل : « أمنت » والمقصود هو الرجل فيما نرى .

(٣) هذا هو الحيوان المعروف بوحيد القرن وهو الكركدن اشتهر وجوده في الهند له جثة الفيل وخلقة الثور ذو حافر على رأسه قرن واحد ، كما يقول بعد قليل .

(٤) في النسخة : « حتى يقتلونه » وهو خطأ من الناسخ صوبناه .

(٥) في الأصل : « أنه » ولعل صوابها كما رسمنا .

(٦) في الاصل : « الشجر العالية التي يكون بينها » — وفي وليدي : « تكون بينه » .

(٧) في النسخة : « حتى يثخنونه ويقتلونه » وهو كذلك خطأ من الناسخ في النحو صوبناه .

(٨) في الأصل : « ثلاثة طيفوريات » فأصلحنا العدد . والطيفورية : صحن أو طبق عميق ، كما في تكملة معاجم العرب لدوزي ٢ / ٤٨ ، وفي ابن بطوطة ٢ / ٣٩١ : « وبين أيديهن طيافير الذهب » .

(٩) في الأصل « الجزع » ويرى بعض المستشرقين أن تكون : الخرز اليماني .

٢١

قـــال :

وما رأيتُ منهم إنساناً يحمرّ ، بل[١] أكثرهم معلولٌ . وربما يموت أكثرهم بالقولنج[٢] ، حتى أنّه ليكون بالطفل الرضيع منهم . وإذا مات المسلم عندهم أو زوجُ المرأة[٣] الخوارزمية غسلوه غسل المسلمين ، ثم حملوه على عجلةٍ تجره ، وبين يديه مطرد[٤] حتى يصيروا[٥] به إلى المكان الذي يدفنونه فيه . فإذا صار إليه أخذوه عن العَجَلة[٦] وجعلوه على الأرض ، ثمّ خطّوا حوله خطّاً ، ونحّوْه ، ثم حفروا داخلَ ذلك الخط قبره ، وجعلوا له لحـداً ، ودفنوه . وكذلك يفعلون بموتاهم .

ولا تبكي النساء على الميت ، بل[٧] الرجال منهم يبكون عليه ، يجيئون[٨]

---

(١) في النسخة : « بلى » ولعلها : « بل » .

(٢) القولنج : بضم القاف أو فتحها ، مرض مشهور معوي منسوب إلى المعى ، مؤلم جداً ، يعسر معه خروج الثفل والريح .

(٣) في النسخة : « وإذا امرأة الخوارزمية وغسلوه » فجعلنا العبارة كما ترى ، وأضفنا كلمة زوج ، وحذفنا الواو قبل غسلوه .

(٤) في النسخة : « وبين بين يحطرد » بغير نقط وهي غامضة ، فلعلها « بين اثنين » وقد اخترنا أن تكون يديه بدلاً من بين . وقد شرحنا المطرد قبل هذا ، ولم نهتد الى معنى العبارة مع ذلك .

(٥) في الأصل : « حتى يصيرون » فحذفنا النون .

(٦) في النسخة : « عن النخلة » وهي تصحيف من الناسخ ، فقد ورد ذكر العجلة التي حمل عليها قبل قليل .

(٧) في النسخة : « بلى » وهي « بل » أخطأ فيها كما أخطأ في السطور السابقة .

(٨) في النسخة : « بجوز » وهي لاشك مصحفة ولعلها : « يجيئون » .

في اليوم الذي مات فيه ، فيقفون على باب قبته فيضجّون بأقبح بكاء يكون وأوحشه .

هؤلاء للأحرار ؛[1] فإذا انقضى بكاؤهم وافى العبيد ومعهم جلود مضفورة فلا يزالون يبكون ويضربون جنوبهم[2] وما ظهر من أبدانهم بتلك السّيور[3] ، حتى تصير في أجسادهم مثل ضرب السّوط ، ولا بدّ من أن ينصبوا[4] || بباب[5] قبته [٢٠٩ظ] مِطرداً ، ويُحضروا سلاحَه فيجعلونها حول قبره ولا يقطعون البكاء سنتين .

فإذا انقضت السنتان[6] حطّوا المِطرد ، وأُخذوا[7] من شعورهم ، ودعا أقرباء الميت دعوة يُعرف بها خروجُهم من الحُزن ، وإن كانت له زوجة تزوّجت . هذا إذا كان من الرؤساء . فأمّا العامّة فيفعلون بعض هذا بموتاهم .

---

(١) في النسخة : « هؤلاء للأحرار » ولعل صوابها « هؤلاء الأحرار » أو « هؤلاءهم الأحرار » أو « هذا للأحرار » .

(٢) الجنوب : جمع جنب وهو شق الانسان .

(٣) في النسخة : « تلك السمور » وقد رأى المستشرقون أن تكون : « بتلك السمور » وهي محرفة في نظرهم عن السمامير ولكننا نرى أنها مصحّفة عن « السيور » والسير قدّة من الجلد مستطيلة. جمعها سيور وقد يجمع على أسيار ، وما تزال في لغة العامة إلى اليوم ، فهي أصوب وأصح للسياق .

(٤) في النسخة : « أن ينصبون » وهي برهان من ألف برهان على أخطاء الناسخ في النحو وضعفه فيه .

(٥) في النسخة : « باب قبته » فأضفنا باء الجر . والمطرد : العلم كما شرحنا .

(٦) في النسخة : « السنتين » وهو خطأ من الناسخ صوبناه .

(٧) أخذوا من شعورهم : أي قصوها ، يقال أخذ من شاربه ومن شعره إذا قصه . واطالة الشعر للحزن عندهم على عكس العرب ، فهم إذا اطالوا الشعر فللفرح . وأبو فراس الحمداني في ديوانه ، كما طبعناه بتحقيقنا حين يرثي امه ينكر إطالة الشعر بعد موتها ـ انظر الديوان ٢ / ٢١٧ .

وعلى ملك الصّقالبة ضَريبةٌ يؤدّيها إلى ملك الخزر من كلّ بَيْت في مملكته جلد سمّور[١] .

وإذا قدِمت السّفينة من بلد الخزر إلى بلد الصّقالبة ركب الملك فأحصى ما فيها ، وأخذ من جميع ذلك العشر . وإذا قدِم الرّوسُ أو غيرُهم من سائر الأجناس برقيق فللملك[٢] أن يختار من كلّ عشرة أرؤس رأساً .

وابن ملك الصقالبة رهينة عند ملك الخزر . وقد كان اتّصل بملك الخزر عن ابنةِ[٣] ملك الصّقالبة جمال فوجه يخطبها ، فاحتجّ عليه ، وردّه ، فبعث وأخذها غصباً ، وهو يهوديّ ، وهي مسلمة ، فماتت عنده ، فوجّه يطلب بنتاً[٤] له أُخرى . فساعة اتّصل ذلك بملك الصقالبة بادر فزوجها لملك « اسكل » ، وهو مِنْ تحت يده خيفةَ[٥] أَن يغتصبه إياها كما فعل بأختها . وإنما[٦] دعا ملك الصّقالبة أن يكاتب السلطان ويسأله أن يبني له حصناً خوفاً من ملك الخزر .

* * *

(١) شرحنا في الصفحات السابقة هذه الكلمة .

(٢) في النسخة : « فالملك » وصوابها مارسمنا للسياق .

(٣) في النسخة : « عن ابنته ملك » وهي خطأ من الناسخ صوبناه .

(٤) هنا يقترح أحد المستشرقين أن تكون : « مسألة أخرى » ولا نرى وجهاً لتبديل الكلمة فهي صحيحة في النسخة والسياق يفسرها ، فقد ماتت البنت الأولى فطلب الأخرى ، ولكنه بادر فزوجها .

(٥) في النسخة : « وخيفة » فحذفنا الواو ، لأنه بدونها يحسن السياق .

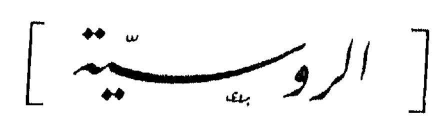
(٦) لعلها : « وهذا ما دعا » – وسنرى في الكلام على الخزر أن ملكهم يأخذ من بنات الملوك الذين يحاذونه ما يشتهي طوعاً أو كرهاً ، وعنده خمس وعشرون امرأة ؛ فهي عادته مع كل جيرانه لامع الصقالبة وحدهم .

قـــال :

وسألتُه يوماً فقلتُ له : « مملكتك واسعة ، وأموالك جمّة وخراجك كثير ، فلم سألتَ السلطان أن يبني حصناً بمالٍ من عنده لا مقدار له » ؟ فقال : « رأيتُ دولةَ الإسلام [1] مقبِلةً ، وأموالهم يؤخذ من حلّها [2] ، فالتمستُ ذلك لهذه العلّة ، ولو أني أردتُ أن أبني حِصْناً من أموالي من فضّةٍ أو ذهبٍ لما تعذّر ذلك عليّ . وإنّما تبرّكتُ بمال أمير المؤمنين ، فسألتُه ذلك» .

---

(١) في الأصل طمس بقي منه « الاسلا » فرأينا أن تكون « الاسلام » - وفي وليدي : « الأمراء »
(٢) في الأصل : « من حلها » فرأى أحد المستشرقين أن تكون من كلمة « حلّ وربط » وهي من باب الأموال العامة ولكننا نرى أن تكون بمعنى حلال ضد الحرام ، والسياق بعد ذلك يدل على المعنى .


[الروسيّة]



٢١

قــــال :

ورأيتُ الرّوسية[١] وقد وافوا في تجاراتهم، ونزلوا على « نهر إتل[٢] » فلم أرَ أتمّ أبداناً منهم كأنهم النخْل[٣]، شقر حمر[٤] لا يلبسون القراطق ولا الخفاتين [ولكن يلبس][٥] الرجل منهم كساءً يشتمل به على أحد شقّيه، ويخرج إحدى يديه منه. ومع || كلّ واحد منهم فأس وسيف وسكّين لا يفارقه جميع ما ذكرنا. [٢١٠ر]

وسيوفهم صفائح مُشَطّبة[٦] أفرنجية. ومن [حَدّ][٧] ظُفرِ الواحد

---

(١) هنا يبدأ ياقوت من جديد في النقل عن ابن فضلان، مادة « روس » بمعجمه ٢ / ٨٣٤، وقد أورد أقوال المقدسي، وغيره، ثم اتبعه بما عندنا في النسخة. وقد نشر هذا القسم كما قلنا المستشرق فرهن سنة ١٨٢٣ وسنفيد من تعليقاته المطولة بالألمانية. ويقول ياقوت انهم مئة ألف انسان عن المقدسي.

(٢) يقول الادريسي إنّه المعروف بنهر الرسّ، وقد علقنا في الحواشي عن موقعه وقابلنا ماجاء عنه في معجم البلدان لياقوت.

(٣) وفي أمثال الميداني عن الاجسام: «ترى الفتيان كالنخل».

(٤) ينقل فرهن عن أخبار الدول لأبي العباس الدمشقي، مخطوطة في وصف الروس: « وهم بيض شقر » ويقول العرب غالباً عن البيض انهم شقر، وفي نخبة الدهر: « وفي هذا الاقليم الترك والخزر والفرنج والأرمنية وباشغرد ومن سامتهم، وهؤلاء يسمون الشقر ».

(٥) بياض في الأصل أخذناه عن ياقوت، والقراطق والخفاتين مرّ شرحها بالورقة ١٩٩ و

(٦) الشطبة: طريقة السيف، أي الواحدة من الخطوط التي في نصله جمعها شطب.

(٧) الكلمة مطموسة أخذناها عن ياقوت – وقد علق فرهن على هذه الجملة مطولاً (ص ٧٦) فنقل إلينا ترجمة المستشرق ده ساسي، بما خلاصته أن الواحد منهم من ظفر رجله إلى رقبته صور تمثل الأشجار والاشكال، أي أن أجسامهم طبعت عليها الصور من أخمص القدم إلى الرأس مثل الاوشمة كما يقول القدماء – وفي قصة ألف ليلة وليلة قريب من هذا المعنى هذه عبارته: « ثم أعرته، وركبت النقش على يديه من ظفره إلى كتفه، ومن مشط رجليه إلى فخذيه، وكتبت سائر جسده، فصار كأنه ورد أحمر على صفائح المرمر » – انظر الطبعة الروسية في الصفحة ١٣٢، وفيها يقترح أحد المستشرقين أن تكون: « مخضر شجر ».

منهم إلى عنقه مخضر شجرٍ وصور ، وغير ذلك .

وكلّ امرأة منهم فعلى ثديها حُقّة[١] مشدودة إما من حديد وإمّا من فضة ، وإما نحاس ، وإمّا ذهب ، على قدر مال زوجها ومقداره . وفي كل حُقّة حلقةٌ فيها سكّين مشدودة على الثّدى أيضاً . وفي أعناقهنّ[٢] أطواق من ذهب وفضة ؛ لأنّ الرجل إذا ملك عشرة آلاف درهم ، صاغ لامرأته طوقاً ، وإنْ مَلَك عشرين ألفاً صاغ لها طوقين ، وكذلك كلّ[٣] عشرة آلاف يزدادها يزداد طوقاً لامرأته . فربّما[٤] كان في عنق الواحدة منهن الأطواق الكثيرة .

وأجلّ الحليّ عندهم الخرز[٥] الأخضر من الخزف الذي يكون على السفن

---

(١) في نسختنا : «حلقة» — وفي ياقوت : « حقة » . والحقة (بالضم) وعاء من الخشب ، وقد تسوى من العاج ، وقد ذكرها عمرو بن كلثوم في معلقته فقال : « وثدياً مثل حق العاج رخصاً » . وابن فضلان يكرر الكلمة ثانية صحيحة فيقول « حقة » لذلك صوبناها .

(٢) في نسختنا « وفي أعناقهم » وصوابها ما في ياقوت : « وفي اعناقهنّ » . وتحدث المستشرق فرەن ص ٧٨ عن الذهب والفضة ووصولها إلى روسية وضرب العملة ، وكلامه هام يجدر الرجوع إليه لمعرفة تبادل الدراهم والعملة أيام العباسيين لذلك الزمان ، وما وجد منها في المتاحف .

(٣) الجملة في ياقوت : « وكلما زاد عشرة آلاف درهم يزيد لها طوقاً آخر » .

(٤) غامضة في نسختنا أخذناها من ياقوت .

(٥) الخرز ماينظم في السلك من الجذع والودع ، أو من فصوص الحجارة الكريمة ، والخرزات جواهر التاج ، وفي القاموس : « خرزات الملك جواهر تاجه ، كان الملك إذا ملك عاماً زيدت في تاجه خرزة ليعلم سني ملكه » — انظر تعليقات فرەن ٨٦ — ٩١ عن الكتب في الخرز ومواقع وجوده وقد شرح الخزف بأنه كل ماعمل من طين وشوى بالنار حتى يكون فخاراً ، ثم أورد ترجمة المستشرقين لهذه الجملة بما يخص السفن ، وأحال إلى كتب الرحلة عن الفرس وأرمينية ، ورأى أن تكون الخزف مصحفة عن « الخرز » .

يبالغون[1] فيه ، ويشترون الخرزة بدرهم ، وينظمونه[2] عقوداً لنسائهم . وهم أقذر خلق الله لا يستنجون من غائط ولا بول ، ولا يغتسلون من جنابة ، ولا يغسلون أيديهم من الطعام ، بل هم كالحمير الضّالّة ، يجيئون[3] من بلدهم فيُرسون سفنَهم بإتل ، وهو [نهر][4] كبير ، ويبنون على شَطّه[5] بيوتاً كباراً من الخشب .

ويجتمع في البيت الواحد العشرة والعشرون والأقل والأكثر . ولكلّ واحد سرير[6] يجلس عليه ، ومعهم الجواري[7] الرّوقة للتجار ، فينكح الواحد جاريته ، ورفيقه ينظر إليه . وربّما اجتمعت الجماعة منهم على هذه الحال بعضهم بحذاء بعض . [وربّما][8] يدخل التاجر [عليهم][9] ليشتري من بعضهم جارية فيصادفه ينكحها فلا يزول عنها حتى[10] يقضي أربه .

---

(١) في نسختنا : « يبايمون فيه » - وفي ياقوت : « يبالغون فيه » وهي أصوب ، ولعل الذي ساق الناسخ إلى هذا هو وجود كلمة الشراء بعدها .

(٢) في نسختنا : « وينظمون » ، وفي ياقوت : « وينظمونه عقـداً لنسائهم » - وفي طبعة فرهن عن المخطوطات : « وينظمون عقد النسابهم » وهو تصحيف .

(٣) في نسختنا « بجوز » وهي « يجيئون » كما في ياقوت ، والناسخ يصحفها دائماً على هذا الشكل .

(٤) بياض أكملناه من ياقوت .

(٥) في ياقوت : « شاطئه » .

(٦) السرير : المقعد ، أو الديوان ، أو الصفّة - انظر فرهن ٩٣ .

(٧) في نسختنا : « الجوار روقة » - وفي ياقوت : « ومعه جواريه الروقة » فصوبناها - والجواري الروقة : هنّ الجواري الجميلات يرقن للناس .

(٨) ناقصة أخذناها عن ياقوت وحذفنا الواو قبل « يدخل » .

(٩) أخذناها من ياقوت للسياق .

(١٠) في نسختنا : « أو يمض أربه » وهي مصحفة - وفي ياقوت : « حتى يقضي أربه »

ولا بد لهم في كلّ يوم من غسل وجوههم ورؤوسهم بأقذر ماءٍ يكون[(١)] وأطفسه . وذلك أن الجارية توافي كل يوم بالغداة ، ومعها قصعة[(٢)] كبيرة فيها ماء ، فتدفعها إلى مولاها فيغسل[(٣)] فيها يديه ووجهه ، [وشعر رأسه فيغسله][(٤)] ويسرّحه بالمشط في القصعة ، ثم يمتخط ويبصق فيها ، ولا [يدع شيئاً من القذر إلا فعله][(٥)] || في ذلك الماء . فإذا فرغ مما يحتاج إليه حملت الجارية القصعة إلى الذي[(٦)] إلى جانبه ففعل مثل فعل صاحبه ، ولا تزال ترفعها من واحد إلى واحد حتى تديرها على جميع من في البيت . وكلّ واحد منهم يمتخط ويبصق [فيها][(٧)] ويغسل وجهه وشعره فيها .

[٢١٠ظ]

* * *

وساعة توافي[(٨)] سفنهم إلى هذا المرسى يخرج[(٩)] كلٌّ واحد منهم

---

(١) في نسختنا : « بأقذر مايكون » - ولعلها : « بأقذر ماء يكون » وليست في ياقوت لأنه اختصر الجملة وأوجز فيها ونحن نرى في هذا التعبير صورة لتعابيره المعروفة فهو يقول : « كأعظم رجل يكون » ، و « بأقبح بكاء يكون وأوحشه » وأما الطفس فهو القذر النجس .

(٢) في نسختنا : « ومعها غضمة » وهي مصحفة وصحيحها يأتي بعد قليل وفي ياقوت .

(٣) في نسختنا : « فيغتسل منها » - وفي ياقوت : « فيغسل فيها وجهه ويديه » .

(٤) بياض في نسختنا ملأناه عن ياقوت .

(٥) بياض في النسخة ملأناه عن ياقوت .

(٦) في ياقوت : « إلى الذي يليه فيفعل » .

(٧) أضفناها من ياقوت للسياق .

(٨) في نسختنا « وساعة توافي سفنهم » - وفي ياقوت : « وساعة موافاة سفنهم » فصوبنا كلمة « سفن » .

(٩) في نسختنا : « قد خرج » - في ياقوت : « يخرج » .

ومعه خبز ولحم وبصل ولبن ونبيذ(١) ، حتى يوافي خشبة طويلة منصوبة ؛ لها وجه يشبه وجه الإنسان ، وحولها صور صغار ؛ وخلف تلك الصّور خشب طوال ، قد نُصبت في الأرض ؛ فيوافي إلى الصورة الكبيرة ، ويسجد لها ، ثمّ يقول لها : « يا ربّ قد جئت من بلد(٢) بعيد ، ومعي من الجواري كذا وكذا رأساً ومن السمّور كذا وكذا جلداً » ، حتى يذكر جميعَ ما قدم(٣) معه من تجارته . [ثم يقول](٤) : « وجئتك بهذه الهديّة » — ثم يترك الذي معه بين يدي الخشبة — [ويقول](٥) : « أُريد أن ترزقني تاجراً معه دنانير ودراهم كثيرة فيشتري مني كلّ ما(٦) أريد ولا يخالفني فيما أقول » ؛ ثم ينصرف .

فإن تعسّر عليه بيعه وطالت أيامه ، عاد بهدية ثانية وثالثة ، فإن تعذّر(٧) ما يريد حمل إلى كلّ صورة من تلك الصور الصغار هديّة ،

---

(١) يعلق فرمن ص ٩٧ على نبيذ ، فينقل آراء زملائه ، بأنه قد يتخذ من التمر ، أو هو كما في رحلة عبد اللطيف البغدادي : « وشرابهم المرز وهو نبيذ يتخذ من القمح » .

(٢) في ياقوت : « من بعد » – وفي نسخة كوبنهاغ : « من بلد بعيد » ويبدو أن هذه المخطوطة من معجم ياقوت تتفق في كثير مع روايات نسختنا عن ابن فضلان . وهذا يدل على أن المعجم يجب أن يعاد طبعه على ضوء المخطوطات المتفرقة .

(٣) في طبعة فرمن لياقوت عن الروس : « جميع ماتقدم معه من تجارته » .

(٤) أضفناها عن ياقوت للسياق .

(٥) أضفناها كذلك عن ياقوت لتمام السياق ووضوحه . وحذفنا الفاء قبل فعل « أريد » لمتابعة ياقوت .

(٦) في نسختنا : « كما أريد » – وفي ياقوت : « كلما أريد » فصوبناها .

(٧) في ياقوت : « فان تعذر عليه » .

وسألها[1] الشفاعة ، وقال : « هؤلاء نساء ربّنا وبناته وبنوه[2] » ، فلا يزال يطلب[3] إلى صورة صورة يسألها ، ويستشفع بها ويتضرّع بين يديها ، فربّما تسهّل[4] له البيع فباع ، فيقول: « قد قضى ربي حاجتي ، وأحتاجُ أن أكافيه » . فيعمد إلى عدّة من الغنم أو البقر[5] فيقتلها ويتصدّق[6] ببعض اللّحم ، ويحمل الباقي فيطرحه بين [يَدَيْ][7] تلك الخشبة الكبيرة والصغار التي[8] حولها . ويعلّق رؤوس البقر أو الغنم على ذلك الخشب المنصوب في الأرض . فإذا كان الليل وافت الكلاب فأكلت جميع ذلك . فيقول[9] الذي فعله : « قد رضي ربّي عنّي وأكل هديتي » .

* * *

وإذا مرض منهم الواحد [ضربوا له خيمة][10] ناحية عنهم ، وطرحوه فيها ، وجعلوا معه شيئاً من الخبز والماء ، ولا يقربونه ولا يكلّمونه ، [بل

---

(١) في نسختنا : « وسألهم » - وفي ياقوت : « وسألها » .
(٢) ، (٣) كلمتان زائدتان هنا ، لانقمان في ياقوت .
(٤) في نسختنا : « يسهل » - وفي ياقوت : « تسهل » .
(٥) يزيد ياقوت : « على ذلك » .
(٦) في نسختنا : « ويصدق » - وفي ياقوت : « ويتصدّق » .
(٧) أضفناها من ياقوت .
(٨) في نسختنا : « الذين » - وفي ياقوت : « التي » .
(٩) في نسختنا : « ويقول » - وفي ياقوت : « فيقول » .
(١٠) بياض في نسختنا أكملناه من ياقوت .

لا يتعاهدونه][1] في كل أيام[2] مرضه لا سيّما إن كان ضعيفاً أو مملوكاً .
فإن برئ[3] وقام رجع إليهم ، وإنْ || مات أحرقوه ، فإنْ كان مملوكاً تركوه [٢١١و]
على حاله تأكله[4] الكلاب وجوارحُ الطير .

وإذا أصابوا سارقاً أو لصّاً جاءوا به إلى شجرة غليظة وشدّوا في عنقه حبلاً وثيقاً ، وعلّقوه [فيها ، ويبقى معلّقاً][5] حتى يتقطع [من المكث][6] بالرياح والأمطار .

* * *

٢٢

وكان يقال [لي][7] إنّهم يفعلون برؤسائهم عند الموت أموراً أقلّها الحرق . فكنت أحبّ أن أقف على ذلك ، حتى بلغني موتُ رجل منهم جليل ، فجعلوه في قبره ، وسقفوا[8] عليه عشرة أيام حتى فرغوا من قطع ثيابه وخياطتها .

---

(١) بياض كذلك في نسختنا ، أخذناه من ياقوت .
(٢) في ياقوت : « في كل أيام » ولعل كلمة سقطت بين كل وأيام ، مثل كلمة « ثلاثة » أو أن تكون « في كل أيام مرضه » كما في تعليقات المستشرق فرهن ص ١٠١ ، فأخذنا بها عن نسخة كوبنهاغ لياقوت.
(٣) في النسخة : « برأ »
(٤) في نسختنا « يأكله » - وفي ياقوت « تأكله » .
(٥) بياض ملأناه عن ياقوت .
(٦) اضافة أخذناها من ياقوت . وفي نسختنا « ينقطع بالرياح والأمطار » - وفي ياقوت : « حتى ينقطع من المكث اما بالرياح أو بالأمطار » .
(٧) الزيادة من ياقوت وفيه : « انهم كانوا يفعلون » .
(٨) في نسختنا : « وسقفوه » - وفي ياقوت : « وسقفوا » .

وذلك أن الرجل الفقير منهم يعملون له سفينة صغيرة ، ويجعلونه فيها ويحرقونها . والغنيّ يجمعون ماله ، ويجعلونه ثلاثة أثلاث . فثلث لأهله ، وثلث[1] يقطعون له به ثياباً ، وثلث ينبذون[2] به نبيذاً يشربونه يوم تَقتل جاريته نفسها ، وتُحرَق مع مولاها .

وهم مستهترون بالنبيذ[3] يشربونه ليلاً ونهاراً ، وربّما مات الواحد منهم والقدح في يده . وإذا مات الرئيس [منهم][4] قال أهله لجواريه وغلمانه : « مَن منكم يموت معه ؟ » فيقول بعضهم : « أنا » فإذا قال ذلك ، فقد وجب [عليه][5] لا يستوي له أن يرجع [أبداً][6] ، ولو أراد ذلك ما تُرك ، وأكثرُ مَن يفعل [هذا][7] الجواري .

* * *

فلما مات ذلك الرجلُ الّذي قدمت ذِكره قالوا لجواريه : « من يموت

---

(١) في نسختنا : « وثلثاً يقطعون ... وثلثا ينبذون » وهو خطأ فأصلحناه .

(٢) في ياقوت : « يشترون به نبيذاً » .

(٣) في ياقوت : « مستهترون بالخمر يشربونها » .

(٤) زيادة من ياقوت .

(٥) زيادة من ياقوت .

(٦) زيادة كذلك من ياقوت - وفي صدد الحرق يعلق ارمن هنا ص ١٠٥ على العبيد والغلمان فينقل عن شمس الدين الدمشقي بالورقة (١٣٣ و) قوله : « وهؤلاء يحرقون ملوكهم إذا ماتوا ويحرقون معهم عبيدهم وإماءهم ونساءهم ، ومن كان خاصاً بهم كالكاتب والوزير والنديم والطبيب » .

(٧) في نسختنا : « وأكثر من يفعل الجواري » - وفي ياقوت : « وأكثر مايفعل هذا الجواري » فأضفنا اسم الاشارة .

معه » ؟ فقالت[١] إحداهنّ : « أنا » . فوكّلوا بها جاريتين تحفظانها وتكونان معها حيث[٢] سلكتْ ، حتى أنهما ربما غسلتا[٣] رجليها بأيديهما . وأخذوا في شأنه وقطع الثياب له ، واصلاح ما يحتاج إليه . والجارية في كلّ يوم تشرب وتغنّي فرحة مستبشرة .

فلما كان[٤] اليوم الّذي يُحرق فيه هو والجارية ، حضرت إلى النهر [الّذي] فيه[٥] سفينته ، فإذا هي قد أُخرجت وجعل لها أربعة أركان من خشب الخدنك[٦] وغيره ، وجعل أيضاً حولها مثل الأنابير الكبار[٧] من الخشب ، ثم مُدّت حتى جعلت على ذلك الخشب . وأقبلوا يذهبون ويجيئون[٨] ويتكلمون [بكلام لا أفهم ، وهو بَعْدُ في قبره لم يُخرجوه][٩] . ثم جاءوا بسرير فجعلوه

---

(١) في نسختنا : « فقال » وهي خطأ .

(٢) في ياقوت : « حيث ماسلكت » .

(٣) في نسختنا : « غسلا رجليها » – وفي ياقوت : « غسلتا رجليها » وهي أصوب فأخذنا بها .

(٤) في نسختنا : « في اليوم » وحرف الجر زائد ، فحذفناه وهو لم يقع في ياقوت .

(٥) في نسختنا : « إلى النهر سفينته فيه » – وفي ياقوت : « الذي فيه سفينته » فأضفنا الذي وقدمنا حرف الجر وضميره .

(٦) في نسختنا : « من خشب الخدنك » - وفي ياقوت : « من خشب الخليج » - وفي طبعة فرهن للنص العربي : « من خشب الخانج » وهو يملق بالصفحة ١٠٨ تمليقات مطولة ، « والخلنج على وزن سمند شجر يكون بأطراف الهند ، وقيل يكثر في جرجان ، وتتخذ من خشبه الأواني ، فارسي معرب » – ولعله الخدنك نفسه – انظر الحضارة الاسلامية لمتز ٢ / ١٨٤ والنصوص العربية عند فرهن حيث يصف زهره وحبه ولونه ولون عوده .

(٧) في نسختنا : « مثل الأنابير الكبار » – وفي ياقوت : « مثل الاناس والكبار من الخشب » - والأنابير جمع انبار أو أنبير فارسية الأصل تعني فيما تعني الجسر الذي يوضع للسفينة .

(٨) في نسختنا : « ويجون » وهي مصحفة .

(٩) هنا بياض وطمس أذهب الكلمات وأبقى حروفاً قليلة ، فأكملناه من ياقوت .

على [السفينة وغشّوه بالمضرّبات الديبـاج الرومي][1] والمسـاند الديبـاج [الرومي] ، ثم[2] جاءت [امرأة عجوز يقولون لها][3] || ملك الموت ، ففرشت [٢١١ ظ] على السرير الفرش[4] التي ذكرنا . وهي وليت خياطته وإصلاحه ، وهي تقتل[5] الجواري ؛ ورأيتها جوان بيرة[6] ، ضخمة ، مكفهرّة .

فلما وافوا قبره نحّوا التراب عن الخشب ونحّوا الخشب ، واستخرجوه في الإزار الذي[7] مات فيه ، فرأيته قد اسودّ لبرد البلد ، وقد كانوا جعلوا معه في قبره نبيذاً وفاكهة وطنبوراً ، فأخرجوا جميع ذلك ، فإذا هو لم ينتن ولم يتغيّر[8] منه شيء غير لونه .

فألبسوه سراويل[9] ورانا وخفّاً[10] وقرطقاً وخفتان ديباج له أزرار

---

(١) بياض كذلك ملأناه من ياقوت - والمضربات : المساند - والديباج الرومي : ضرب من الثياب ، وقيل المنسوج من ألوان مختلفة ، فارسي معرب .

(٢) في نسختنا : « وجاءت » - وفي ياقوت : « ثم جاءت » .

(٣) بياض في نسختنا أكملناه من ياقوت .

(٤) في ياقوت : « ففرشت على السرير الذي ذكرناه » .

(٥) في ياقوت : وهي القبل » .

(٦) في نسختنا « جوان بيرة » - وفي ياقوت : « حواء نيرّة » وقد عالج المستشرقون هذه الكلمة ، فرأى اكثرهم انها فارسية تتركب من كلمتين (جوان وبيره) أي شابة عجوز ، وفي تكملة المعاجم لدوزي ١ / ٢٢٩ يرسمها « جوانبيره » ويقول انها بمعنى ساحرة أو تحترف صناعة السحر وهي الاهة الموت في الميتولوجيا .

(٧) في نسختنا : « الذين » وصوابها مارسمنا .

(٨) في نسختنا : « ولم تغيّير » وصوابه في ياقوت .

(٩) السراويل : هي الشلوار بالتركية ، وهو لباس قديم منذ سليمان النبي ، كما في السيوطي ، وقد مر بنا شرح الران على أنه نوع من الأحذية .

(١٠) الخف : واحد الخفاف التي تلبس في الرجل ، سمي كذلك لخفته .

ذهب ، وجعلوا على رأسه قلنسوة ديباج سمّورية[١] . وحملوه حتى أدخلوه القبّة التي على السفينة . وأجلسوه على المضرّبة وأسندوه[٢] بالمساند وجاءوا بالنبيذ والفاكهة والريحان فجعلوه معه .

وجاءوا بخبز ولحم وبصل فطرحوه بين يديه ، وجاؤا بكلب فقطعوه نصفين[٣] ، وألقوه في السفينة . ثم جاءوا بجميع[٤] سلاحه فجعلوه إلى جانبه ، ثم أخذوا دابّتين فأجروهما حتى عرقتا ، ثم قطّعوهما بالسيف وألقوا لحمهما في السفينة .

ثم جاءوا ببقرتين فقطّعوهما أيضاً وألقوهما فيهـــا . ثم أحضروا ديكاً ودجاجة فقتلوهما ، وطرحوهما فيها .

والجارية التي تريد [أن] تقتل[٥] ذاهبة وجائية تدخل قبة قبة من قبابهم ، فيجامعها صاحب[٦] القبة ، ويقول لها : « قولي لمولاك إنّما فعلتُ هذا من محبتك » .

* * *

(١) في ياقوت : « ديباج سمّور » .
(٢) في نسختنا : « وسندوه » – في ياقوت « وأسندوه » .
(٣) في نسختنا : « بنصيفين » وفي ياقوت : « نصفين » .
(٤) في نسختنا : « جمع سلاحه » .
(٥) في نسختنا : « تريد تقتل » – في ياقوت : « التي تقتل » – وفي مخطوطة كوبنهاغ لياقوت : « تريد أن تقتل » وهي قريبة من مخطوطتنا ، فأضفنا أن متابعة المخطوطة .
(٦) في ياقوت : « فيجامعها واحد واحد وكل واحد يقول لها قولى » – وفي طبعة فرهن : « فجامعها صاحب القبة يقول لها » – ومخطوطات ياقوت قريبة مما في نسختنا ، فأبقينا على روايتنا – وأما في كتاب هفت اقليم لأمين الرازي فالتفصيل يزيد النصّ اهمية ، وقد نقل عن مخطوطة لابن فضلان ضاعت – كانارس ١٢٨ .

فلما كان وقت العصر من يوم الجمعة ، جاءوا بالجارية إلى شيء ، قد عملوه مثل ملبن[١] الباب ، فوضعت رجليها[٢] على أكف الرجال ، وأشرفت على ذلك الملبن ، وتكلمت بكلام [لها][٣] ، فأنزلوها . ثم أصعدوها ثانية[٤] ففعلت كفعلها في المرّة الأولى ، ثم أنزلوها وأصعدوها ثالثة ، ففعلت فعلها في المرتين . ثم دفعوا إليها[٥] دجاجة فقطعت رأسها ورمت به ، وأخذوا الدجاجة فألقوها في السفينة .

فسألتُ الترجمان عن فعلها فقال : « قالت في أول مرّة[٦] أصعدوها : [هوذا أرى أبي وأمي][٧] ، وقالت في الثانية : هوذا [أرى][٨] جميع قرابتي الموتى [قعوداً ، وقالت في المرة الثالثة : هوذا أرى مولاي قاعداً في][٩] الجنة . [والجنة حسنة خضراء][١٠] ، ومعه الرجال [والغلمان ؛

---

(١) ملبن الباب : قالب الآجر ، وهو هنا حدود الباب من عوارض الفاق يضم ألواحه ، وابننا الباب : جانباه (والفاق عند البنائين حجر يجعل في وسط المدماك يسكر به) .

(٢) في ياقوت : « رجلها » .

(٣) زائدة من ياقوت

(٤) في نسختنا : « الثانية » وصوابها مافي ياقوت « ثانية » . وفي طبعة فرمن « الثانية » فكأنها أخذت عن مثل نسختنا .

(٥) في ياقوت : « دفعوا لها » .

(٦) في ياقوت : « قالت في المرة الأولى » .

(٧) بياض في الأصل أكملناه من ياقوت .

(٨) زيادة من ياقوت للسياق .

(٩) بياض كذلك ، ملأناه عن ياقوت .

(١٠) جملة طمس أكثرها وبقي منها بعض الحروف فأكملناها عن ياقوت .

وهو يدعوني][1] || فاذهبوا [بي إليه ! » فمرّوا بها][2] نحو السفينة فنزعت [٢١٢و] سوارين[3] كانا عليها ، ودفعتهما إلى المرأة[4] التي تُسمّى [ملك الموت وهي][5] التي تقتلها . ونزعت خلخالين كانا[6] عليها ، ودفعتهما [إلى الجاريتين اللتين كانتا تخدمانها وهما ابنتا][7] المرأة المعروفة بملك الموت .

ثم أصعدوها إلى السفينة ، ولم يدخلوها [إلى القبة][8] . وجاء الرجال ومعهم التراس والخشب[9] ، ودفعوا إليها قدحاً نبيذاً فغنّت عليه وشربته . فقال لي الترجمان : « إنها تودّع صواحباتها[10] بذلك » . ثم دُفع إليها قدح آخر ، فأخذته وطوّلت الغناء ، والعجوز تستحثّها على شربه والدخول إلى القبة التي فيها مولاها . فرأيتها وقد تبلّدت[11] وأرادت دخولَ[12] القبة ،

(١) بياض كذلك نقلناه عن ياقوت .

(٢) جملة طمس أكثرها وبقيت حروف ، فأكملناها عن ياقوت .

(٣) في نسختنا : « فنزعت وارين كانا عليها » - في ياقوت : « فنزعت سوارين كانتا معها » .

(٤) في ياقوت : « المرأة العجوز » .

(٥) بياض أكملناه من ياقوت .

(٦) في ياقوت « كانتا عليها » - والخلخال حلية من فضة كسوار تلبسها نساء العرب في أرجلهن .

(٧) جملة أصاب أكثرها طمس فمحاها وبقيت بعض حروف أكملناها من ياقوت ، وقد حذف ياقوت كلمة « المرأة » .

(٨) في نسختنا : « ولم يدخلوا » وبعدها بياض أكملناه عن ياقوت .

(٩) في نسختنا : « التراس الخشب » - وفي ياقوت « التراس والخشب » - والتراس في الأصل جمع ترس وهو صفحة من الفولاذ مستديرة تحمل للوقاية من السيف ونحوه .

(١٠) في احدى نسخ ياقوت : « صويحباتها » .

(١١) تبلّد : تردد متحيراً ، وفي الشعر القديم وردت الكلمة بهذا المعنى .

(١٢) في ياقوت : « الدخول الى القبة » .

فأدخلت [رأسها] [1] بينها وبين السفينة ، فأخذت العجوز رأسها وأدخلتها [2] القبة ، ودخلت معها .

وأخذ [3] الرجال يضربون بالخشب [4] على التراس لئلا يُسمعَ صوتُ صياحها [فيجزع غيرها] [5] من الجواري ، ولا يطلبنَ الموتَ مع مواليهنّ . ثم دخل [6] إلى القبة ستة رجال [فجامعوا] [7] بأسرهم الجارية . ثم أضجعوها إلى جانب [8] مولاها ، وأمسك اثنان رجليْها واثنان يديْها . وجعلت العجوز التي تسمّى ملاك الموت في عنقها حبلاً [مخالفاً ، ودفعته] [9] إلى اثنيْن ليجذباه [10] . وأقبلت ومعها خنجر [11] عريض النصل ، [فأقبلت تدخله] [12] [بين أضلاعها موضعاً موضعاً وتخرجه] [13] والرجلان يخنقانها بالحبل حتى ماتت .

---

(١) اضافة من ياقوت لملء البياض في النسخة - وفي ياقوت : « فأدخلت رأسها بين القبة والسفينة » .
(٢) في نسختنا : « وأدخلته القبة » - وفي ياقوت : « وأدخلتها القبة ودخلت معها العجوز » .
(٣) في ياقوت : « وأخذوا الرجال » .
(٤) في نسختنا : « يضربون الخشب » - وفي ياقوت : « يضربون بالخشب » .
(٥) طمس أكثر حروف الكلمة فأكملناها عن ياقوت .
(٦) في ياقوت : « دخل القبة » .
(٧) بياض أكملناه من ياقوت .
(٨) في ياقوت : « الى جنب مولاها الميت » .
(٩) بياض في نسختنا أكملناه عن ياقوت - ويرى المستشرق فرمن في تفسير الكلمة شبها بالآية الكريمة : « أيديهم من خلاف » .
(١٠) في نسختنا « ليجذباله » وهو خطأ في النحو على عادة الناسخ .
(١١) في نسختنا : « ومعها جهر » وهو تحيف صوابه في ياقوت .
(١٢) طمست أكثر حروف هذه الجملة فأكملناها عن ياقوت .
(١٣) بياض في نسختنا أكملناه عن ياقوت - وفي بعض نسخ ياقوت سطر يبدو انه سقط من نسختنا أو - من

ثم وافى [أقربُ النّاس إلى ذلك الميت فأخذ خشبة][1] وأشعلها بالنار. ثم مشى القهقرى [نحو][2] قفاه إلى السفينة، ووجهه [إلى الناس] والخشبة[3] المشعلة في يده الواحدة، ويده الأخرى على باب أسته، وهو عريان [حتى أحرق الخشب المعبّأ[4] الذي تحت السفينة [من بعد ما وضعوا الجارية التي قتلوها في جنب مولاها][5].

ثم وافى النـاس بالخشب[6] والحطب، ومع [كلّ] واحـد خشبة قد ألهب رأسها، فيلقيها في ذلك الخشب. فتأخذ[7] النـــار في الحطب، [ثم في السفينة ثم في القبة][8]، والرجل والجارية، وجميع ما فيها. [ثم هبت][9] ريح عظيمة هائلة [فاشتدّ لهبُ النـــار][10] واضطرم تسعّرُها، [وكان إلى جانبي رجل من الروسية فسمعته][11] يكلم ‖ الترجمان الذي [٢١٢ظ]

... نسخة ياقوت المطبوعة هذا نصّه: « وجرتها ثم أدخلتها مرة أخرى في غير موضع من بين أضلاعها، وجرتها فلم تزل تدخل السكين وتجرها في موضع بين أضلاعها » ولعلّ الجملة عندنا مختصرة من هذه.

(١) بياض في نسختنا أكملناه عن ياقوت.
(٢) زيادة من ياقوت
(٣) في نسختنا: « ووجهه... والخشبة المشعلة في يده واحدة » - وفي ياقوت: « والخشبة في يده الواحدة » فرأينا أن كلمة (وجهه) زائدة فحذفناها لأنه لاتتمة لها، فلعله يريد: « ووجهه إلى الناس »، ثم أصلحنا « الواحدة ».
(٤) في ياقوت: « الخشب الذي عبوه تحت السفينة ».
(٥) اضافة من ياقوت من غير أن يوجد طمس أو نقص، جعلناها لتتمة السياق.
(٦) في الأصل عندنا: « وافى الناس الخشب » وصوابها في ياقوت
(٧) في نسختنا: « ويأخذ النار » فأضفنا الفاء.
(٨) بياض في نسختنا أتممناه عن ياقوت.
(٩) بياض كذلك ملأناه عن ياقوت.
(١٠) بياض في نسختنا أكملناه عن ياقوت، وأصلحنا العبارة بعده باضافة حرفين سقطا في أولها « ضطرم ».
(١١) بياض في النسخة أكملناه عن ياقوت.

معي[١] ، فسألته [عمّا قال له][٢] ، فقال : « إنه يقول : أنتم[٣] يا معاشر العرب حمقى » [فقلت: « لمَ][٤] ذلك ؟ » قال : « إنكم[٥] تعمدون إلى أحبّ الناس إليكم [وأكرمهم عليكم فتطرحونه][٦] في التراب ، وتأكله[٧] التراب والهوام والدود ، ونحن نحرقه [بالنار][٨] في لحظة ، فيدخل [الجنة من][٩] وقته وساعته » .

[ثم ضحك ضحكاً مفرطاً][١٠] فسألتُ عن ذلك فقال : « مِنْ محبّة ربّه له ، قد بعثَ الريحَ حتّى [تأخذَه][١١] في ساعة » . فما مضت[١٢] على الحقيقة ساعة حتى صارت السفينة والحطب والجارية والمولى رماداً رِمْدِداً[١٣] .

---

(١) في ياقوت : « الذي معه » .
(٢) طمست حروف كثيرة من هذه الجملة فتعسرت قراءتها ، لذلك أخذناها من ياقوت ، وكانت في الأصل : « عن ... » .
(٣) في ياقوت : « انتم معاشر » .
(٤) بياض لم نقع على تتمته في ياقوت فقد اختصره ، ولعلنا وفقنا في اختيار ما يحل محله ، وقد وقع مثله في طبعة وليدي .
(٥) في ياقوت : « حمقى لأنكم تعمدون » .
(٦) بياض في نسختنا أخذناه من ياقوت .
(٧) في ياقوت : « فتأكله الهوام والدود » .
(٨) زيادة من ياقوت من غير أن يقع عندنا طمس او بياض ، فأخذناها لتتمة السياق .
(٩) بياض في نسختنا أكملناه من ياقوت .
(١٠) زيادة رأينا اضافتها من ياقوت ، لاكمال السياق ، وأما جملة : « فسألت عن ذلك » فهي ناقصة في ياقوت ، والجملة فيه كما يلي : « ثم ضحك ضحكاً مفرطاً وقال من محبة ربه » .
(١١) بياض في نسختنا أتممناه عن ياقوت — في بعض نسخ ياقوت : « قد تهب الريح » وكذلك في طبعة فرهن ص ٢٠ .
(١٢) في نسختنا : « فما نضت » وهو تصحيف صوابه في ياقوت .
(١٣) في نسختنا : « رماداً ثم رمدوا » ولم نر لها معنى ، وصوابها في ياقوت : « رماداً رمدداً » — والرماد دقاق الفحم من حراقة النار — والرمدد : المتناهي في الاحتراق والدقة .

ثم بنوا على موضع السفينة ، [وكانوا] [١] قد أخرجوها من النهر شبيهاً بالتلّ المدوّر ، ونصبوا في وسطه خشبة كبيرة خدنك[٢] ، وكتبوا عليها اسم الرجل واسم ملك الروس ، وانصرفوا .

* * *

قـــال :

ومن [رسم[٣]] ملك الروس أن يكون معه في قصره أربعمائة رجل من صناديد أصحابه وأهل الثقة عنده ، فهم[٤] يموتون بموته ويُقتلون دونه . ومع كلّ واحد منهم جارية تخدمه وتغسل رأسه[٥] ، وتصنع له ما يأكل ويشرب ، وجارية أخرى يطؤها[٦] . وهؤلاء الأربعمائة يجلسون تحت سريره ،[٧] وسريره عظيم مرصّع بنفيس الجوهر[٨] ، ويجلس معه على السرير أربعون جارية [لفراشه][٩] ، وربّما وطىء الواحدة منهنّ بحضرة أصحابه الذين ذكرنا .

---

(١) زيادة من ياقوت يقتضيها السياق ، ولم يقع طمس أو بياض .
(٢) في نسختنا : « خدنك » ـ وفي ياقوت : « خذنج » وهو واحد ، فارسية معربة .
(٣) بياض أكملناه عن ياقوت .
(٤) في نسختنا : « منهم يموت بموته » ـ وفي طبعة فرهن : « منهم يموتون بموته » ـ وفي ياقوت : « فهم يموتون بموته » وهو أصوب في رأينا .
(٥) في نسختنا : « وتغسل لباسه وتضع » ـ في ياقوت : « وتغسل رأسه وتصنع » .
(٦) في نسختنا : « يطأ هؤلاء » وهو خطأ من الناسخ فقد عمّي عليه المعنى ووهم .
(٧) السرير : التخت ، ويغلب على تخت الملك لما يجلب من سرور ، جمعه أسرة وسرر .
(٨) في ياقوت : « بنفيس الجواهر » .
(٩) بياض في نسختنا ، أكملناه عن ياقوت .

ولا ينزل عن سريره، فإذا [١] أراد قضاء حاجة | قضاها | [٢] في طشت. وإذا أراد الركوبَ قدموا [٣] دابته إلى السّرير [فركبها منه] [٤] . وإذا | أراد | [٥] النزول قدّم دابّته حتى [٦] يكون نزوله عليه . وله خليفة يسوس الجيوش؛ [ويواقع الأعداء ويخلفه] [٧] في رعيته .

(١) في نسختنا : « فان أراد » .. في ياقوت : « فاذا أراد » .

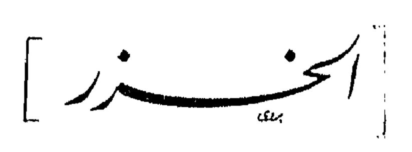
(١) بياض في النسخة فملأناه عن ياقوت — والطشت أو الطست : إناء من نحاس لغسل اليد، مؤنثة ، جمعها طسوت

(٣) في نسختنا : « قدم دابته » — وفي ياقوت : « قدموا دابته » .

(٤) بياض في الموضعين من النسخة ملأناهما عن ياقوت .

(٥) في نسختنا : « حتى ينزل دابته » — وفي ياقوت : « حتى يكون نزوله عليه » ولعلها أصوب فاتخذناها متناً .

(٦) بياض وطمس حذانا أكثر معالم الجملة فرددناها عن ياقوت — وهنا ينتهي فصل الروس يقول فيه ياقوت ٢/٠ ٨٤ : « هذا مانقلته من رسالة ابن فضلان حرفاً حرفاً ، وعليه عهدة ماحكاه والله أعلم بصحته » وبذلك يقف المستشرق فرهن في تعليقاته طبعاً ، لانتهاء فصل الروس.


الخزر



٢٣

فأما[1] ملك الخزر، واسمه[2] خاقان، فإنّه لا يظهر إلاّ في كلّ [أربعة أشهر متنزهاً][3]، ويقال له خاقان الكبير، ويقال لخليفته خاقان به، وهو الذي يقود الجيوش ويسوسها[4] ويدبّر أمر المملكة ويقوم بها ويظهر ويغزو. وله تذعن الملوك الذين يصاقبونه[5]. ويدخل [في كلّ يوم إلى خاقان الأكبر متواضعاً يظهر الأخبات والسكينة ولا يدخل عليه إلاّ حافياً

---

(١) أوردت نسختنا ثلاثة سطور عن الخزر، ثم بترت وخرمت أوراقها بعدها. وكنا قدرنا ان النقص فيها كان بمقدار ورقة أو ورقتين فحسب. وعدنا الى ياقوت بمادة الخزر، فاذا به يثبت عن ابن فضلان ثلاث صفحات قال إنه نقلها من رسالته. ولكن التحقيق الطويل ساقنا إلى أن النصف الأول منها ليس لابن فضلان، لأنه يقع في الاصطخرى ٢٢٠-٢٢٤، وفي ابن حوقل ٢/٣٨٩ فلعل ياقوت نقل عنها، وأما النصف الثاني فلم نجده في هذين المصدرين، وانما انفرد به ياقوت ٢/٤٣٨، فأورد هذه السطور الثلاثة وتابع النقل عن ابن فضلان، فأثبتنا ذلك كله على أنه لابن فضلان برواية ياقوت، لأننا رأينا فيه نفس كاتبنا وألفاظه ولهذا ضممناه اليه وجعلناه بين معقوفتين، كما شرحنا الأمر في المقدمة على التفصيل، وهكذا اتصلت سطور نسختنا بسطور ياقوت. وقد رأينا أخيراً بعد طبع هذه السطور أن ولبدي فعل مثلما فعلنا في طبعته.

(٢) في ياقوت: «وأما ملك الخزر فاسمه خاقان وأنه» - وفي الاصطخرى ٢٢٤: «فان عظيمهم يسمي خاقان خزر وهو أجل من ملك الخزر، إلا أن ملك الخزر هو الذي يقيمه، واذا أرادوا أن يقيموا هذا الخاقان جاءوا به فيخنقونه بحريرة ... الخ» والتفصيل فيه هام يجدر الرجوع اليه، ويقول ان الخزر لا يشبهون الأتراك فهم سود الشعور.

(٣) ناقص في نسختنا أخذناه عن ياقوت.

(٤) في نسختنا: «الجيوش ويسوس» - في ياقوت: «الجيش ويسوسها» وهي أصح.

(٥) صاقب: قارب ودنا - وفي الاصطخرى ٢٢٤: «فلا يراه أحد من الأتراك ومن يصاقبهم من أصناف الكفر الا انصرف ولم يقاتله تعظيماً له». وهنا تقف النسخة وتنتهي. ومن هنا نبدأ بالنقل عن ياقوت حرفياً اتماماً للنص ٢/٤٣٨ - ٤٣٩ فنجعله بين هاتين المعقوفتين. وقد فعل مثلنا المستشرق الروسي فألحق على الخزر وأتبعه بابن فضلان من هذا المكان - انظر طبعة كرفالفسكي ص ١٦٦ - ١٧١ وفعل قبله مثل هذا فرهن حين طبع فصل الخزر عن ياقوت، وقد رأينا أن ولبدي فعل مثل ذلك.

وبيده حطب ، فإذا سلّم عليه أوقد بين يديه ذلك الحطب ، فإذا فرغ من الوقود ، جلس مع الملك على سريره عن يمينه . ويخلفه رجلٌ يقال له كندر[1] خاقان ، ويخلف هذا أيضاً رجل يقال له جاوشيغر[2] .

ورسم الملك الأكبر[3] أن لا يجلس للناس ، ولا يكلّمهم ، ولا يدخل عليه أحدٌ غير من ذكرنا . والولايات في الحلّ والعقد والعقوبات وتدبير المملكة على خليفته خاقان به .

ورسمُ الملِك الأكبر إذا مات أن يُبنى له دار كبيرة[4] فيها عشرون بيتاً ، ويحفر له في كلّ بيت منها قبر ، وتكسّر الحجارة حتى تصير مثل الكحل ؛ وتفرش فيه ، وتطرح النورة فوق ذلك[5] . وتحت الدار نهر ؛ والنهر[6] نهر كبير يجري ، ويجعلون القبرَ فوق ذلك النّهر ، ويقولون : « حتى لا يصل إليه شيطانٌ ولا إنسان ولا دود ولا هوام » .

وإذا دُفن ضُربَتْ أعناقُ الذين يدفنونه حتى لا يدرى أين قبره من

---

(١) انظر حدود العالم ، طبعة مينورسكي ، لندن ١٩٣٧ ، ص ٣١٣ – ٣٢٤ .

(٢) في بعض المصادر : « جاويشغر » وكلمة جاويش تركية معروفة . انظر دوزي تكملة معاجم العرب ، ودائرة المعارف الاسلامية ١/٨٦٤ .

(٣) في نشرة فرمن : « الملك الأعظم الأكبر » .

(٤) يترجها فرمن بالقصر « Palatium » .

(٥) النورة : في الأصل حجر الكلس ، وقيل إنها عربية وقيل معربة .

(٦) وردت هذه الجملة كذلك في الأصل وأورد المستشرق الروسي ١٦٨ رواية أخرى في بعض النسخ هذا نصها : « وتحت الدار نهر والنهر كبير يجري فوقه ، ويجعلون ذلك القبر بينها » – وفي بعض مخطوطات ياقوت الأخرى : « ويجعلون النهر فوق ذلك القبر » .

تلك البيوت . ويسمّى قبره الجنّة . ويقولون : « قد دخل الجنّة » ، وتُفْرَش البيوتُ كلّها بالديباج المنسوج بالذّهب .

ورسمُ ملك الخزر أن يكون له خمس وعشرون امرأة ، كلّ امرأة منهن ابنة [١] ملك من الملوك الذين يحاذونه ، يأخذها طوعاً أو كرهاً . وله من الجواري السراري لفراشه ستّون ، ما منهن إلاّ فائقة الجمال . وكلّ واحدة من الحرائر [٢] والسراري في قصر مفرد [٣] ، لها قبة مغشّاة بالسّاج [٤] ، وحول كلّ قبة مضرب [٥] ، ولكلّ واحدة منهنّ خادم يحجبها . فإذا أراد أن يطأ بعضهن بعث إلى الخادم الذي يحجبها فيوافي بها في أسرع من لمح البصر حتى [٦] يجعلها في فراشه . ويقف الخادم على باب قبة الملك ، فإذا وطئها أخذ بيدها وانصرف ، ولم يتركها بعد ذلك لحظة واحدة .

وإذا ركب هذا الملكُ الكبير ركب سائر الجيوش لركوبه ، ويكون بينه وبين المواكب ميل ، فلا يراه أحد من رعيته إلاّ خرَّ لوجهه ساجداً له لا يرفع رأسه حتى يجوزه .

---

(١) في نسخة فرمن عن الخزر : « بنت » .
(٢) في نسخة فرمن : « من الجوار والسراري » .
(٣) في طبعة فرمن : « قصر منفرد » .
(٤) الساج : شجر يعظم جداً ، لاينبت إلا ببلاد الهند ، وخشبه أسود رزين لاتكاد الأرض تبليه ، جمعه سيجان ، الواحدة ساجة . .
(٥) المضرب : الساحة والمكان كما في معجم دوزي ، وقيل هو الفسطاط العظيم جمعه مضارب .
(٦) في فرمن : « حتى يجعلونها » وهي خطأ .

ومدّة ملكهم أربعون سنة إذا جاوزها يوماً واحداً قتلته الرعية وخاصته ، وقالوا : « هذا قد نقص عقله واضطرب رأيه » .

وإذا بعث سرية لم تولّ الدّبر[1] بوجه ولا سبب . فإن انهزمتْ قُتل كل من ينصرف إليه منها . فأما القوّاد وخليفته فمتى انهزموا أحضرهم وأحضر نساءهم وأولادهم فوهبهم بحضرتهم لغيرهم وهم ينظرون . وكذلك دوابّهم ومتاعهم وسلاحهم ودورهم ، وربما قطع كلَّ واحد منهم قطعتين وصلبهم ، وربما علّقهم بأعناقهم في الشجر ، وربما جعلَهم إذا أحسن إليهم ساسة .

وللملك الخزر مدينة عظيمة على « نهر إتل » ، وهي جانبان . في أحد الجانبين المسلمون ، وفي الجانب الآخر الملك وأصحابه . وعلى المسلمين رجلٌ من غلمان الملك[2] يقال له خز ، وهو مسلم . وأحكام المسلمين المقيمين في بلد الخزر والمختلفين إليهم في التجارات مردودة الى ذلك الغلام المسلم لا ينظر في أمورهم ولا يقضي بينهم غيره |[3] .

---

(٢) رأى المستشرق في هذه الصيغة اقتباساً من القرآن الكريم : « ويولون الدبر » ٤٥/٥٤ من سورة القمر . ونحن نرى في الجملة التالية : « بوجه ولا سبب » صيغة من صيغ ابن فضلان كررها في الرسالة بمواضع منها .

(٣) يروي المستشرق الرومي نصاً من بعض المخطوطات عند فرهن : « رجل من أصحاب غلمان الملك يقال له خزمة » ولعلها أصوب من « خز » .

(٤) هنا رأينا أن نقف عن النقل عن ياقوت ، لأن مابعدها لايشبه اساوب ابن فضلان ، وفيه جملة مؤرخة بعام محدود هو سنة ٣١٠ هـ ، وقد عرفنا أن صاحبنا غادرها قبل ذلك . فنحن لانرى رأي فرهن ووليدي ولا كوفالسكي في الحاقهما بنصّ الخزر على أنها لابن فضلان . وان كنا نعتقد أن الفصل مايزال ناقصاً لم يتم ، ولكننا عملنا بالقول المشهور مالايدرك كلّه لايترك جلّه .

الفهارس



فهرس الأعلام والقبائل والطوائف

أدخلنا في هذه الفهارس ماجاء في رسالة ابن فضلان وماورد في تعليقاتنا بالحواشي وما وقع في مقدمتنا لدراسة الرسالة وصاحبها ، لم نفرق بين المتن والحاشية بأرقام صغيرة أو كبيرة كما كنا نفعل دائماً وذلك لقلة صفحات الرسالة . واعتبرنا كلمة ابن وأب أساسية في صلب الكلمة ، وجعلنا في هذا الفهرس كتب المؤلفين إلى جانب أسمائهم داخل الأقواس ، فقد ذكرناهم في الحواشي حيناً بأسمائهم وحيناً بعناوين كتبهم .



أ

س

ش

ص

ط

ع

غ

ف

ق

ك

ل

م



فهرس المواضع والأماكن



فهرس الحضارة واللغة

جعلنا هذا الفهرس لترتيب الكلمات اللغوية التي شرحناها، وألفاظ الحضارة وكلماتها مما يتعلق بالمأكل والمشرب والمسكن واللباس والرياش وأسماء الحيوان والنبات، ومما يصور الحياة الاجتماعية في ذلك العصر عند العرب وعند غيرهم من الأمم التي زارها ابن فضلان .

والرقم الأول بعد الكلمة يدل على مكان شرحها والتعليق عليها في هذه الطبعة ؛ وأما الأرقام التالية فتدل على أماكن وجودها وتكرر ورودها .



فهرس الكتب والمراجع

أوردنا في هذا الفهرس أسماء الكتب والمراجع التي وردت في هذه الطبعة ، وذكرنا السنين والمدن لبيان الطبعات وتحديدها ، وجعلنـــا ترتيب المصادر العربية أو المعربة أولاً ثم أوردنا بعدها المصادر الغربية . وقد اخترنا أن نذكر هذه المصادر الأوربية بالحروف العربية تجنباً لصعوبة طباعتها فهي بالروسية والألمانية والمجرية والفرنسية ، لذلك ترجمنا العناوين تعريفاً بما فيها ، والمطلعون على اللغات الأجنبية يعرفون مظانها ويحسنون الرجوع اليها في يسر وسهولة .



١٠ — تقويم البلدان — لأبي الفداء (طبعة رينو وده سلان باريس ١٨٤٠) ١١٣

١١ — حدود العالم — (طبعة مينورسكي ، لندن ١٩٣٧) ١٧٠

١٢ — الحضارة الاسلامية — لآدم متز (ترجمة محمد عبد الهادي أبي ريدة ، القاهرة ١٩٤١) ٧٩ ، ٨٢ ، ١١٥

١٣ — خريدة العجائب وفريدة الغرائب — لسراج الدين عمر بن الوردي (القاهرة ١٩٣٩) ٩٠ ، ١٣٥

١٤ — ديوان أبي فراس الحمداني — (طبعة سامي الدهان ، بيروت ودمشق ١٩٤٤) ١٤٤

١٥ — ديوان النابغة الشيباني — (طبعة دار الكتب المصرية ١٩٣٢) ٨٢

١٦ — الرحالة المسلمون في العصور الوسطى — تأليف المرحوم الدكتور زكي محمد حسن (القاهرة ١٩٤٥) ١٧

١٧ — رحلة ابن بطوطة أو تحفة النظار في غرائب الامصار (طبعة باريس ١٩٢٧) ٩٤ ، ١٤٢

١٨ — رحلة عبد اللطيف البغدادي — (طبعة مصر بغير تاريخ) ١٥٣

١٩ — رسوم دار الخلافة — للصابي (مخطوطة) ١١٧

٢٠ — صلة تاريخ الطبري — لعريب القرطبي (المطبعة الحسينية بمصر) ٧٤

٢١ — صورة الارض — لابن حوقل (طبعة كرامرز في ليدن ١٩٣٨) ٧٥ ، ٧٦ ، ١١٩ ، ١٦٩

٢٢ — صور الأقاليم — للبلخي (طبعة ليدن ١٩٢٧) ٥٤

٢٣ — الفتح الكبير في ضم الزيادة الى الجامع الصغير — للسيوطي (طبعة دار الكتب العربية بمصر) ١١٨

٢٤ — الفخري في الآداب السلطانية — لمحمد بن عليّ بن طباطبا المعروف بابن الطقطقي (غريفزولد ١٨٥٨) ١٨ ، ٦٧ ، ١١٥

١٠ — تقويم البلدان — لأبي الفداء (طبعة رينو وده سلان بباريس ١٨٤٠) ١١٣

١١ — حدود العالم — (طبعة مينورسكي ، لندن ١٩٣٧) ١٧٠

١٢ — الحضارة الاسلامية — لآدم متز (ترجمة محمد عبد الهادي أبي ريدة ، القاهرة ١٩٤١) ٧٩ ، ٨٢ ، ١١٥

١٣ — خريدة العجائب وفريدة الغرائب — لسراج الدين عمر بن الوردي (القاهرة ١٩٣٩) ٩٠ ، ١٣٥

١٤ — ديوان أبي فراس الحمداني — (طبعة سامي الدهان ، بيروت ودمشق ١٩٤٤) ١٤٤

١٥ — ديوان النابغة الشيباني — (طبعة دار الكتب المصرية ١٩٣٢) ٨٢

١٦ — الرحالة المسلمون في العصور الوسطى — تأليف المرحوم الدكتور زكي محمد حسن (القاهرة ١٩٤٥) ١٧

١٧ — رحلة ابن بطوطة أو تحفة النظار في غرائب الامصار (طبعة باريس ١٩٢٧) ٩٤ ، ١٤٢

١٨ — رحلة عبد اللطيف البغدادي — (طبعة مصر بغير تاريخ) ١٥٣

١٩ — رسوم دار الخلافة — للصابي (مخطوطة) ١١٧

٢٠ — صلة تاريخ الطبري — لعريب القرطبي (المطبعة الحسينية بمصر) ٧٤

٢١ — صورة الارض — لابن حوقل (طبعة كرامرز في ليدن ١٩٣٨) ٧٥ ، ٧٦ ، ١١٩ ، ١٦٩

٢٢ — صور الأقاليم — للبلخي (طبعة ليدن ١٩٢٧) ٥٤

٢٣ — الفتح الكبير في ضم الزيادة الى الجامع الصغير — للسيوطي (طبعة دار الكتب العربية بمصر) ١١٨

٢٤ — الفخري في الآداب السلطانية — لمحمد بن عليّ بن طباطبا المعروف بابن الطقطقي (غريفزولد ١٨٥٨) ١٨ ، ٦٧ ، ١١٥

٢٥ — الفرج بعد الشدة — تأليف أبي علي المحسّن التنوخي (الهلال بمصر ١٩٠٣) ٣٨

٢٦ — فهرست الكتب والمخطوطات بمدينة مشهد (بالفارسية — طوس ١٣٤٥) ٤٧

٢٧ — الكامل في التاريخ — لابن الأثير (مصر ١٣٤٨ — ١٣٥٣) ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ١٠٤ ، ١١٩

٢٨ — مروج الذهب — للمسعودي (طبعة ده مينار في باريس ١٨٦١) ٣٤ ، ٧٤ ، ١٤٠

٢٩ — مسالك الممالك — للاصطخري (ليدن ١٩٢٧) ٥٤ ، ٧٩ ، ٩١ ، ١٢٧ ، ١٦٩

٣٠ — المسالك والممالك — للجيهاني (ذكره ابن العديم في بغية الطلب) ٧٦

٣١ — مجمع الزوائد ومنبع الفوائد — للحافظ عليّ الهيثمي (القاهرة ١٣٥٢ هـ) ١٢١

٣٢ — معجم الأنساب والأسرات الحاكمة — زامباور (ترجمة المرحوم الدكتور زكي محمد حسن وزملائه ، القاهرة ١٩٥١) ٧٤ ، ٨٠

٣٣ — معجم البلدان — لياقوت الحموي (طبعة وستنفلد في ليبتسيك ١٨٦٦) ذكرنا أرقامه في فهرس الاعلام فيحسن الرجوع اليه هناك باسم ياقوت

٣٤ — معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواقع — للبكري (القاهرة ١٩٤٩)

٣٥ — المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم — لأبي منصور الجواليقي (طبعة المرحوم أحمد محمد شاكر ، مصر ١٣٦١ هـ) ٨٢

٣٦ — مفاتيح العلوم — لمحمد بن أحمد الكاتب الخوارزمي (القاهرة ١٣٤٢ هـ) ٩٧ ، ١٠١

٣٧ — النجوم الزاهرة — لابن تغري بردي (طبعة دار الكتب المصرية ١٩٣٦) ٦٨

٣٨ — نخبة الدهر في عجائب البر والبحر — لشمس الدين الدمشقي المعروف بشيخ الربوة (طبعة مهرن في ليبتسيك ١٩٢٣) ٦٧ ، ٦٩ ، ١٠٦ ، ١١٣ ، ١١٩ ، ١٢٢ ، ١٣٥ ، ١٤٩

٣٩ — نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ـ للادريسي (مخطوطة) ٦٩

ب — المصادر الغربية والمجلات الاجنبية

(بعناوين ترجمناها الى العربية)

٤٠ — تعليقات المستشرق ريتر في مجلة المستشرقين الالمان (ليبتسيك١٩٤٢ بالجزء ٩٦ ص ٩٨ ــ ١٢٦) على طبعة زكي وليدي لرسالة ابن فضلان

٤١ — تعليقات المستشرقين بلاك وفراي ، على رسالة ابن فضلان طبعة زكي وليدي (في مجلة بيزانطينا ١٩٤٩ في ٣٧ صفحة)

٤٢ — تعليقات المستشرق دئلوب على طبعة وليدي للرسالة (في المجلة الالمانية دنيا الشرق ، شتوتغارت من الصفحة ٣٠٧ ــ ٣١٢)

٤٣ — تعليقات المستشرق تشاكلادي في المجلة المجرية (بودابست ١٩٥١ من الصفحة ٢١٧ ــ ٢٤٣ مع الصور الشمسية لرسالة ابن فضلان)

٤٤ — ترجمة رسالة ابن فضلان الى الفرنسية[1] مع خرائط الرحلة والتعليقات، عن طبعة وليدي (بقلم ماريوس كانار في مجلة معهد الدراسات الشرقية ، الجزائر ١٩٥٨ من الصفحة ٤١ ــ ١٤٦)

٤٥ — الثقافة في عهد الخلفاء ــ فون كريمر (بالالمانية ١٨٨٨) ٣٨

٤٦ — رحلة ابن فضلان[1] ــ طبعة زكي وليدي طوغان مع التحقيق والترجمة والدراسة (في مجلة المستشرقين الالمان ١٩٣٩ ، الجزء الرابع والعشرون)

٤٧ — رحلة ابن فضلان الى البلغار ــ ترجمة وتعليق المستشرق الروسي كوفالفسكي مع مقدمة المستشرق كراتشكوفسكي وكل ذلك بالروسية ، (موسكو ١٩٣٩ في ١٩٣ صفحة مع صور شمسية للمخطوطة)

---

(١) وصلتني هذه الترجمة بعد طبع المقدمة ، في الوقت الذي وصلتني فيه الصورة الشمسية لطبعة زكي وليدي وتعليقاته على رحلة ابن فضلان ، فافدت من هذين العملين النفيسين .

فهرس محتويات هذه الطبعة

الصفحة

ج — الفهارس



